بصائر للناس

من القرآن والسنة

تأليف

الدكتور/ السيد محمد الديب

الأستاذ بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٢ م

توزيع

مكتبة الآداب

بميدان الأوبرا فى القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

فقد جاء موضوع هذا الكتاب، تصويراً لثمانين خلقاً إسلامياً من القرآن الكريم والسنة النبوية، مرتبطة بالمواصفات الإيمانية والسلوكية لعباد الرحمن؛ بالتنسيق مع الأستاذ/ **فؤاد حسان** الإذاعى المعروف، والذى ناقشت معه كل موضوع من هذه الموضوعات على حدة، والتى تم تسجيلها وبثها فى لبرنامج المتميز **(عباد الرحمن)** بإذاعة القرآن الكريم.

وكنت أضع فى تقديرى – منذ بداية الإعداد لهذه الأخلاق- إمكانيةَ جمعِها وطبعها في كتاب يتداوله الناس، بعد أن استمع إليها الكثيرون من الإذاعة، فى حلقات خلال ثلاث سنوات، وقد نشر عدد منها فى كتاب سابق لى بعنوان (أنوار اليقين) وَبقِيتْ هذه الثمانون، والتى سيضمها هذا الكتاب الجديد، تحت عنوان **(بصائر للناس)**

وقد نبع اختيارها من مبين القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكانت البداية ببعض الصفات لعباد الرحمن، والتى تضمها سورة الفرقان، ثم انثنيت إلى اختيار صفات أخرى من السور المتعددة؛ بإعجاز يستشعره المؤمن، كما أعاد القراءة بالاعتبار والتأمل والخشوع لآيات القرآن الكريم، ورغم أننى أفضل أن يتعرف القارئ بنفسه على ما فى هذا الكتاب-كما هو الشأن مع الكثير من مؤلفاتى المطبوعة- لكننى أحبذ أن أقدم بعض الأنوار فى هذه الافتتاحية؛ لتكون إضاءة للدخول إلى الأخلاق لثمانين المختارة لعباد الرحمن، والتى سيضمها هذا الكتاب.

وحرصت على توثيق النصوص المنقولة من القرآن الكريم، والسنة النبوية وغيرهما، لاشتمال الكثير من هذه الأخلاق على أحكام في العقيدة والإيمان، وكثير من الإيضاحات الفقهية والتشريعية، ولم يكن من السهل إحكامُ الفصل بين هذا العدد من الأخلاق، فهى قريبة من بعضها، وشديدة الارتباط بحياة المسلم قديماً وحديثاً، فليس وجود **(عباد الرحمن)** قاصراً على عصر البعثة النبوية وما تلاها، وإنما هم موجودون فى كل زمان ومكان، ما دام الإسلام ديناً موجوداً، تُمارس شعائرُه من خلال نصوصه المقدسة، ولم نُخْضع الترتيب بين هذه الموضوعات؛ لإعدادها وتاريخ تسجيلها، وإنما ارتضينا الاحتكام للتعانق الحميم لعدد من الصفات المحددة، التى وضحت معالمها العامة فى سورة الفرقان؛ بدءاً من قول الله تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا** ﴾[1] إلى قرب نهاية السورة، واخترنا من بين هذا القدر من السورة أربعة عشر خلقاً، جاءت مرتبة فى الكتاب وفق ترتيبها فى سورة الفرقان، وما بقى بعد ذلك وضعناه تحت عدة عنوانات عامة، كل واحد منها ضم عدداً من الأخلاق، تزيد وتنقص حسب طبيعة كل موضوع، أو محور عام، وقد هممت أن أضع كل هذه الثمانين وغيرها، الذى نشر بالكتاب السابق تحت معيار عام، هو الجانب الاجتماعى فى حياة عباد الرحمن.

وذلك هو بعض الفكر الذى يشتد إيمانى وقناعتى به فى توجيه الأخلاق الإسلامية؛ لخدمة المجتمع سواء أكانت تصويراً لعلاقة المسلم بربه، أم بسائر الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، وانتهت رؤيتى إلى وضع هذه الأخلاق فى خمسة محاور، تتقارب ولا تتباعد، وتتجمع ولا تتفرق، وذلك بدلاً من أن تتوالى متواصلة بلا تفريق، بعنوان جانبى، فلربما أحدث هذا التعاقب ثقلاً على القارئ، خاصة مع بدء تفشى ظاهرة الانصراف عن مطالعة الكتب المطبوعة، ولسوف

---

[1] سورة الفرقان الآية ٦٣.

نحرص على نشر هذا الكتاب إلكترونياً – فيما بعد– ليزداد الاطلاع عليه، ويعمَّ النفع به، كما سلكنا ذلك مع كتاباتنا السابقة من المؤلفات المطبوعة والبحوث المنشورة.

وأخضعنا هذه الدراسات الأخلاقية، لرصد بعض صفات عباد الرحمن، لمزيد من التدقيق وإحكام الصياغة اللغوية، والميل إلى التوسط فى الأحكام، ونبذ التشدد فى الآراء، وربط الأخلاق بالسلوك، سواء أكانت تلك المظاهر فى القديم أم فى الحديث، ثم حرصنا على وضع بعض العنوانات الداخلية، إلى غير ذلك من ملامح المنهج، الخاص بى فى التأليف.

وبَدَتْ لى موضوعات الكتاب، بعد إعادة التصرف فيها بالإضافة والحذف، والتقديم والتأخير، كأنها قد أُعدّت خصيصاً لهذا الكتاب، وليس للحوار عنها فى برنامج إذاعى، وأسفر تقسيم هذه الأخلاق إلى خمسة موضوعات عامة، أو محاور متنوعة، وجاء الترتيب فيها على النحو التالى:

أولاً: **(من صفات عبد الرحمن فى سورة الفرقان)**، واحتوى أربعة عشر خُلُقاً، يمكن أن تتوزع على المحاور الأخرى، ولكنى فضلت أن تبقى هذه الأربعة عشر، كما وردت متتابعة فى سورة الفرقان، وهى الأصل فيما يخص البرنامج المذكور، ولهذا الكتاب **(بصائر للناس)**، ولأى كتاب فى هذا الشأن.

ثانياً: **(أخلاق عباد لرحمن فى العقيدة والإيمان)**، واشتملت عشرين خلقاً، وكان آخرها عن الاعتصام بالله تعالى.

ثالثاً: **(معايير العلاقات الإنسانية والاجتماعية. فى ظلال الإسلام)** تلك المعايير التى لا أغفل عنها، محاولاً إيضاح أهمية تفعيل الأخلاق الإسلامية اجتماعياً وإنسانياً؛ لتعظم الفائدة من نشر هذه الموضوعات.

واشتمل هذا المحور على تسعة وعشرين خُلقاً، بدأت بالحديث عن المحافظة على حق الجار، وبيان ماله وما عليه، وجاء آخرها عن الكرم والجود فى حياة عباد الرحمن.

رابعاً: **(الخشوع والتأمل والاعتبار)** تلك القضايا التى زادت العناية بها فى الوقت الراهن، إذ إنها تعد استهلالاً لدراسة الإعجاز فى القرآن الكريم والسنة، فى شتى ضروبه وجوانبه، ومنها **(الإحساس بقيمة النسيان)**، و**(الاعتبار بحركة الليل والنهار)**، و**(التأمل فى حركة الطير بالأرض والسماء)** تلك الموضوعات التى بلغت أحد عشر خلقاً، وصفاً لعباد الله المتقين.

خامساً: **(من أخلاق عباد الرحمن فى بعض المناسبات)** كحسن الاستقبال لشهر رمضان، وإحياء ليلة القدر، والاحتفال بالعيد وغيره، والتى بلغ عددها ستة من الموضوعات الإسلامية، التى تُبرز المواصفات الأخلاقية للمؤمنين الصادقين فى هذه المناسبات وغيرها.

وآمل أن يحقق هذا الكتاب ما أسعى إليه، وليس ذلك على الله ببعيد، والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل.

الخميس ١٩/ من رجب عام ١٤٣١هـ

الموافق غرة يولية عام ٢٠١٠م

الدكتور

السيد محمد الديب

الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف

ووكيل كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالزقازيق

Sayed.addeeb@hotmail.com

أولاً: من صفات عباد الرحمن فى سورة الفرقان

١- خلق التواضع عند عباد الرحمن.

٢- قيام الليل للصلاة، وقراءة القرآن، ومدارسة السنة.

٣- التضرع إلى الله تعالى بالدعاء، والذكر، وقراءة القرآن.

٤- الإنفاق بلا إسراف ولا تقتير.

٥- الإيمان بوحدانية الله تعالى.

٦- الحفاظ على النفس البشرية.

٧- الابتعاد عن أفحش الذنوب (الزنى).

٨- معالم التوبة.

٩- تجنب شهادة الزور.

١٠- الإعراض عن اللغو.

١١- التأمل فى آيات الله تعالى.

١٢- الدعاء بصلاح الزوجة والأبناء.

١٣- دعاء عباد الرحمن بأن يكونوا أسوة حسنة.

١٤- الإنعام على عباد الرحمن بحسن الجزاء.



١ـ خلق التواضع عند عباد الرحمن

١ـ مبدأ القول:

يشكل التواضع علامة بارزة في الحياة الإيمانية لعباد الرحمن؛ لأن هذه الصفة كانت مفتتح آيات القرآن بحقهم في سورة الفرقان، ولذا جاءت البداية بها؛ لارتباطها بالعديد من السلوكيات البارزة في شخصية المسلم بصفة عامة.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[1].

٢ـ معالم التواضع:

تأتي هذه البداية الفارقة بتقديم ملمحين، أو علامتين واضحتين لسلوك المسلم، وهما:

أ- السير على الأرض بسكينة ووقار، وحسن الرد على الجاهلين، وأن عباد الرحمن كما تقول كتب السيرة: يتحملون ما يرد إليهم من أذى أهل الجهل وأضرارهم، ويكون الرد بما يكشف عن هوية المسلم، وذلك بقول عباد الرحمن (سلاماً) حتى تمر عاصفة المقابلة بلا اضطرابات واحتكاكات في الأقوال والأفعال.

وقول الله في صفة عباد الله المتقين "يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ"؛ لأن السلوكيات وسائر التصرفات تنجم عن نتيجة مباشرة؛ لمعاشرة الناس ومخالطتهم، تلك التحركات الهادفة، التي تكشف عن طبيعة الشخصية الإيمانية المتواضعة، حيث ينبغي أن يُوصف بها عباد الله المتقين، وذَكَر القرطبي في معنى ذلك أنهم: "يمشون على الأرض حُلَماء متواضعين".

---

[1] سورة الفرقان الآية ٦٣.

ومعنى كلمة الهَوْن: الرفق والوقار مع التثبت وعدم العجلة؛ لارتباط المشى بأنواع من المبالغة فى تقدير الذات والبَطَر والغرور، وذلك ما نهت آيات القرآن الكريم عنه، كما فى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1]، وعليه فإن مسيرة المسلمين على الأرض، تُوجِّه إلى طاعة الله، وممارسة المباحات، بما فيها إعطاء المسلم لذاته ما تستحقه من عزة وشموخ، مع الحرص على الطاعة والمعروف والتواضع فى غير مذلة ولا مسكنة، وعدم التكبر على الناس، وعند مخاطبة الجاهلين لعباد الرحمن، فيكون ردهم ليس سلاماً من التسليم، وإنما هو من التسلم، بمعنى أن الرد على اللجاجة والسفسطة، وسائر الخروجات غير اللائقة بالقول أو الفعل، إنما يكون مشفوعاً من قبل عباد الرحمن، بإنهاء الموقف ورفض المحاجة، وإنهاء الحوار الذى لا يسفر عن شئ وذلك بتواضع جم، وإعراض عن كل ذلك، ومخاطبة هؤلاء الجاهلين بالرفق واللين وإيثار السلامة، على غرار المعنى الذى نفهمه من قول الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى فمضيتُ ثمَّتَ قلتُ لا يعنينى

ومع هذه الإشارات القرآنية لبعض معالم التواضع فى حق عباد الرحمن.

قال القرطبى: «وقد اتفق الناس على أن السفيه من المؤمنين، إذا جفاك يجوز أن تقول له سلام عليك»[2]، توجيهاً لمعنى كلمة سلاماً، ما لو أريد بها السلام وليس التسليم.

تكشف بعض مكونات صفة التواضع فى حق المسلمين، عن وجوب السير على الأرض بطريقة سهلة هينة، ليس فيها تكلف ولا خُيلاء ولا غرور

---

[1] سورة لقمان الآية ١٨.

[2] تفسير القرطبى جـ ١٠ ، صـ ٧٠.

ولا تكبر على الناس، وهم يسيرون على الأرض هوناً؛ بهدف إظهار التقوى والصلاح، ولا يلتفتون إلى الجاهلين والحمقى والسفهاء، ولا يُشغلون جهدهم بالجدل والعراك مع الجاهلين، وكل ذلك بتواضع وثقة فى الله، وليس ناجماً عن خوَر وضعف واستسلام.

وذكر المفسرون: أن معنى التواضع لا يؤدى إلى المذلة والهوان، وأن يُحِط الإنسان من قدره وعزته وإنسانيته، فالعزة الحقيقية تتجلى فى حق العقلاء والبصراء من عباد الله المتقين، والتواضع واجب النفاذ أمام دين الله، وهو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[1] ثم مع سنة رسول الله، التى يجب أن يحرص المسلمون عليها وأن يلتزموا بها، وأن يتواضعوا معها، وقد خوطب رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[2].

ب- التواضع قولاً وفعلاً:

أوردت السنة النبوية كثيراً من الأحاديث التى حضّت على الالتزام بالتواضع؛ لما له من أهمية فى تكوين شخصية المسلم، من ناحية ثقته فى الله، وحبه لرسول الله، وحسن علاقته بَخلْق الله، فقال ﷺ: **«إنَّ الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يفخر أحدكم على أحد ولا يبغى أحد على أحد»**[3].

وروى أبو هريرةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«ما نقُصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**[4].

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٩.

(2) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه مسلم.

وجاء هذا الحديث مشتملاً على ثلاثة عناصر، تسهم فى اكتمال شخصية المسلم، وامتثاله للتواضع، الذى هو صفة من صفات المؤمنين الصادقين، وورد بيان التواضع فى الحديث مسبوقاً بصفتين، تسهمان فى التأثير على تواضع المسلم وهما:

- الإنفاق فى سبيل الله بالزكاة أو الصدقة، ثم قدرة المسلم على التحكم فى نفسه من ناحية دفع المال، ومن ناحية الصفح والعفو والإعراض عن الجاهلين، فهاتان الصفتان لازمتان فى حق المسلم، تؤهلان عباد الله إلى قبول التواضع والتمسك به والحرص عليه؛ لأن الشخصية الإنسانية كثيراً ما يعتورها الغرور والتكبر والبعد عن التواضع، إذا كثرت الأموال بدون هيمنة الإنسان عليها، وغرور المسلم بقوته، التى تدفعه فى أحوال إلى الانتقام من الآخرين، فإذا ما تخلص من هاتين الصفتين المسيطرتين تحولت نفسه إلى خلق التواضع الذى يرتفع به شأنه أمام الله وأمام البشر.

لقد تجلى خلق التواضع فى حق الرسول ﷺ فكم من مرة يأتيه الرجل خائفاً ومرتعداً عند مقابلة الرسول، لخطأ ارتكبه أو سلوك غير لائق، متوقعاً أن يُنزل الرسول به أشد العقاب، لكنه يقابله بأدب جم وتواضع عظيم فيقول له: «هون عليك فلست أنا إلا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد»[1].

٣ـ سلوكيات متواضعة:

لقد حفل تاريخ الصحابة والتابعين بمئات المواقف، التى تجلى فيها التواضع فى أعلى قيمة وأحسن سلوك، احتمى به وحرص عليه هؤلاء الأفذاذ الذين قدموا للبشر من المسلمين وغيرهم نماذج رائعة من السلوكيات المتحضرة.

وقدم أستاذنا الدكتور/ **أحمد الشرباصى** (رحمه الله) نموذجاً رائعاً، اقتبسه من تاريخ الخليفة الراشد عمر بن العزيز فقال: "وهذا هو الخليفة العادل

---

[1] **القديد: هو اللحم المجفف، فوق الأحجار وتحت الشمس، وهو أقل جودة وقيمة من اللحم الطازج الذى أعد إعداداً مختلفاً.**

خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز، يضرب الأمثلة الرائعة فى التواضع وهو خليفة، فثيابه تقدر باثنى عشر درهماً، وكان عنده بعض جلسائه، فاحتاج السراج إلى إصلاح، فقام إليه عمر فأصلحه، فقال له من معه: كنا نكفيك ذلك. فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قمتُ وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص منى شئ.

ولقد اشترى ابنه خاتماً غالياً. فكتب إليه عمر يقول: «بلغنى أنك اشتريت خاتماً بألف درهم، فإذا آتاك كتابى هذا فبع الخاتم، وأشبع بثمنه ألف بطن، واتخذ لك خاتماً بدرهمين، واكتب عليه: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه»[1].

وهكذا تجلت لنا صفة التواضع بمكوناتها الإيمانية، التى تقدم معالم الصورة المثلى للإنسان المسلم، الذى تحدثت عنه سورة الفرقان، بدءاً من قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[2]. إلى أخر ما نزل من السورة فى هذا الشأن.

والتى تتواصل فيها الآيات، مُحَدِّدةً كثيراً من معالم الشخصية المسلمة، التى يجدر بنا أن نطالع ملامحها، وأبرز خصائصها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وفى الكثير من سلوكيات الصحابة والتابعين، تلك التى تكشف إلى حدود بعيدة مقدار التسيب والتفريط فى خصائص شخصية المسلم، التى يجب الحرص عليها والالتزام بها.

---

[1] موسوعة أخلاق القرآن د. أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ٧٤ ، صـ ٧٥.

[2] سورة الفرقان الآية ٦٣.

٢ـ قيـــام الليــل
للصلاة ، وقراءة القرآن ، ومدارسة السنة

من ملامح عباد الرحمن: أنهم يحرصون على قيام الليل، خاصـــة فـــى الجزء الأخير منه، للصلاة النافلة، وقراءة القــرآن الكــريم، وتــدبرِ معانيـــه، والانشغال به، والانصراف إليه مما يقــرب المتهجــدين المخلــصين مــن الله سبحانه وتعالى.

١ـ حديث القرآن والسنة عن قيام الليل:

قال الله تعالى فى سورة الفرقان فـــى حـــق عبـــاد الـــرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾[1] أى أنهم يقضون شطراً كبيراً من الليل، فـــلا ينامون فيه، وإنما يسهرون لأداء الصلوات النوافل – أى غير المفروضة– لأن صلاة الليل ذاتُ خصائصَ تميزها عن غيرها من صلوات النهار، ففى ســـكون الليل تخلو النفوس الطيبة للعبادة، وتصفو القلوب المؤمنة لمحبة الرحمن، بعيـــداً عن شبهة التظاهر والرياء، والمؤمن عندما يصلى، كأنه فى وضع ينـــاجى الله سبحانه وتعالى، وعندما يقرأ القرآن كأن الله يكلمه ويحدثه، ولذلك توجب هـــذه العبادة مزيداً من الخشوع والخضوع، وتعطى الأبدان هدوءاً واستقراراً، وأمنـــاً واطمئناناً، ففى الصلاة مجموعة أمور جديرة بمن أسماهم القرآن عبادَ الرحمن، وهى أنهم يقومون جزءاً كبيراً من الليل، يسهرون فيه؛ للصلاة بما فيهـــا مـــن حركات وسكنات تبدو فى السجود والقيام، وقد تقدم السجود فى الذكر بالآية؛ لما له من منزلة كبيرة على ما عداه فى الصلاة...

«.... والتعبير يبرز من الصلاة السجود والقيام؛ لتصوير حركة عبـــاد الرحمن فى جنح الليل، والناس نيام، فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سُـــجداً وقيامـــاً، يتوجهون لربهم وحده، ويقومون له وحده، ويسجدون له وحده.

---

[1] سورة الفرقان الآية ٦٤.

هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ، بما هو أرْوَحُ منه وأمتع، مشغولون بالتوجه إلى ربهم، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به، ينام الناس وهم قائمون ساجدون، ويخلُد الناس إلى الأرض، وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن «ذى الجلال والإكرام»[1].

وأفضل ما يميز الصلاة، هو الخشوع لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[2].

وقال أبو حامد الغزالىّ: «اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان، ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عزوجل، ومَنْ رُزِق ذلك فإنه يكون خاشعاً فى الصلاة، وفى غير الصلاة، بل فى خلوته، وفى بيت الماء عند قضاء الحاجة، فإن موجب الخشوع ومعرفة اطلاع الله تعالى على العبد، ومعرفة جلاله، ومعرفة تقصير العبد، فمن هذه المعارف يتولد الخشوع»[3].

وقد روى أن الرسول ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم من الليل،فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين**»[4].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[5]، أى اترك النوم فى الليل، لأجل إقامة الصلاة، وكان الرسول ﷺ كما روت السيدة عائشة رضى الله عنها، قالت: «**كان ينام أول الليل، ويقوم آخره فيصلى**»[6]، وجاء الأمر مباشراً بالقيام عندما التف بثيابه، واعتكف حزناً

---

[1] فى ظلال القرآن جـ ٥ ص ٢٥٧٨.

[2] سورة المؤمنون الآية (١ – ٢).

[3] إحياء علوم الدين جـ١ صـ١٧٧.

[4] رواه مسلم.

[5] سورة الإسراء الآية (٧٩).

[6] متفق عليه.

على ما يقوله المشركون، قال الله تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ، قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ، نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ، أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾[1].

٣- قيام الليل والإخلاص في الدعاء:

يخضع مقدار قيام الليل لطاقة المؤمن، ومستوى إيمانـــه، فقـــد يكـــون النصف أقل أو أكثر، وفيه إلى جانب الصلاة، قراءة القرآن، والابتهال إلى الله، والإخلاص في الدعاء.

ولقد وصف القرآن الكريم عباد الرحمن الصالحين في قيامهم الليل، فقال تعـــالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[2]، وقال: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ، وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[3].

ومعنى **مَا يَهۡجَعُونَ** : أي لا ينامون كل الليل، إذ كان عباد الرحمن في أول الدعوة، يجدون في صلاتهم بالليل أماناً لهم من بطش قريش بهم.

وروى أن الرسول ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجـــل أتـــاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ أتاه الله مالاً فهو ينفقـــه آناء الليل وآناء النهار**»[4].

وليس الحسد هنا على حقيقته، وإنما المقصود ما يسمى (**الغِبْطَة**) وهـــي أن يتمنى الإنسان أن يكون لديه مثل ما للآخرين، وذلك جائز، خاصة إذا كانت الرغبة في مقام العبادة مثل: الصلاة وقراءة القرآن، وإنفاق الأموال، ابتغـــاء الله تعالى، والله يهدينا إلى سواء السبيل.

---

[1] سورة المزمل الآية (١-٤).

[2] سورة السجدة الآية (١٦).

[3] سورة الذاريات الآية (١٧ ، ١٨).

[4] مسلم وغيره.

٣ـ التضرع إلى الله تعالى
بالدعاء والذكر وقراءة القرآن

يجتهد عباد الرحمن فى العبادة والذكر، وقراءة القرآن الكريم، لكنهم يخشون عقاب الله تعالى، فيتجهون إليه بالدعاء، والابتهال؛ ليصرف عنهم ما يمكن أن يلحق بهم، إما لعدم ثقتهم فى بناء أحوالهم، أو لشعورهم بالضعف والحاجة إلى الله سبحانه وتعالى؛ ليدفع عنهم شرور الدنيا، وعقابات الآخرة.

١ـ خصائص الدعاء في حق عباد الرحمن:

قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ، إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا** ﴾[١]، أى أن من أوصاف عباد الرحمن: أنهم – مع طاعتهم – خائفون من عذاب الله؛ مبتهلون إليه، ولذا فهم يتوسلون بالدعاء، ويقولون في سجودهم وقيامهم: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.

وذكر الزمخشرى: «هذا الدعاء فى حق عباد الرحمن إيذاناً بأنهم مع اجتهادهم، خائفون مبتهلون إلى الله فى صرف العذاب عنهم»[٢]، ومعنى غراماً، أى هلاكاً وخسراناً ولازماً وموجعاً مؤلماً، وساءت مستقراً، أى بِئْسَتْ مقاماً، فجاء قول الله تعالى: **إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا** ، وقوله: **إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا** بمثابة تعليل؛ لتوجه عباد الرحمن إلى ربهم بأن يصرف عنهم عذاب جهنم، أو أن تكون الجملة الثانية تعليلاً للأولى.

والدعاء: تضرع إلى الله، وخضوع له سبحانه، وهو لا ينفصل عن ذكر الله، كما أن ذكر الله لا ينفصل عن الدعاء، قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الذكر: لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء: الحمد لله»**[٣].

---

[١] سورة الفرقان الآية (٦٥ ، ٦٦).

[٢] تفسير الكشاف حـ ٣ صـ ١٠٠.

[٣] رواه الترمذى، والنسائى، وابن ماجة، وابن حبان عن جابر رضى الله عنه.

والدعاء: طلب للمغفرة ووسيلة للقرب من الله، وصيانة للنفس، وتقوية للعزيمة، واستغناء عما عند الناس.

٢ـ الفرق بين الدعاء وثمرات الإيمان الأخرى: كالتسبيح والاستغفار:

الدعاء: بحر واسع، وتواصل سامٍ، تتعدد وسائله، لكن غاياته واحدةٌ، وهى الاقتراب من الله، وتأكيد الحدود الفاصلة، والعلاقات المحددة بين العباد ورب العباد.

فالدعاء قد يكون متمثلاً فى التوجه إلى الله، والاستعانة به؛ لقضاء أمر من الأمور، وقد يكون ذِكْراً: قرآناً أو تسبيحاً أو استغفاراً، فيتفضل المولى سبحانه بالنعمة والرحمة"[١].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣].

والتسبيح دعاء وبيان لتنزيه الله سبحانه وتعالى، وتفرده بالملكوت والجلال، وقد افتتحت سبع سور من كتاب الله الكريم بالتسبيح، بالإضافة إلى الآيات الكثيرة من القرآن؛ ليبق المؤمنون متذكرين التسبيح بحمد الله تعالى، قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

---

[١] من كلام الدكتور عبدالحليم محمود فى مقدمة كتاب الدعاء المستجاب لأحمد عبدالجواد صـ ١٠.

[٢] سورة البقرة الآية (١٨٦).

[٣] سورة غافر الآية (٦٠).

[٤] سورة الإسراء الآية (١).

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1].

وروى أبو هريرة عن الرسول ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[2].

والاستغفار: طلب العفو والمغفرة من الله تعالى، وليست له أبعاد محددة من ناحية الألفاظ، فكل ما تيسر للمؤمن أن يعبر به صادقاً في لجوئه واحتمائه بالله؛ لطلب الرحمة والمغفرة، فهو طيب محمود بإذن الله تعالى، كما أنّ الثمرات المترتبة عليه لا حدود لها: ومنها المغفرة ، ونزول الغيث، وزيادة الأموال، والمباركة في الأهل والذرية، وذلك ما وعد الله به عباده، إذ قال: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ، يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ، وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٍ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»**[4]، وتشمل قراءة القرآن كل ذلك، قال تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ، يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ، وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٍ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا﴾[5].

---

[1] سورة الإسراء الآية (٤٤).

[2] رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

[3] سورة نوح الآية (١٠-١٢).

[4] رواه ابن ماجة في باب الأدب.

[5] سورة نوح الآية (١٠-١٢).

٣ـ بعض الأدعية والسلوكيات الخالدة:

إن أعظم وأخلد وأرقى ما يستقر فى وجدان المؤمن من أدعية، هو ما جاء فى القرآن الكريم، ولهذا الدعاء القرآنى بخاصة، آداب وشروط وأوقات وأمكنة، تجعل للدعاء سمتاً وهيبة وتأثيراً، ويأتى دعاء الرسول الذى يشمل سائر الأحوال التى ترتبط بالمسلمين، ويجيئ بعد ذلك أدعية عباد الرحمن التى تسمو بأفئدتهم، وترقى بحواسهم إلى درجات عليا فى سلم الإيمان والتقوى.

فمن أدعية القرآن الكريم: قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾**[١]. وقوله تعالى: **﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾**[٢].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: أنه كان يقول: «**اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر**»[٣].

٤ـ التضرع إلى الله تعالى بالدعاء، والذكر، وقراءة القرآن:

قال رسول الله ﷺ: «**حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع**»[٤].

وذكر الدكتور/ **عبدالحليم محمود**[٥] ما يأتى حيث قال: «ولقد حدث فى مصر، أن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلاً فى فترة من الفترات لرى

---

[١] سورة البقرة الآية (١٢٧).

[٢] سورة آل عمران الآية (٨).

[٣] رواه مسلم.

[٤] رواه أبو داود (من كتاب خلق المسلم) للشيخ محمد الغزالى صـ ١٢٤.

[٥] فى مقدمة كتاب الدعاء المستجاب لأحمد عبدالجواد صـ٧.

أرضه، وكاد الزرع يصبح حطاماً، فجلس الرجل وسط مزرعته الفسيحة، وقال: اللهم إنك قلت وقولك الحق ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1] وها أنا ذا يارب استغفرك راجياً أن تَفيضَ علينا من رحمتك ، ثم أخذ فى الاستغفار، ومضت ساعات، وهو يتابع الاستغفار فى هَمةٍ وفى ثقة بموعود الله تعالى، وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم، وإذا بالمطر ينزل فياضاً مدراراً.

ومن المعروف أن الصالحين حينما يصيبهم ضعف، يلجأون إلى الله بالاستغفار، فيتحقق لهم وعده،.وهو قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[2].

ومما كان يدعو به الشيخ محمد متولى الشعراوى: «اللهم عاملنا بالفضل لا بالعدل، وبالإحسان لا بالميزان، وبالجبر لا بالحساب» والله يهدينا إلى سواء السبيل.

وقد حُكى عن أبى يوسف الفقيه، (صاحب أبى حنيفة النعمان) أن رجلاً كان يجلس إليه فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تسأل؟ قال: بلى، متى يفطر الصائم؟ فقال: إذا غربت الشمس، قال: فإن لم تغرب إلى نصف الليل؟ قال: فتبسم أبو يوسف – رحمه الله– وتمثل بيتى الخطفى جد جرير:

عَجِبتُ لإزراء العيىّ بنفسه ... وصمتِ الذى قد كان بالقول أعلما

وفى الصمتِ سترٌ للعَيىّ وإنما ... صحيفةُ لُبّ المرءِ أنْ يتكلما[3]

ما أجمل أن يلتزم المؤمنون فى حياتهم بالكلمة الطيبة والشهادة الصادقة، والنصيحة الراشدة، وإلا فليكن الصمت جميلاً وهادفاً، ومتوازناً، فى ضوء الالتزام الخلقى بآداب الإسلام، التى تحفظ التوازن بين الناس، وتصون العلاقة بين المسلمين، والله ولى التوفيق.

---

[1] سورة نوح الآية (١٠ ، ١١).

[2] سورة هود الآية (٥٢).

[3] أدب الدنيا والدين صـ٣٣٨.

٤ـ الإنفــاق
بلا إسـراف ولا تقتـير

إن ما يتصفُ به عباد الرحمن، أنهم يحرصون على الإنفاق فى سـائر وجوه البر، دون الوقوع فى مخاطر الإسراف، أو المن والرياء، كمـــا أنهـم ينتصرون على آفات الشح والتقتير، وسائر الخصال التى تُقوّى فـى الإنسان رغبة التملك والسيطرة على المال، الذى هو عرض زائل لا يجلب سعادة دائمة، ولا راحة مستمرة.

١ـ قيمة الإنفاق توسطاً واعتدالاً في المنهج الإسلامى الذى تتجه العناية فيه إلى الفرد والمجتمع:

إن هذا الخلق الذى يبرُز فى خصائص عباد الرحمن وطبـائعهم، نـد تحدث القرآن الكريم عنه، فقال تعـالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾[1].

والإنفاق: هو البذل والعطاء والانتصار للنفس، ودحر للأنانية والبخـل والشح والتقتير.

والإسراف: مجاوزة الحد فى النفقة، **ويقتروا:** أى يضيقوا، ويشحوا على أنفسهم، وعلى ذرياتهم، وعلى سائر المحتاجين بشكل عام، **وقواماً:** أى عـدلاً، ووسطاً بين الإسراف والتقتير.

ويمثل ذلك أيضاً قـولُ الله تعـالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾[2].

ولقد وصف الله عباد الرحمن بالإنفاق بلا إسراف ولا تقتيـر، وكـان صنيعهم فى الأمر توسطاً واعتدالاً، فلا هو تجاوز للحد فى العطــاء، ولا هـو تقتير وشحّ وتقصير.

---

[1] سورة الفرقان الآية (٦٧).

[2] سورة الإسراء الآية (٢٩).

وقال **الزمخشرى**: «أولئك أصحاب محمد ﷺ: كانوا لا يأكلون طعامهم للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة، ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم، ويعينهم على عبادة ربهم، ويلبسون ما يستر عوراتهم، ويُكِنهِّم من الحر والقر (البرد)»[1].

وقال عمر رضى الله عنه: «**كَفَى سَرَفاً أن لا يشتهى رجل شيئاً إلا اشتراه، فأكله**» ورحم الله الشاعر الذى قال:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغِبتها وإذا تُرد إلى قليل تقنعُ

٢ـ هل فى الإنفاق إسراف؟

ذكر العلماء في هذا الأمر رأيين:

الأول: يقع الإسراف فى الإنفاق كثيراً؛ لأن الاعتدال هو المأمور به، إذ يترتب على الإسراف ضياع لحقوق الآخرين، مثل الزوجة والأبناء، كما أن الإسراف فى الإنفاق على الأهل، وسائر من يلتزم الإنسان بالنفقة عليهم، قد يأتى بعواقب غير محمودة، إذ إنه فى أبسط الأحوال يصيب الآخرين ببعض الإحباط والكراهية، عندما يشاهدون هذا السرف ولا يملكون ما يحققون به أبسط المتطلبات، إذ إن الإنفاق ينبغى أن يكون فى الحدود المعقولة، وبحيث لا يؤثر على حركة الحياة فى المستقبل، لمن يستفيدون من الإنفاق إسرافاً أو تقتيراً.

والعفو: أى السهل على النفوس بذلُهُ، بأن تُعطيَه، وهى سمحة به[2].

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[3].

---

[1] تفسير الكشاف جزء ٣ صـ ١٠٠.

[2] المصحف الميسر للشيخ عبدالجليل عيسى.

[3] سورة البقرة الآية (٢١٩).

الثاني: أن الإنفاق لا يكون فيه إسرافٌ إلا إذا وُجّه إلى المعاصي، فأما في القُربِ والطاعات فلا إسراف، كما جاء التحذير من التقتير، الذى يُلحق أضراراً بالمحتاجين والفقراء من أقارب المنفق، وغيرهم.

والحُسْن والأفضلية فى ذلك هو التوسط والاعتدال، ويرجع هذا إلى طبيعة كل شخص وقدراته واستعداده ومتطلبات أهله، ومستحقى نفقاته.

وقال أحد العلماء (**النحاس**): «ومن أحسن ما قيل فيما معناه: أن ما أُنفق فى غير طاعة الله فهو الإسراف، ومن أمسك عن طاعة الله عزوجل فهو الإقتار، ومن أنفق فى طاعة الله فهو القَوَام»[1]، والمعنى إنفاق عباد الرحمن فى المباحات، وعليه فإنفاق المال فى غير طاعة الله مرفوض كثيره وقليله، أما النفقة فى الطاعة،فالأدب هو الاعتدال؛ حتى لا تضيع حقوق المعنيين بالإنفاق، كما يُتَحاشى التقتير؛ لما له من آثار ضارة على المستحقين، قال الرسول ﷺ: **«فى رواية لأبى هريرة: "خير الصدقة ما كان عن ظَهْر غِنَى، وابدأ بمن تعول»**[2].

وقال ﷺ: **«حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع»**[3].

وأضاف القرطبي: «وخير الأمور أوساطها، ولقد ترك الرسول أبا بكر يتصدق بجميع ماله؛ لأن ذلك وسط فى الدين – بينما منع غيره من ذلك"[4].

٣ـ مظاهر فساد الإنفاق بالمن والأذى:

ينبغى أن يكون الإنفاق خالصاً لوجه الله تعالى، فلا تشوبه شائبةٌ من تظاهر ورياء، وتحقيق منافع ذاتية، كما تتأثر مشروعية الصدقات التطوعية غير المفروضة، بالمن على المستحق للنفقة، وإلحاق الأذى والضرر به وبأسرته،

---

(١) تفسير القرطبى جزء ١٣ صـ ٧٢.

(٢) رواه الخمسة إلا الترمذى.

(٣) رواه أبو داود عن خلق المسلم للغزالى صـ ١٢٤.

(٤) تفسير القرطبى جزء ١٣ صـ ٧٣.

وتتحول المحبة والألفة، وهي بعض المستهدفات من الإنفاق إلى كراهية وبُغض وشحناء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[1]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾[3].

٤ـ أحوال الإنفاق بين السرية والجهرية:

دعا الإسلام إلى الإنفاق بلا إسراف ولا تقتير، ولم تقتصر الدعوة على سرية الإنفاق أو إعلانه، وإنما ارتبط العطاء بالحالة المناسبة لذات المنفق، وظروف المستحق، ما دام الفعل خالياً من الرياء والتظاهر والمن والإزدراء للمستحقين قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾[5].

ومما قيل في بيان الأفضلية: إن الإعلانَ أفضلُ في الزكاة المفروضة، أما في صدقات التطوع، فإن الإخفاء أفضل، لكن المسألة بصورة عامة تتوقف على لوازم الحالة بكافة جوانبها.

قال **أبو حامد الغزالي**: «اعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه، ليس اختلافاً في المسألة، بل هو اختلافُ حال، فَكَشْفُ الغطاء في هذا أن لا نحكم حكماً باتاً بأن الإخفاء أفضل، في كل حال، أو الإظهار أفضل، بل يختلف ذلك باختلاف النيات، وتختلف النيات باختلاف الأشخاص»[6].

---

[1] سورة البقرة الآية (٢٦٤).
[2] سورة البقرة الآية (٢٦٢).
[3] سورة البقرة الآية (٢٦٣).
[4] سورة البقرة الآية (٢٧٤).
[5] سورة آل عمران الآية (١٣٤).
[6] إحياء علوم الدين جزء ٣ صـ ٢٣٥.

وقد تقدم ذكر السر فى الإنفاق على العلانية والجهر[1].

بينما ذُكر الإظهار أو الجهر فى قول الله تعـالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2].

فالدعوة إلى الإنفاق مستمرة فى سائر الأحوال، وبكافا المقـادير، قـال تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]، وأن الإنفاق ينبغى ل يكون من أفضل الأشياء، خاصة التى تمثل قيمة ومحبة لدى المنفق الكريم، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4].

وأن يكون التصدق حالَ القوة، والقدرة على الكسب،إذ إن الله تعـالى يبارك ويُنَمِّى ما تبقى لدى الإنسان، وفيما هو مستخلف فيه، ولله يقـول الحـق ويهدى إلى سواء السبيل.

---

[1] راجع الرعد ٢٢، إبراهيم ٣١، والنمل ٧٥، وفاطر ٢٩.

[2] سورة البقرة الآية (٢٧١).

[3] سورة التوبة الآية (١٢١).

[4] سورة آل عمران الآية (٩٢).

٥ـ الإيمان بوحدانية الله تعالى

تتجلى فى آخر سورة الفرقان، بعض الصفات التى يتحلى بها عباد الرحمن، الذين يشكلون البنية المؤمنة فى عناصر المجتمع المسلم، وهم محل القدوة عند الآخرين بما يتميزون به من تمسك ملتزم، ومؤثر فى اعتصامهم بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، ولذلك يُعد الإيمان بوحدانية الله أعلى درجة، وأسمى مكانة فى مجمل العقيدة المميزة عما سواها.

١ـ الدلائل البارزة فى مضمون الإيمان بوحدانية الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[١].

وقد جاء هذا الجزء من الآية؛ تعبيراً عن حتمية الإيمان بالله، وتوحيده، وعدم الاشراك به، إضافة إلى ما نصّت عليه الآية من صفات إيمانية أخرى، ذات أنوار يقينية تبعث الثقة، والطمأنينة فى النفس المؤمنة، وهى تنتقل من مرحلة اللوم، وتأنيب الضمير إلى النطاق الرحب، والعالم الفسيح للنفوس الراضية المرضية، والمطمئنة إلى عفو الله، ومغفرته.

وكتب القرطبى عن هذا الجزء المذكور من الآية، فقال: إنه «إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة فى عبادتهم الأوثان، وقتلهم النفس بوأد البنات، وغير ذلك من الظلم والاغتيال، والغارات، ومن الزنى الذى كان عندهم مباحاً»[٢].

ولقد كانت علاقة القدماء بعقيدة الإيمان والتوحيد، متقلبة بين الثبات والتحول، إذا أسندوا فى مرحلة من الزمن– وذلك فى القرون الموغلة فى القدم– أسندوا الخير الذى عرفوه إلى الله تعالى، وارتبطوا بتلك المعرفة وتحمسوا لها، ودافعوا عنها، فلما عرفوا الشرّ، ورأوه متجسداً فى السلوكيات الماثلة أمامهم،

---

[١] سورة الفرقان الآية (٦٨).

[٢] تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ٧٥.

أسندوه لغير الله سبحانه وتعالى، وانتشرت فى مراحل تالية فكرة تعدد الأديان، لكن الناس لم يلبثوا أن عادوا إلى التوحيد، خاصة فى دعوة بعض المميزين منهم[١] إلى الإيمان بالواحد الأحد، ثم واصلت الإنسانية مسيرتها نحو الإيمان، واتخذوا من القوة الخارقة فى الطبيعة نماذج مختلفة، تكون بمثابة وسيلة، أو واسطة إلى مجال الربوبية: كعبادة الأصنام والنجوم، والكواكب، مجسدين النظرة إليها، على أنها وسائل يقتربون بها من الواحد القهار[٢].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾[٣]، ويتجلى المضمون الشرعى على قضية التوحيد الإلهى فى عبارة (**لا إله إلا الله**)، وقد جاء فى الحديث القدسى عن رب العزة جل جلاله: «**لا إله إلا الله حِصْنِى، ومن دخل حصنى، أمِن عذابى**»[٤].

وروى عن معاذ بن جبل رضى الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفاتيح الجنة، شهادة أن لا إله إلا الله**»[٥].

وينبغى علينا فى ظلال الحاجة إلى انتشار صفات عباد الرحمن تأكيداً، أن النطق بجملة (**لا إله إلا الله**)، يقتضى الخضوع لها، والعمل بمعناها فى العبادة، والاستقامة على طريق الله القويم، ذلك أن من تحصن بشرف هذه الكلمة، والتزم بمقتضاها، خرج من نطاق الخوف إلى دائرة الأمن والطمأنينة، والعيش فى معية الله سبحانه وتعالى.

---

[١] هو: أخناتون.

[٢] ينظر كتاب أسئلة حرجة للأستاذ/ عبدالرازق نوفل صـ ٢١.

[٣] سورة الفرقان الآية (٦٠).

[٤] رواه أبو نعيم، وابن النجار، وابن عساكر.

[٥] رواه البزار ، وأحمد.

٢ـ الدعائم التي تتألف منها عقيدة التوحيد:

تبنى عقيدة التوحيد على كم هائل من الدعائم، التـى تـشكل منظومـة متكاملة فى هذه القضية، والتى ربما لا يحسن البعض فهمها؛ اعتقاداً بأنه يكتفى فيها على ترديد قول (لا إله إلا الله)، دون الانتقال بهذه الكلمة (الـشهادة) مـن دائرة القول المرسل، إلى نطاق العمل المثمر؛ لخدمة الدين والحياة.

أبرز ملامح هذه الدعائم:

أـ إخـلاص العبـادة لله:

لقد ذكر بعض العلماء هذا التوجه فى الإخلاص، فقال: "والأصـل فـى الأعمال جميعها أن تكون خالصة لله، أو أن يكون المراد منهـا هـو وجـه الله ومرضاته ، وذلك إذا ما ابتغى العامل من الله القبول، وأن يحتسب عملـه مـن العبادة التى تقربه من ربه"[١].

ذلك أن المعيار فى صحة الأعمـال وقبولهـا، أن تكـون مـشروعة غيرَ مبتدعة، وخالصة لله تعالى، وهو المعيار الذى تُوزن به الأعمال قبـولاً أو رفضاً، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَـٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٢]، وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٣].

بـ عـدم المـراءاة:

إن من المعلوم لسائر عباد الرحمن المخلصين، والأئمة المتقين، أن مِن يرائى بأفعاله، وأقواله؛ متظاهراً بها أمام الناس، فإنه يقترب بسلوكه من إسـناد القدرة على العطاء، والحكم بالنفاذ فيما يسعى إليه من آمال، وطموحات إلى غير الله تعالى، وبذلك يكون قد أشرك به فى السلطة، والملكوت من يتظاهر أمـامهم نفاقاً، ورياءً؛ حتى ينال الرضا والقبول.

---

[١] الإنسان فى الإسلام للدكتور/ أمير عبدالعزيز – طبع دار الفرقان عام ١٩٨٤ صـ ٧١.

[٢] سورة غافر الآية (٦٥).

[٣] سورة البينة الآية (٥).

جـ- الاعتزاز بالعبودية لله تعالى:

إنّ وحدانية الله سبحانه وتعالى، وصدق الإيمان بالدعوة الإسلامية، يؤهل عباد الرحمن المخلصين، وسائر المؤمنين المتقين إلى الاعتزاز بالعبودية لله، والخروج من نطاق أى دائرة يقترب منها الشيطان وحزبه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[1].

كما أن العبودية الحقة تمثل منزلة سامية يتطلع إليها المخلصون من عباد الرحمن، الذين يمثلون علامات مضيئة في طريق الله المستقيم.

وقد قيل في التعبير عن هذا التوجه:

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدتُ بأخمصي أطأ الثريا

دخولى تحت قولك (يا عبادى) ... وأن صيرت أحمد لى نبياً

وقد قال أستاذنا الشرباصي – رحمه الله –: ولا عجب فالعبودية هى أعلى مراتب الدين، وأرقى درجات الطاعة، وإلى هذا يشير قول سيدنا رسول ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2].

٣- بيان لبعض النماذج من البيان النبوى فى الدعوة إلى التوحيد:

إن أخطر ما يهدد المجتمع الإسلامى هو الفصل بين النظرية القولية، والتطبيق العملى لتعاليم الإسلام، وقد أصبح المجتمع الإنسانى فى حاجة إلى من يُعرِّفهُ، ويشرح له المنهج الإسلامى فى الدين والحياة، وقد كانت بداية الدعوة إلى التوحيد فى غاية البساطة واليسر، وهى تنتقل إلى طور جديد فى ظلال الإسلام.

---

(1) سورة الإسراء الآية (٦٥).

(2) رواه مسلم فى كتاب الإيمان، ورواه البخارى عن أبى هريرة بمعناه.

وروى أن أبا معبد مولى ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: سمعت ابن عباس يقول: لما بَعَثَ النبى ﷺ معاذاً إلى نحو أهل اليمن، قال له: **«إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم على أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم، تؤخذ من غنيهم، فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقّ كرائم أموال الناس»**[1].

وكان الرسول ﷺ فى مرحلة تالية من عمر الدعوة، خاصة فى المدينة يوصى أمته، بتجنب الشرك بالله؛ تخوفاً، مما يمكن أن تتحول إليه المعتقدات المتجددة، وذلك ما حدث فى مراحل تالية، التى انقطع فيها الفكر الإنسانى – فى معظم توجهاته – عن الإشراك القديم بالله، وانحرف إلى سلوكيات جديدة متجسدة فى عبادة الأهواء والرغبات، وفقد الإحساس بالأمان مع أحكام الواحد القهار.

---

[1] **حديث بلفظ البخارى، وفى صحيحه رقم ٧٣٧٢ حـ ١٣ (فتح البارى).**

٦- الحفاظ على النفس البشرية

عرض القرآن الكريم لمجموعة من الخلال الحميدة، التي يتصف بهـا، الصادقون من عباد الرحمن المخلصين، ومن ذلك حفاظهم على النفس البشرية، فلا يعتدون على الآخرين بقتلهم، وإبادتهم، أو ممارستهم الانتحار الذى يقع من الشخص، بهدف إنهاء حياته بهذه الطريقة المحرمة، أو بممارسة لون آخر مـن الانتحار، الذى يوصف بالبطيئ، كتعاطى المخدرات وما شابه ذلك.

١- الحفاظ على النفس البشرية فى ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية:

لقد أشار القرطبى فى تفسيره إلى بعض حالات قتل النفس، التى رفعها الله سبحانه وتعالى من مجموع صفات عباد الرحمن، كما استثنى صفاتٍ أخرى هى – أساساً – من سلوكيات غير المؤمنين، والتى كانت منتشرة فى المجتمـع العربى بخاصة، قبل البعث المحمدى، قال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [١].

وهذا القتل الذى هو صفة منفية عمن تَعْمُرُ قلوبهم بالإيمان، وتزداد ثقتهم فى الله، ويؤمنون بقضاء الحق، وقدره، فلا يمارسون طغياناً على الذات الإلهية، فيحاولون سلب ما ليس لهم، وهو من كمال وتمام الجلال الإلهى.

ويتجلى الحفاظ على النفس البشرية، وصيانتها من خلال هذه الأحوال:

أ- **عدم القتل العمد** لأحد من بنى الإنسان قريب أو بعيد، صغير أو كبير، رجل أو امرأة، وسواء أكان ذلك مرتبطاً بحادث آخـر كالسـرقة والاغتـصاب، أم للثأر والانتقام، أم كان لغير ذلك، مثل: بعض التصرفات الطائشة، التـى يكون القتل العمد فيها عشوائياً، لا معنى له سوى إثارة الرعب والفزع بـين أفراد المجتمع.

---

[١] سورة الفرقان الآية (٦٨).

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[١].

ويقع القتل العمد بين مقدمة الموبقات السبع، وغيرها التى ذُكرت فى عداد الكبائر، والجرائم شديدة التأثير، والانعكاس على المجتمع، وقد قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف**[٢]**، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[٣].

إن الإطار العام لعلاقة الإنسان بغيره هو الاحترام والتقدير، وعدم الاعتداء بأى صورة من الصور، وعلى أى شئ من الجسم، والأهل، والمال، وسائر المتعلقات البدنية، والمعنوية، على أن قتل النفس المؤمنة لا يضاهيها إلا جريمة الإشراك بالله؛ لأنهما يمثلان اعتداء على حقوق الله فى العباد.

إن قتل النفس التى حرّم الله قتلها جريمةٌ نكراء، تأتى فى بداية محاسبة العبد يوم القيامة، قال ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا من مات مشركاً، أو مؤمناً قتل مؤمناً متعمداً**»[٤]، ولذلك إذا ما وصف القرآن الكريم عباد الرحمن، بأنهم لا يمارسون هذه الجريمة، فإنما لتأكيد أن هذه الشريحة الاجتماعية المؤمنة عن عقيدة، وعمل، والتزام، يمثلون الصورة المثلى للمجتمع المسلم فى حياته العامة والخاصة.

---

[١] سورة النساء ٩٣.

[٢] أى الهروب من مواجهة الأعداء.

[٣] رواه الأئمة الخمسة إلا الترمذى.

[٤] رواه أبو داود والنسائى.

ب- **جريمة الانتحار** – الأسباب والنتائج – إن الإنسان بنيان الله، يجب الحفاظ عليه، وإعزازه، وتكريمه؛ حتى تعمرَ الأرض وتستمرَ الحياة، بما فيها من ورع وتقوى وصدق فى العبادة قولاً وفعلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[١].

وقد حدد الشرع الإسلامى بأن جزاء المنتحر فى الآخرة أن تكون له جهنم مصيراً سيئاً، جزاء ما اقترف فى الدنيا فى حق الآخرين بقتلهم، أو بالطغيان على نفسه، وذلك بإزهاق روحه، وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو فى نار جهنم، يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمّاً فقتل نفسه، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[٢].

ولذلك ينبغى التعامل مع هذه الجرائم، بالتنبيه على أهمية الوازع الدينى عند المؤمن، وتطبيق التشريع التنفيذى، الذى تم النص عليه عقاباً على ما يقترفه الإنسان، وذلك إما أن يكون عقاباً دنيوياً، أو أخروياً.

٢ـ القتل البطئ:

القتل البطئ: هو تعريض الجسم للهلاك ليس على الفور، وإنما على المدى القريب أو البعيد، وذلك مثل: تعاطى المخدرات على اختلاف أنواعها، أو الإسراف الشديد فى الأطعمة والأشربة، أو حرمان الجسم من الأكل والشرب بالإضراب عن التناول، لهدف محدد، يبتغيه الشخص من وراء ذلك، وكذا الإهمال فى تناول الأدوية المحددة من قبل الطبيب المعالج، إمَّا ليأس فى الشفاء، وإما للرغبة فى الانتقام من الآخرين، بفعل ما يغضبهم من هذا التصرف البعيد.

---

[١] سورة النساء ٢٩.

[٢] أخرجه الأربعة.

قال تعالى بشأن الإسراف فى الطعام والشراب: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[1].

وعرض ابن القيم لهذا الجزء من الآية فذكر: أن الحق قد أرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب، عوضا عما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن فى الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك، كان إسرافاً، وكلاهما مانع من الصحة، جالب للمرض، أعنى عدم الأكل والشرب، أو الإسراف فيه"[2].

إن الصحة عطاء من الله، ينبغى أن يستثمرها المؤمن لصالح دينه ودنياه، وأن يوظفها فى خدمة الأغراض النبيلة، التى تستمر معها مسيرة الحياة، أما الطغيان على معطيات الحق بأية صورة من الصور، فهو سلوك شائن، ليس من توجهات عباد الرحمن المؤمنين الصادقين، الذين يعرفون حق الله عليهم، ويحافظون على ما وهبه إياهم، وأن الصحة التى ينعمون بها لا يغفلون عنها، بل يجب أن يشكروا الله عليها، وأن يعتبروها من أعظم النعم، التى وهبها الله إياهم، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أصبح معافاً فى جسده، آمناً فى سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»[3].

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لنا ديننا ودنيانا، إنه نعم المولى، ونعم النصير.

---

(1) سورة الأعراف الآية (٣١).

(2) يراجع الطب النبوى لابن القيم صـ١٣٦.

(3) حديث صحيح رواه الترمذى ، وابن حبان.

٧- الابتعاد عن أفحش الذنوب (الزنى)*

تتواصل صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان؛ تأكيداً لأهمية هذه الخصال في تقوية البناء الاجتماعي، المتمثل في العلاقات التي تربط بين أفراد الأمة، على اختلاف أعمارهم ومعتقداتهم، ويتجلى ذلك في ابتعادهم عن الزنى، وهو أفحش الذنوب، وإحدى الكبائر والموبقات، التي نهى الشرع الإسلامي عنها.

١- الزنى جريمة وكبيرة من الكبائر:

قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾[1]، وهذا الابتعاد عن جريمة الزنى، يمثل إحدى أوصاف عباد الرحمن، كما في سورة الفرقان، فهم بعيدون عن ممارسة الفحش، وسائر المنكرات التي نهى الشرع عنها.

والزنى مباشرة الرجل للمرأة خارج العقد الشرعي الصحيح للزواج، مما يترتب عليه أضرار خطيرة في نظام العلاقات الاجتماعية، التي درجت عليها الإنسانية منذ بداية الخلق، ووجود البشر في المحيط الكوني المتسع، بما فيه من عادات وديانات، تحدد معيارية الرابطة بين الرجل والمرأة، في نطاق الزواج، الذي يأتي توظيفاً واستثماراً للرغائب الطبيعية، والغرائز الجنسية، التي تحكم النوعين داخل منظومة الجنس البشري، بعيداً عن الاضطراب السلوكي غير المنظم، الذي يشمل معظم الكائنات الأخرى.

وهو سلوك شاذ، وانحراف أخلاقي يتنافى مع الثوابت الدينية، المستقرة في أعماق النفوس المؤمنة، التي توحد بالله، وتدرك أن المنهاج الشرعي قد جاء تقديراً للإنسان، وحفاظاً على عزته وكرامته، نائياً به عن السلوك الحيواني المنحدر، وهو محرم بين الرجل وأية امرأة، حتى لو كانت على غير دينه،

---

* نُشر بعضه في جريدة اللواء الإسلامي، العدد ١٣٢ في ١٩٨٤/٨/٢.

(١) سورة الفرقان الآية (٦٨).

وكذلك من المرأة المسلمة ومن على غير دينها، وأن التكاثر فى الجنس البشرى يخضع لنظام محدد لا ينبغى اختراقه، أو الخروج عليه فإذا ما حدثت انفلاتات أخلاقية، فإن الإثم ثابت لا محالة، والضرر الناشئ عنه أمر لا شك فيه، تنعكس كلها على البنية الاجتماعية، التى ينبغى أن تترشد سلوكياتها، وأن تُوظَّف قدراتها للرقى بالإنسان، والتكاثر، وزيادة النسل بالمعيار الشرعى الصحيح.

ونأتى إلى آية شهيرة فى القرآن الكريم، تعرض لهذه الفاحشة البغيضة، قال الحق سبحانه وتعالى فيها: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1]، والزنى من أكبر الذنوب، ولذلك جاء التحريم والرفض؛ لما يترتب عليه من آثار ضارة، خاصة فى طرائق التكاثر البشرى، الذى ينبغى أن يكون الخضوع له حسب نظام محدد، تحتكم إليه الإنسانية، ولا تنفلت منه، خاصة إذا كان هذا النظام مستمداً قوته وحصانته من العقائد الدينية المقدسة، وقد عرضت الآية إلى نهى المؤمنين عن الاقتراب من هذه الجريمة، كنوع من الاحتراز والصيانة، قبل الوقوع فى هاويتها، والانغماس فيها بالممارسة المحرمة، والمعنى فى قوله تعالى: ((وَلَا يَزْنُونَ)) أن عباد الرحمن يلتزمون فى العلاقات المحددة بين الرجل والمرأة بما نص عليه الشرع، وأمر به القرآن، كما فى آية الفرقان، تلك الآية التى نفت عن هذا الفريق من المؤمنين صفات الكفر، وقتل النفس بغير الحق، والعقوبة فيها القتل أو القصاص[2]، ويأتى ثالثاً الزنى، وعقوبته القتل حداً بطريق الرجم لمن كان مُحْصَنَاً، أو الحد بالجلْد، لمن كان غير محصن، إضافة إلى (التغريب) أى الإبعاد عن موطن الجريمة ومحل إقامة المذنب.

---

(1) سورة الإسراء الآية (٣٢).

(2) القتل عند الإشراك بالله، والقصاص فى حالة القتل العمد بالشروط المحددة فى كتب الفقه.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربُها وهو مؤمن»**[1].

والمعنى أن الذى يرتكب هذه المنكرات، لا يكون فى حالة وعيه الإيمانى، بل يُعَدُّ خارجاً من معية الله، ومن مجموع صفات المؤمنين، الذين لا ينبغى لهم أن يقعوا فى الفواحش المنكرة.

وقد كتب أحد المفسرين قائلاً: «والتحرج من الزنى هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة، التى يشعر فيها الإنسان بارتفاعه عن الحس الحيوانى الغليظ، ويحس بأن لالتقائه بالجنس الآخر هدفاً أسمى من إرواء سعار اللحم والدم، والحياة الهابطة الغليظة، التى لاهم للذكران والإناث فيها، إلا إرضاء ذلك السعار»[2].

٢ـ آثار هذه الجريمة على الفرد والمجتمع:

إن الآثار المترتبة على هذه الجريمة كثيرة، ومتنوعة، فبعضها يرجع إلى الرجل، وبعضها إلى المرأة، والأثر الأكبر ينعكس على التركيبة الاجتماعية، التى تشهد هذا الانحدار الشاذ فى تصريف الطاقة البشرية إلى غير مساراتها الصحيحة، وذلك أن الرجل عندما ينحرف إلى هذا المستنقع الردئ، فهو مؤهل لأن يُلحق الضرر بأهله وذويه، بمثل ما شارك به من إلحاق أنواع من الأضرار الاجتماعية، التى تنعكس على الطرف الآخر، وهو أهل المرأة، وذلك كله فيما يتصل بالاثنين، حيث يولد هذا السلوك حزازات كثيرة، يتمخض عنها فى الأحوال أمراض عضوية، وأوباء اجتماعية، وصراعات وجرائم أخرى، يتعذر إصلاحها على المدى البعيد، فضلاً عن المخالفة لأوامر الحق سبحانه وتعالى، ورسالة الإسلام السمحة التى تدعو إلى الرحمة والتكافل، وليس إلى الشقاق والنزاع.

---

[1] رواه البخارى ومسلم، وأبو داود، والنسائى، وفى البخارى برقم (٦٧٧٢)، وفى الترغيب (٣/١٩٠).

[2] فى ظلال القرآن – سيد قطب – جـ ٥ صـ ٢٥٧٩.

إن الزنى يؤدى إلى اختلاط الأنساب، وضياع الحقوق، واستنزاف الطاقات فى غير ما يجب أن تكون عليه من الترشيد، والاستقامة، والاعتدال.

كما يتولد عن هذه الجريمة كثير من الأطفال الذين تاهت أصولهم، ولم يُنْسبوا إلى أب شرعى معروف، وصاروا ضحية لتلك الممارسات الخاطئة، التى تأخذ أشكالاً مستحدثة، حاملة ما يسمى زُوراً بالزواج العرفى، وهو ليس عرفياً؛ وإنما هو جريمة منكرة، وفاحشة محرمة، تتمخض عنها أجيال نابتة فى بيئات فاسدة ضالة، فاقدة لهويتها الشرعية السامية[1]، فصار الناس يسمعون عن مشكلات، لم يكن لها تواجد بارز فى العصور القديمة، وهم يُسمُّون الآن أطفال الشوارع، الذين يمثلون مشكلة إنسانية خطيرة فى كثير من المجتمعات.

وعن ميمونة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لاتزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى، فإذا فشا بهم ولد الزنى، فأوشك أن يعمهم الله بعذاب»**[2].

وفيما يتصل باختلاط الأنساب – روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة: **«أيما امرأةٍ أدخلت على قوم مَنْ ليس منهم، فليست من الله فى شئ، ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»**[3].

وتزداد الآثار السيئةُ لهذه الجريمة، ما لو كانت بين اثنين تقترب العلاقة بينهما إلى مستوى، تعد ممارسة هذه الفاحشة طغيانا لا يحتمل، ومنكراً يزداد إثمه ونكرانه، وذلك مثل: زنى المحارم، والرجل الذى يلجأ إلى الفحش، والخيانة مع امرأة جاره.

---

(1) من المؤسف له، أن ذلك قد تجاوز الحدود فى الزمن الحاضر، فقد نشر فى إحدى الإحصائيات أن أكثر من نصف مواليد فرنسا.. غير شرعيين (الأهرام ١٦/١/٢٠٠٨م).

(2) رواه أحمد، وإسناده حسن.

(3) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ : **«أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أى؟، قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلت: ثم أى؟، قال: أن تزانى حليلة جارك»**[1].

وقال الشاعر:

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها[2]

وأن الحكم فى التحريم قائم، ومستمر؛ لأنه لا يتوقف على اختلاط الأنساب، تلك التى يمكن السيطرة عليها فى الوقت الراهن، وإنما يتجاوز ذلك إلى أبعاد اجتماعية متعددة[3].

إن الخجل يملأ أعماق الكثيرين، وهم يتحدثون عن هذه الجريمة، أو يستمعون إليها؛ لما يسفر عنها من أضرار خطيرة، ونتائج وخيمة، وآلام فى الدنيا، وعذابات فى الآخرة.

٣- عقوبة من ثبتت عليه هذه الفاحشة النكراء:

شرع الإسلام فى قانونه للعقوبات التدرج فى الأحكام، مثل شرب الخمر وغيره، كذلك الشأن فى الفاحشة التى نحن بصدد الحديث عنها.

إذ كانت فى بدايات الدعوة إلى الإسلام بسنواته الأولى، متمثلة فيما ذكرته سورة النساء قال تعالى: **﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ، وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾**[4].

---

[1] رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، والحليلة هى الزوجة، انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ صـ١٩٤.

[2] ديوان عنترة صـ ٢٤١ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م.

[3] أنظر أحسن الكلام للشيخ عطيه صقر جـ ٦ صـ٩٤.

[4] سورة النساء الآية (١٥ ، ١٦).

وكانت العقوبة للمرأة متمثلة فى الحجز بالبيت، وعدم الخروج منه، وأما الرجل فعقوبته (التأنيب والتوبيخ) بالكلام[1]، وذلك من باب التعزير، وليس الحد المنصوص عليه شرعاً، وانتقلت العقوبة من باب التدرج إلى الأشد، وهى المتمثلة فى الإعدام رجماً للمحصن والمحصنة[2]، أو الجلد والتغريب لمدة عام على مذهب الإمام الشافعى، بعيداً عن بلده بمسافة القصر.

قال تعالى: ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[3].

والبيان القرآنى واضح لهذه العقوبة لردع العصاة، وترهيب من تخول له نفسه الخروج على المعيار الإسلامى للحياة، وتجلى ذلك فى حتمية التنفيذ، وعدم التساهل فى التطبيق، وليكن ذلك عظة وعبرة ، ولهذا أوجبت الآية ضرورة الشهادة، والحضور لطائفة من المؤمنين؛ حتى يكونوا شهوداً على الردع، ومبلغين للرؤية، إلى من لم يشهد هذا التنفيذ العقابى للخارجين على الشرع والقانون.

فعن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنى، فقالت يا نبى الله: أصبت حداً فأقمه على، فدعا رسول الله ﷺ وليها، فقال: "أحسن إليها، فإذا وضعت فأت بها"، ففعل، فأمر بها نبى الله ﷺ فشكَّت[4] عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها فقال له عمر: تصلى عليها يا رسول الله، وقد زنت؛ فقال: **«لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضلَ من أن جادت بنفسها لله تعالى»**[5].

---

[1] انظر آيات الأحكام لمحمد على الصابونى جـ ٢ صـ١٩.

[2] المحصن: من كان متزوجاً أو سبق له الزواج وكذلك المحصنة.

[3] سورة النور الآية (٢).

[4] شكت عليها ثيابها: حملت عليها، وألصقت بها.

[5] رواه الخمسة إلا البخارى.

وتتجلى فى الحديث المذكور، رحمة الإسلام بالمرأة مع أنها مذنبة، لكن ذنبها ينبغى أن يُوجَّه إليها، وأن تنال العقوبة عليه، وليس إلى من حَمَلَت به سفاحاً، وكان التأخير للعقوبة؛ حتى تضع مولودها الذى لا ذنب له فيما اقترفه أبواه من جريمة.

وينبغى الحرص قبل التنفيذ على التأكد من الممارسة لهذه الفاحشة، وذلك إما بالإقرار، أى الاعتراف مع الاستمرار فيه، وعدم الرجوع عنه، وإما بشهادة أربعة من الشهود العدول، الذين يشهدون الجريمة حال وقوعها، وباشتراطات محددة، وهذا محال أو متعذر، ولم يثبت أن رسول الله ﷺ نفذ العقوبة استناداً إلى شهادة الشهود، انطلاقاً من حتمية درء الحدود بالشبهات، فإذا ما ثبتت الجريمة إقراراً، فيجب التنفيذ دون الشفاعة فيها؛ وذلك حرصاً على هيبة المجتمع وكرامته، والرقى بالإنسان، وارتفاع درجته عن الهبوط إلى منزلة الحيوان.

وهكذا يكون الإثبات والتنفيذ، خاصة أن ذلك ثابت عن الرسول ﷺ حسب ما ورد فى قصة الغامدية وماعز الأسلمى[1]، وهذا مؤكد بالقطع، وبالقياس على إعلان الرسول ﷺ بتنفيذ الحد فيما يخص ابنته فاطمة، ما لو حدثت السرقة منها، إذ قال: "لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها"[2]. فالمسلمون أمام التشريع الفقهى سواء.

٤- منهج عباد الرحمن في العفة والاعتصام بالدين:

إن طريق الإيمان للأتقياء واضح المعالم، التى جاءت محددة فى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ومنها:

---

[1] وقد ورد ذلك فى حديثين مشهورين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما رواه الشيخان وغيرهما، والثانى رواه مسلم وأصحاب السنن، وورد فى جمع الفوائد جـ ١ - انظر آيات الأحكام جـ ٢ صـ٤٨.

[2] متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها.

أ- **انفراد الرجل بالمرأة الأجنبية عنه**، وذلك ما حذّر منه الرسول ﷺ؛ لأن العلاقة بينهما يمكن أن تتحول في اختلاطهما من الإيمان والطهر، إلى الفحش والعُهرْ، فعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يَخلُونَّ أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم»**[١].

ويشمل توقى الوقوع فى هذه الفاحشة، بحظر الانفراد بين المرأة ورجل من أقارب الزوج، مثل: شقيقه، ووالده، وقد رُوى عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحَمُو؟ قال ﷺ: الحمو: الموت**»[٢].

وصار الترخص فى معيار العلاقة بين الرجل والمرأة إلى انتشار زنى المحارم، وما يترتب عليه من مفاسد كثيرة.

ب- **السفور وعدم الاحتشام**، مخالفة لما جاء فى القرآن والسنة؛ ذلك أن العفيفات يمتثلن حرصاً على كرامتهن، وصوناً لأبدانهن من السفور، والتبذل، الذى لا يناسب البيئة الإسلامية، تلك التى انخدش حياؤها، وغَرِقت فى التقليد الأعمى لأمم لا يحكمها دين، أوْ لها دين، لكنها لا تبالى به، ولا تتمسك بأصوله.

فالحجاب الشرعى والالتزام الأخلاقى، عنوان مميز للمرأة المسلمة، خاصة فى الزمن الحاضر، الذى تعددت فيها هيئات النساء، وطرائقهن فى الخروج من البيت ومزاحمة الرجال، والاختلاط المسرف غير المنضبط، الذى تتمخض عنه جرائم أخلاقية متعددة.

قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا** ﴾[٣].

---

[١] متفق عليه.

[٢] متفق عليه، ومعنى الحمو: الموت أى فليمت الرجل ولا يفعل ذلك..

[٣] سورة الأحزاب الآية (٥٩)، وانظر كتاب (أسباب نزول القرآن) للواحدى.

وقال تعالى للرسول بشأن تبليغ الأمر للمؤمنات من نساء المسلمين: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1].

ج- **النظر والتفحص من الرجل للمرأة**، ومن المرأة للرجل، مما يسهم في تحريك الغرائز وإثارة الشهوات، والغفلة عن العلم والمعرفة، بمدى إدراك الله للبشر، قال تعالى فيما يخص الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ[2] وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[3].

د- **إظهار الزينة وإبداؤها لغير الزوج**، مما يخالف الغيرة الإسلامية، والنخوة العربية، وقد يكون ذلك متجلياً في المفاتن الحسية، وفي الألسنة التي تتحدث، وفي الأصوات المنبعثة من الضرب بالأرجل على الأرض، أو باستعمال العطور النفاذة، التي تلفت الأنظار، وكل ذلك يتعارض مع صورة المرأة المسلمة، وهي خارج البيت، الذي ينبغي أن يكون حصناً لها، ولا تغادره إلا عند الضرورة؛ للعمل، أو ما شابهه من احتياجات الحياة.

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4]. وقال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[5].

وليس من صفات نساء المؤمنين، خروج المرأة مستعملة الروائح، والمعطرات، التي تجذب إليها الأنظار، وتُشغل الشباب، وتحدث سلوكيات لا ينبغي أن يكون لها وجود في ظل مجتمع إسلامي، يعرف رسالة المرأة، ويقدر

---

[1] سورة النور الآية (٣١)، والجيب: موضع الفتحة من القميص عند الصدر.

[2] حفظ الفروج ليس قاصراً على النساء، وإنما يشمل الرجل أيضا قال تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ الأحزاب ٣٥.

[3] سورة النور الآية (٣٠، ٣١).

[4] سورة الأحزاب ٣٣.

[5] سورة النور ٣١.

مدى الخطورة من تبرجها، وإثارتها للغرائز عند الشباب الذى يعانى من فراغ، وعجز عن الإعفاف، مما يشجع على وقوع التحرشات الجنسية، ومن ثم الفاحشة الكبرى، التى تترك آثاراً اجتماعية وصحية ونفسية فى غاية الخطورة، قال الرسول ﷺ: **«المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس، فهى كذا، يعنى زانية»**[1]

وقد اختص الرسول ﷺ سبعة نماذج مؤمنة، تستحق أن تستظل برحمة الله يوم أن تفقد الكائنات قدراتها فى الحماية، فلا يبقى لديها سوى ظلال الرحمن، يحيا الناس تحتها، ومنهم رجل عصمه الله عندما تهيأت لديه أسباب الوقوع فى الفاحشة، ولكنه حفظ الله، فأبقى عليه فى عداد الطاهرين الأتقياء، قال ﷺ: **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .... وذكر منهم: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله...... »**[2].

هـ- **تقصير الزوجة فى إعفاف الزوج بالامتناع**، أو التمنع عنه، مما يسهم فى انحراف الرجل إلى الفواحش، والمنكرات.

و- **ضعف الإيمان عند الرجل**، وانهزامه، وعدم احتمائه بدينه، واستعصامه وتمسكه بأخلاق عباد الرحمن، فقال تعالى فى حق سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[3]

ويبقى تأكيد خطورة هذه الفاحشة، وحتمية المراجعة الدائمة والمستمرة لسلوكيات المؤمنين والمؤمنات، خاصة فيما يتصل بالاختلاط غيرِ المرشَّد بين الرجال والنساء، ممن هم فى سن الشباب فى مراحل التعليم، وفى أماكن العمل التى يتصرف الكثيرون فيها عما يناط بهم من مهام، ويقعون فى الفحشاء والمنكر، والله أعلم بما يصنعون.

---

(1) رواه الترمذى فى باب ما جاء فى خروج المرأة المتعطرة، والوصف بالزنى ليس على الحقيقة؛ وإنما فى الإثم والعقاب.

(2) الترغيب والترهيب جـ ٣ صـ ١٩٥ ، ١٩٦.

(3) سورة يوسف ٣٢.

٨ـ معالـــم التوبـــة

تشكل التوبة مظهراً من مظاهر قوة المسلم، وانتــصاره علـــى ذاتـــه، وتحطيمه لأنانيته؛ ذلك لأنها أى التوبة اعتراف بالذنب، ورغبـــة فـــى النـــدم، وتصالح مع الله تعالى، واستعداد للتحرك الإيجابى فى سبيل إصـــلاح المـــسلم إصلاحاً جديداً يهدم ما قبله، ويؤسس لحياة مستقبلية، تنعكس على الإنسان مـــن خلال إحساسه بالضآلة، أمام الذات العليا، وتقدير لأوامر الرسول ﷺ ونواهيه، ورسم لحياة متغايرة مع سائر البشر.

١ـ أبعـــاد التوبـــة:

لقد عرضت سورة الفرقان فى آيتين منها لإحدى صفات عباد الرحمن، وهى التوبة، حيث قال الله تبـــارك وتعـــالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ، وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾[1].

وقد حددت هاتان الآيتان بعض ما يترتب على هذا الخلق القرآنى مـــن آثار إيجابية بحق عباد الرحمن، هؤلاء الذين تابوا، وعملوا صالحاً، فجاء البيان الإلهى ببعض آثار التوبة فى الآخرة، قال تعـــالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

وذلك لأن الآيتين قد جاءتا فى أعقاب بعض الجرائم الإنـــسانية، التـــى انتفى حدوثها بحق عباد الرحمن، أو ينبغى أن يكون الأمر كـــذلك، كالاشـــراك بالله، وقتل النفس، والزنى، ويمكن أن يُضَمَّ إليها ما كان فى درجتها، وإن كـــان الإشراك بالله لا يعدله شئ؛ فليس بعد الكفر ذنب كما يقال.

---

[1] سورة الفرقان ٧٠ ، ٧١.

والتوبة ذات أبعاد متعددة، تأتى بدايتها فى حق البشر، الذين يرتكبون إثماً فى الدنيا فيتوبون عما مضى منه، ويقلعون عنه، وينهضون بمستلزمات التوبة، كرد المظالم إلى أصحابها، وبذلك تتحقق توبة العبد بالرجوع الصحيح، وما يترتب عليه من آثار تحت ظلال رغبة المذنب فى الاقتراب من الذات الإلهية، وتلك مظاهر التوبة ومعالمها فى الدنيا، أو أن تتحول إلى علم الله، الذى يشمل العصاة فى الدنيا، فتكون مرجعيتهم فى الآخرة إلى الله، فإما أن يعذبهم جزاء ما اقترفوا من آثام، وإما أن يتوب عليهم ويغفر لهم، وهو على كل شئ قدير.

٢ـ التوبة الصادقة:

التواب: اسم من أسماء الله الحسنى، وكثيراً ما يقترن بالرحمة، التى جاءت من خلال صياغة اسم آخر لله تعالى وهو "الرحيم" كما فى أدعية المؤمنين بقول الله تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، فقد جاء اسم الله (الرحيم) مقترناً باسم التواب فى آيات كثيرة من القرآن الكريم.

والتوبة واجبة فى حق البشر، الذين يقترفون الذنب، ويعلون الإثم، ثم تتيقظ ضمائرهم، وينشط وعيهم وإدراكهم للإيمان، فيطلبون العفو من الرحمن الرحيم، فيتوب عليهم، بدءاً من وجودهم بالدنيا ما دامت توبتهم نصوحاً، ورجوعهم صادقاً مع إصلاحهم لأوضاعهم، التى كانوا عليها، وحددتها الشريعة الغراء، كما جاء فى سورة الفرقان إذ تقول الآية الأولى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ، وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة ١٢٨.

(٢) سورة هود ٩٠.

(٣) سورة الحجرات ١٢.

(٤) سورة الفرقان الآية: (٧٠ ، ٧١).

فقد استثنت الآية عباد الرحمن، الذين تابوا وآمنوا وعملوا العمل الصالح، واستثنتهم من العصاة الذين لا يصح أن يكونوا ضمن الصفوة من عباد الله المتقين، ولذا كان الإيمان والعمل الصالح شرطاً ضرورياً، ولازماً في حق التائبين ممن تشملهم مغفرة الله ورحمته، وتأتى الآية الثانية من ذات السورة مؤكدة ما سبقتها بعدة صور تأكيدية، كارتباط العمل بالتوبة، من هؤلاء الذين يعودون إلى الله عوداً صحيحاً قوياً، وهذا هو المفاد من قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾.

وذكر **القرطبى** (رحمه الله) فيما يخص التائبين من عباد الرحمن، فذكر أن الآية الأولى تخص من تاب من المشركين، فلهذا قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾.

وأن الآية الثانية تخص من تاب من المسلمين، وأتبع توبته عملاً صالحاً، فله حكم التائبين أيضاً، وأن من تاب بلسانه، ولم يحقق ذلك بفعله، فليست تلك التوبة نافعة، بل من تاب وعمل صالحاً فحقق توبته بالأعمال الصالحة، فهو الذى تاب إلى الله متاباً، أى تاب توبة حقيقية، وهى النصوح، والتى يقبل الله بها توبة العبد حقاً"[1]، ولقد فَتَحَتْ هاتان الآيتان من سورة الفرقان باب الوصول إلى التوبة، وذلك لمن أراد النجاة بعد استيقاظ الضمير، والخوف من المصير.

ووضعت السورة بعض اشتراطات التوبة، تلك التى تبدأ بالندم، مع الإقلاع عن الذنب، واستمرار الأداء الحسن بالعمل الصالح، الذى يثبت جدية التوبة، وإيجابية الفعل، وتطهير الذات، وتلك بعض مؤهلات القبول للتوبة النصوح.

---

(1) أنظر تفسير القرطبى جـ ١٠ صـ ٧٩.

ويرتبط الاستغفار بالتوبة، فهو دلالة على تثبيت الذات علـى المحـك الإيمانى، مما يفصل فى مقدار الصدق فى الندم وجدية العودة إلى الله، وتأكيـد التواصل بين اللسان والقلب، فإذا كانت التوبة الصادقة تتطلب الندم من القلـب، فإن الاستغفار يرطب اللسان، فيحدث التواصل والتعانق بين باطن الإنسان وظاهره

وتتواصل التوبة الصادقة من الإنسان إذا لم يشرك بالله، أو تخرج روحه من حلقومه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

ويقترب الحديث الآتى من هذه الدلالة بدرجة كبيرة، حيث رَوَى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن النبىﷺ قال: **«إن الله عزوجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**[2].

٣- نماذج سلوكية من عمل الذنب والتوبة منه:

تخضع جرائم الإنسان فى حياته كثيراً لطغيان المال وجبروته، حيث يجبره إلى عمل الإثم متراوحاً بين الخطأ والخطيئة، أو الصغيرة والكبيرة، فإذا رغب فى الإقبال على الله، والندم على ما وقع منه من آثام، وإصلاح الأمر بحق الآخرين، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة، تلك الصفة الإسلامية التى أفاضت فيها آيات القرآن الكريم، وأحاديث المصطفىﷺ، ومنها: ما رواه ابن عباس وأنس بن مالك (رضى الله عنهم) أن رسول الله ﷺ قال: **«لو أن لابن آدم وادياً من ذهب، أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ جوفه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»**[3].

---

[1] سورة النساء ١٧ ، ١٨.

[2] رواه الترمذى وقال حديث حسن.

[3] متفق عليه.

وقد امتلأت سيرة الرسول وتاريخ أصحابه وتابعيه، بالعديد من الأمثلة التي كشفت عن العمق الإنسانى، والشفقة التي لاحدود لها، والعطف الرحيم فى مقابل التطبيق الصارم للحدود الشرعية، حسب الميزان الفقهى، وتجلى ذلك فى العديد من المواقف: نختار منها ما يتعانق مضمونه مع التوبة الصادقة فى الإقلاع عن الذنب، والندم الصادق، وإصلاح الشأن، وتجلى ذلك فيما رواه عمران الحصين الخزاعى (رضى الله عنهما): «**أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنى فقالت: يا رسول الله أصبت[1] حداً فأقمه على، فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فأتنى بها ففعل، فأمر بها نبى الله ﷺ فشُدت عليها ثيابُها[2] ثم أمر بها فرُجمت، ثم صلى عليها، فقال عمر بن الخطاب: تصلى عليها يا رسول الله، وقد زنت؛ قال: لقد تابت توبة[3] لو قُسِّمَتْ على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عزوجل**»[4].

لقد كشفت هذه الحادثة عن انتصار المرأة على نفسها، وقوة رغبتها، فى التوبة الصادقة، وشجاعتها فى مواجهة العقوبة، وكانت النتيجة مضرباً للمثل بحق كل من رغب فى إصلاح شأنه، وما يقدر عليه فى دنياه؛ انتظاراً لعفو كريم من رب العالمين.

تلك هى بعض ثمرات التوبة، التى ينبغى أن يضعها كل مسلم أمام ذات عينيه، وذاكرته؛ حتى يبقى فى نطاق صفوة الخلق من عباد الرحمن.

---

(١) أى فعلت ما يوجب العقاب.

(٢) وذلك تهيؤ للرجم.

(٣) أى توبة صادقة.

(٤) رواه مسلم.

٩ـ تجنب شهادة الزور

إن مما يتميز به عباد الرحمن ويحرصون عليه، هو أن يكون ما يأتي على ألسنتهم نابعاً من قلوبهم، ومطابقاً لما يشاهدونه، فلا يوجد ما يوقعهم في شَرَك التناقض بين القول والفعل، أو بين مالهم وما عليهم، إذ تأتي صورهم واضحة المعالم، بارزة الهوية، مما يؤكد سلامة منهجهم في الأخذ بالقرآن الكريم، والعمل بسنة المصطفى (ﷺ).

١ـ ماذا يراد بشهادة الزور؟

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[١]، **والشهادة:** هي الرؤية والمعاينة بما يطابق الواقع، **والزور:** من زَوَّر الكلام: أي زخرفه وموّهه، وجاء به كذباً وافتراءً، غير مطابق للحقيقة، ولذلك عُدَّت شهادة الزور من أكبر الكبائر؛ لما يترتب عليها من ضياع لحقوق بعض الناس، ومن أخذ بعضهم لما لا يستحقونه، مما يشعل نيران الكراهية، والغضب في نفوس من يرون حقوقهم قد ضاعَتْ وذهبت إلى غيرهم، بما أسفرت عنه شهادة الزور والباطل والافتراء، إذ إن كثيراً من الناس لا يعنيهم إلا ما يحصلون عليه من مال أو منفعة أو مركز مرموق، حيث يعتمدون على المنافقين والأفاقين الذين لا يتورعون عن المنكر، فيشهدون شهادة الزور؛ بهدف تحقيق مكاسب لهم، ولمن شهدوا لهم، قال تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[٢].

وفي الحديث النبوي: **«لا تزولُ قدما شاهد الزور يوم القيامة، حتى تجب له النار»**[٣].

---

[١] سورة الفرقان ٧٢.

[٢] سورة الحج ٣٠.

[٣] رواه بن ماجة والحاكم.

إن حياة عباد الرحمن مليئةٌ بالمواقف الخالدة، التى يُفهم الإسلام من خلالها فَهْماً متسعاً، لا يكون الاقتصار فيه على آيةٍ تُتلى، أو حديث يقال، وإنما تتسع دائرة سلوكيات عباد الله المخلصين؛ لتشمل سائر الجوانب الإيمانية، التى تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع الإسلامى بخاصة، ولا تتسع ولا تنمو بذور الشك والريبة والكذب، وتنعكس على مسارات الآخرين فى الحياة.

وفيما يتصل بشهادة الزور، فإن من الواضح أنها تتجاوز دائرة الكذب؛ لما لها من تأثير خطير فى العلاقات الإنسانية، إذ يترتب عليها المشاركة فى الإثم والخطيئة بين اثنين أو أكثر، كما يترتب عليها مضار ومساءات، لا تتوقف عند كلمة عارضه أو شهادة بسيطة، فيمكن أن تُسحق بسببها الأرواح، وتشتد الخصومات، وتزداد العداءات، وتنفصل عُرى المحبة من أفئدة المشتركين فى شهادة الزور.

٢ـ دعوة الإسلام إلى الحرص على صدق الشهادة:

إن المؤمن الصادق الذى يرعى حقوق الله وحقوق العباد، ينبغى أن يكون قولُه المعلن مطابقاً للأمر المخبر عنه، خاصة فى مجال الشهادة، التى تفهم من مظاهر لفظها، أنها الرؤيا الصادقة التى لا تتسرب إليها خيانة، ولا يشوبها كذب

فعن أبى أُمامة أن النبى ﷺ قال: «**يُطبع المؤمن على كل شئ إلا الخيانة والكذب**»[1].

ولقد تحدث أبو عبدالله الذهبى عن الآثار السيئة، والناجمة عن شهادة الزور، وما يترتب عليها من آثار، فقال: شاهد الزور قد ارتكب عظائم، **أحدهما:** الكذب والافتراء، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾[2]، **وثانيها:** أنه ظَلَم الذى شهد عليه، حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه،

---

[1] رواه البزار وأبو يعلى وأحمد وغيرهم.

[2] سورة غافر الآية (٢٨).

وثالثهـــا: أنه ظَلَم الذى شهد له، بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه منه بشهادته، فوجبت له النار، وقال (ﷺ): «**من قضيت له من مال أخيه بغيــر حــق، فــلا يأخذه، فإنما اقطع له قطعة من نار**»[1]، **ورابعها:** أنه أباح ما حرم الله تعـــالى، وعصمه من المال والدم والعِرْض، قال رســـول الله (ﷺ):«**ألا أنبــئكم بـــأكبر الكبائر؟: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**»[2].

ولابد أن يحرص الشهودُ على تقوى الله، وألا يتأخروا عن الـــشهادة إذا ما كانوا مهيئين لها، وحريصين عليها، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[3].

تلك الشهادة التى لا يتسرب إليها الشك، أو سوء الظن، ويكون الهـــدف منها، إحقاق الحق ورفع الظلم، ومقاومة المنكر ودحر الباطل. فعن الحسن بـــن على بن أبى طالب قال: حفظت من رسول الله (ﷺ): «**دع ما يريبك إلا مـــا لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة**، والكذب ريبة»[4].

ومعنى دع ما يريبك: اترك ما تشك فى حله، واعدل إلى مـــا لا تـــشك فيه[5]، وجاء فى أقوال بعض البلغاء: «الوجوه مرايا تريك أسرار البرايـــا»[6]، وقال (ﷺ): «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»[7].

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه البخارى ومسلم والترمذى – راجع كتاب الكبائر لأبى عبدالله الـــذهبى صـــ ٦٣ وجـــاء الحـــديث المذكور فى رواية أخرى قال فيها (ﷺ): ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رســـول الله قـــال: الإشـــراك بالله، وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنـــا: ليتـــه ســـكت" متفق عليه.

(3) سورة البقرة الآية (٢٨٣).

(4) رواه الترمذى وقال حديث صحيح.

(5) رياض الصالحين صـــ ٤٤.

(6) من كتاب أدب الدنيا للماوردى صـــ ٣٢٢.

(7) متفق عليه.

٣ـ بعض دوافع الكذب فى القول، وما يترتب عليه:

إن ألوان الكذب فى القول كثيرة، ولها دوافع شتى، مثل الذى يتكلم بالحديث الكاذب؛ ليجعل من كلامه أضحوكة عند الناس، وقد حذر سيدنا رسول الله (ﷺ) من ذلك قائلاً: **«ويلٌ للذى يُحدث بالحديث؛ ليُضْحك به الناس، فيكذب، ويلٌ له... ويلٌ له ... ويلٌ له»**[١].

وقال الرسول ﷺ: **«كَبُرتْ خيانةً أن تُحدث أخاك حديثاً، هو لك به مصدِّق، وأنت له به كاذب»**[٢].

كما أن من أفظع الكذب، أن يُمارس الإنسان هذا الخلق السيئ، متعمداً به إهانة للسنة النبوية، مضيفاً إليها ما ليس منها، متعمداً الطعن فى الدين، والإساءة إلى الرسول، قال(ﷺ): **«من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**[٣].

إن أخلاق عباد الرحمن، هى جزء كبير من دعوة الإسلام إلى المحبة، والخير، والسلام، سواء ما جاء منها فى سورة الفرقان، أم ما اشتملت عليه كثير من آيات القرآن، وسنة النبى العدنان ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين

٤ـ ألوان الكذب:

يأتى الكذب فى بدايته عند الإنسان مرتبطاً بموقف أو حادثة أو شهادة تفصل بين أمرين، ثم لا يلبث الكذب أن يتحول مع الممارسة، وسوء الظن وانحراف الخلق إلى فجور يمثل إشهاراً بالمنكر، والقول الباطل، ومن ثم تتحول هذه الأمور فى غمرة تَدَرُّجها، فتصل إلى وصمة سيئة فى جبين الكاذب، الذى تتمخض سلوكياته عن تسجيله عند الله كذاباً.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الجماعة إلا الترمذى.

(٣) رواه مسلم وغيره.

وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق؛ حتى يكتب عند الله صديقاً؛ وإن الكذب يهدى إلى الفجور،وإن الفجور يهدى إلى النار، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».**

ومما يشعر بجرم الكاذب، أنه يتحول بأساليبه وضلالاته إلى منافق لا يأتى منه خيرُ، ولا يقدم إلا الشر والإثم.

ففى الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: **«أية المنافق ثلاث، وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».**

ومما يشين المرء، أن يتحدث بما يجب وبما لا يجب، أو بما يصح وبما لا يصح، فإن التفريق الصحيح بين الأمور، يحتم على الإنسان أن يتحدث بكل ما يليق فى الموقف المناسب.

فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»**[1].

والأساس فى الكلام أن يكون صادقاً مطابقاً للواقع، لكن بعض الأمور تستلزم أن يكون الحديث موجهاً إلى هدف معين، أو إلى مجاملة محددة لا يُعَد عدم مطابقة الكلام للواقع محظوراً ومنهياً عنه، ولعل فى الحديث الآتى ما يوضح ذلك، فقد رُوى عن أم سلطانة قالت ما سمعت ﷺ يرخص بشئ من الكذب إلا فى ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول فى الحرب، والرجل يُحَدِّث امرأته، والمرأة تحدث زوجها"[2].

---

[1] رواه مسلم.

[2] رواه مسلم.

إن هذا الحديث مع معايشته للواقع، وتعبيره عن بعض متطلبات الحياة، لا ينبغى أن يُوظَّف الكذب فيه لغير ما حدده رسول الله، على أن يكون اللجــوء إليه فى نطاقات ضيقة، ترتبط بالحالــة التــى تقــدر بقــدرها، دون إســراف فى التناول، أو توظيف للكلام أو الشهادة توظيفاً سيئاً يسيئ إلــى المتحــدثين، كما يسيئ إلى الإسلام نفسه، وقانا الله شر الكذب والنفاق وشهادة الــزور ومــا على شاكلتها.

١٠ـ الإعـــراض عـــن اللغـــو

إن من أبرز الخصائص التى تَمَيَّزَ بها عباد الرحمن، أنهـــم يوظفـــون لغاتِهم وأساليبهم فى الكلام النافع المفيد، ولا ينحرفون إلى جدل فى النقـــاش، لا قيمة له، أو يبالغون فى الكلام الذى لا فائدة منه، وذلك الذى يصدر بـــلا فكـــر ورؤية، بحيث لا يسفر عن شئ نافع مفيد، حتى لا يقعوا فيما حذّر القرآن منـــه وهو اللغو فى القول، والسخرية من الآخرين، وإفشاء الأسرار، والكلام بمـــا لا يليق بشخصية المسلم.

١ـ ماذ يراد بالإعراض عن اللغو؟:

قال تعالى فى سورة الفرقان فى وصف عبـــاد الـــرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[١].

إذ تناولت الآية صفتين من صفات عباد الرحمن هما: عـــدم ممارســـة الكذب، والإعراض عن اللغو، والمرور عليه مروراً كريماً دون الوقوع فيـــه. ذلك أن اللغو هو كل كلام غير مناسب للموقف، وكل عمـــلٍ باطـــل لا يليـــق ولا ينفع من خلال التعبير به، بهدف السخرية من الآخرين، وإفشاء الأســـرار، مما يجعل الإعراض عن هذه الأمور حتماً واجباً فى حق عباد الله المخلـــصين. **واللغو:** من لغا يلغو ويَلْغَى، إذا أتى بما لا يحتاج إليه فى الكلام أو بما لا خيـــر فيه"[٢].

وقيل **اللغو:** هو المعاصى كلها، وهذا تفسير جامع لمعنى اللغـــو، أمـــا المرور عليه مرور الكرام، فمعناه الإعراض والإنكار وعدم الرضا، فلا يمالىء عباد الرحمن كل من يشارك فى اللغو، كما أنهم لا يجالسون أهـــل اللغـــو، ولا يدخلون فى الباطل معهم، وقيل: إن المرور باللغو مرورا كريماً، هو أن يـــأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بكل ما لديه من قدرة واستطاعة.

---

[١] سورة الفرقان ٧٢.

[٢] تفسير القرطبى جزء ٣ صـــ ٩٩.

وقد ذكر القرآن في صفات المؤمنين أنهم يعرضون عن اللغو، ويفعلون أفعالاً حسنة وسلوكيات طيبة.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ، ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ، وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2].

أى إذا سمع المؤمنون ما يلغو به المشركون أعرضوا عن لغوهم، وقالوا بترك كل فريق لعمل الآخر؛ ذلك لأن المؤمنين لا يشاركون فى جدال، أو مراجعة لهؤلاء الجاهلين المعاندين.

٢ـ محاولة النيل من القرآن الكريم باللغو فيه:

كان المشركون فى بداية عصر البعثة، يوجهون أساليبهم بما فيها من لغو ومراء؛ للتصدى والتشويش على كتاب الله، لكن هذه المحاولات لم تسفر عن شئ يعارض تقدم القرآن، واقتحامه لصدور المؤمنين الجدد لمجتمع مكة. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [3].

وكان هذا الفريق من أهل الكفر والعناد، يسلكون هذا السلوك السيىء مع القرآن، واضعين فى اعتبارهم تصميمهم على صرف الراغبين فى الإيمان عن الاستماع لكتاب الله والاعتبار بما جاء فيه.

وذكر القرآن الكريم أن الجنة منزهة عن اللغو والباطل، إذ يكون التبادل الحوارى بين أهلها مشمولاً بالمحبة والرحمة والسلام.

---

[1] سورة المؤمنون ١-٣.

[2] سورة القصص ٥٥.

[3] سورة فصلت الآية (٢٦).

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾[1].

إن أغلب الأقوال فى الوقت الحاضر يسيطر عليها آفات اللسان، بما فيها من لغط، وكذب ولغو، خصوصاً بين الذين لم يتربوا تربية إسلامية صحيحة، مستقاة من القرآن والسنة وأفعال الصحابة والتابعين، وسائر عباد الرحمن المخلصين، وقال الشاعر:

ما إن نَـدِمتُ على سكوتى مرةً ... ولقد نَـدِمتُ على الكلام مِراراً

ولذلك ينبغى مقاومة هذه السلوكيات السيئة بالحكمة والموعظة الحسنة، والدعوة إلى الاقتداء بأفعال الرسول وأصحابه وتابعيه.

٣ـ اللغو فى اليمين:

إن اللغو فى سائر أمره وأحواله، يشمل كل باطل من قول أو عمل، وكل ما لا يليق أن يحرص عليه المؤمن الصادق القوى العزيمة، كما أن اللغو فى اليمين هو ما لا يتعمد الشخص أن يجعله يميناً. فعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: «**نزلت الآية: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾، فى قول الرجل: لا والله، وبلى والله**»[2].

ومن صفات عباد الرحمن: أنهم يتجنبون الوقوع فى اللغو، مع عدم المؤاخذة الشرعية عليه، قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾[3].

وقد اختلف العلماء فى اليمين التى هى لغو أو كلام خارج، فقال ابن عباس: هى قول الرجل فى دَرَجِ كلامه، واستعماله فى المحاورة: لا والله ، وبلى والله ، دون قصد لليمين.

---

[1] سورة الواقعة الآيتان (٢٥، ٢٦).

[2] رواه البخارى.

[3] سورة البقرة الآية (٢٢٥).

وقيل: لغو اليمين، الحلف أثناء الغضب، وقد روى عبدالله بن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال: «**لا يمين فى غضب**»[1].

وقيل هو يمين المعصية، وقيل: هو «الرجل يحلف ألا يفعل الشئ ثم ينسى فيفعله»[2]، مع أن اللغو فى اليمين سلوك لا ينبغى إيراده على ألسنة المؤمنين؛ حفاظاً على مصداقيتهم فى الأيمان، التى ينبغى تنزيهها عن اللغو والكلام الباطل.

إن الإعراض عن اللغو – أياً كانت دوافعه وتوجهاته، خلق إسلامى حميد، وصفة من أخص صفات عباد الرحمن المؤمنين، ودعامة من دعائم الشخصية المؤمنة، التى تتشكل مكوناتها، بما فيها من أفعال إيجابية مفيدة، وأقوال صادقة معبرة بعيدة عن اللغو، وكل كلام خارج لا يليق بشخصية الإنسان المسلم، فى علاقاته بربه سبحانه وتعالى، وفى علاقاته بسائر البشر جميعاً.

---

(1) تفسير القرطبى جـ ٣ صـ ٩٩.

(2) السابق جـ ٣ صـ ٩٩.

١١ـ التأمـــل فـى آيـات الله تعالـى(*)

تتواصل آيات القرآن بسورة الفرقان فى ذكر صفات عباد الرحمن، التى تكتمل منها، ومن آيات آخرى، الصورة التامة لكل المؤمنين الصادقين، الـذين يأخذون من الدنيا ويعطونها، ويتوجهون فى إقبالهم على الله نحو التأمل المزهر، والتفكير المثمر، الذى تنعكس أثاره على سلوك الإنسان ، وعمله للدين والحياة.

١ـ تأمل عباد الرحمن فى آيات الله تعالى:

قال رب العزة سبحانه وتعـالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾(١)، والمراد من التذكير فى الآية، هو التنبيه والتامـل والإدراك قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

إن معنى كلمة آية وجمعها آيات فى هذا النص القرآنى: هى جملـة، أو مجموعة من الجمل يُؤْثر الوقف فى نهايتها غالباً، ويُطلق ذلك علـى مجمـوع آيات القرآن الكريم، وإن كان المعنى عموماً يتجاوز هذا المراد إلى إطلاقـات أخرى، مثل: العلامة والأمارة ، أو العبرة أو المعجزة(٣).

ومعنى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا﴾ أى لم يكُبوُّا عليها، والخُرور فى أصل معناه: السقوط على غير نظام وترتيب ، كأن الذى يَخِرُّ ساجداً لله لا يكون معنياً بهيئة ونظام ، وإنما يكون مشغُولاً بخضوع وخشوعَ لله رب العالمين(٤) والمعنى فـى

(*) نشر موسعاً بإضافات فى مجلة الأزهر غرة المحرم ١٤٣٢هـ ديسمبر ٢٠١٠م العدد (١).

(١) سورة الفرقان ٧٣.

(٢) سورة الذاريات ٥٥.

(٣) انظر المعجم الوسيط جـ ١ صـ ٣٥.

(٤) قال تعـالى: "يخـرون للأذقـان سـجداً" الإسـراء ١٠٧ ، وقـال: " وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا " الإسراء ١٠٩.

الآية منصرف إلى وصف عباد الرحمن، كما جاء فى تفسير القرطبى: «أى إذا تُليت عليهم آيات الله وَجِلت قلوبُهم ، فخرُّوا سجداً وبُكِيّاً ، ولم يخروا عليها صُمّاً وعمياناً»[1].

وإيضاح ذلك فى شأن الآية، أن الكفار هم الذين يُعْرِضون عن آيات الله، ويخرون عليها صماً وعمياناً، وتلك دلالة على إعراضهم وغرورهم وسقوطهم على غير نظام وترتيب، كأن الآية كما يقول بعض المفسرين: «تعريض للمشركين الذين ينكبون على آلهتهم وعقائدهم وأباطيلهم، كالصم والعميان، لا يسمعون ولا يُبْصرون، ولا يتطلعون إلى هُدَى أو نور، وحركةُ الانكباب على الوجوه، بلا سمع، ولا بصر، ولا تدبر، حركةٌ تصور الغفلة والانطماس، والتعصب الأعمى، فأما عباد الرحمن، فهم يدركون إدراكاً واعياً بصيراً ما فى عقيدتهم من حق، وما فى آيات الله من صدق، فيؤمنون إيماناً واعياً بصيراً، لا تعصباً أعمى، ولا انكباباً على الوجوه! فإذا تحَّمسُوا لعقيدتهم، فإنما هى حماسة العالم المدرك البصير"....»[2]

أى أن التأمل فى آيات الله، ينبغى أن يكون مصحوباً بفكر ووعى وبصر وإدراك، مصاحب لحركة الانكباب، والتعرف على ما فى آيات الله من دواعى الترقى فى درجات الإيمان، والسعى إلى الحق واليقين.

٢ـ آثار التأمل فى آيات الله تعالى:

يكون التفكر فى آيات الله بكثرة التأمل فيها، وزيادة الفهم والاستيعاب لها، ومراعاة الخضوع والخشوع معها، وتنصرف هذه الآيات - بالدرجة الأولى- إلى كلام الله تعالى فى آيات القرآن الكريم، ويتحقق التأمل والتفكر - أيضاً- فى الآيات الكونية المتجسدة فى المرئيات الطبيعية الماثلة أمام النظر الإنسانى، ويكون كذلك فى المغيبّات غير الملموسة بالحواس البشرية، وعلى

---

[1] تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ٨١.

[2] فى ظلال القرآن جـ ٥ صـ ٢٥٨٠.

كلٍ، فتلك المشاهدات المكتوبة أو المصورة، ينبغى أن يرقى الإنسان المؤمن بها إلى درجات عليا من المعرفة والتقوى، وأن يستثمرها فى تكوين علاقات متنوعة ومتميزة مع بنى البشر، أو لصيانة الاقتراب من الله تعالى والسجود له، وهو درجة عليا من الخضوع والشفافية والنقاء.

والتفكر: أى إعمال النظر فى الأشياء بفهم وإدراك ، كأن ذلك التوجيه الشرعى، ينصرف إلى حتمية نظر المؤمن إلى الأشياء؛ للعبرة والاتعاظ.

إن آيات الله -على تنوعها وكثرتها- منها ما هو ظاهر لا يحتاج إلى بيان كالمشَاهد الطبيعية مثلاً، ومنها ما يحتاج إلى تفهم وتفكر وإدراك، كما فى بعض آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3].

وهكذا، تتجلى الدعوة إلى التأمل والتفكر فى سائر آيات الله ومخلوقاته، ببواعثَ إيمانيةٍ، دافعةٍ على إعمال الفكر فى مظاهر العظمة الإلهية فى الأرض والسماء.

وقال ابن عباس (رضى الله عنهما): «**إن قوماً تفكروا فى الله عزوجل، فقال النبى ﷺ: تفكروا فى خلق الله، ولا تتفكروا فى الله، فإنكم لن تقدروا قَدْره**»[4].

---

[1] سورة البقرة ٢٦٦.

[2] سورة النمل ٩٣.

[3] سورة فصلت ٣٧.

[4] رواه أبو نعيم فى الحلية ، والأصبهانى فى الترغيب والترهيب ، والطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى الشعب بدرجات تتأرجح بين الضعف والصحة..

وينطلق الإنسان بالتأمل والتفكير إلى ما فى أعماقه ودواخل نفسه، وإلى ما فى خلق الله فى السماوات والأرض وما بينهما، وكل ذلك بهدف الانتقال بالإنسان المؤمن، من الدائرة المادية الضيقة والنظرة السطحية الساذجة، إلى درجة من العمق والفهم والتأمل والرؤية الإيمانية المتوهجة، لدواعى العظمة والاعتبار.

وقد جاءت فى القرآن الكريم عشرات الآيات، التى تدعو الإنسان إلى السير فى الأرض، والتأمل فى الكون؛ للبحث عن أسباب الخلق، وحتمية الحركة، وضرورة التفكر، بهدف إزالة الكراهية والحُمْق من النفوس، وزيادة الحب والعشق للذات الإلهية فى ملكوتها الرحيب، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[1].

وتعددت الدعوة إلى السير فى الأرض، والتأمل، والتفكر، فى العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

٢ـ نموذج سلوكي للرسول ﷺ مع بعض أصحابه:

إن المواقف الخاصة بالتأمل فى حياة الرسول وأصحابه كثيرة ومتنوعة، تتعلق بالنص القرآنى، وبالمشهد الطبيعى، والتفسير الغيبى، لما لم يشاهده الإنسان بحواسه، التى لا تستطيع الإدراك والتعرف إلا على قليل من المواقف والمشاهدات، التى يتحتم أن ينطلق منها الإنسان إلى عالم رحب فسيح.

وهذا موقف من مواقف العظة والعبرة التى أوردها **أبو حامد الغزالى** فى الإحياء قال: «وعن عطاء قال: انطلَقْتُ يوماً أنا وعُبيد بن عُمير إلى عائشة (رضى الله عنها)، فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب ، فقالت: يا عبيد، ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول رسول الله ﷺ: زُرغِباً تزددْ حباً ، قال: فبكت وقالت: كل

---

[1] سورة الغاشية ١٧ – ٢٢.

أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي، حتى مَسّ جِلدُه جِلْدِي، ثم قال: ذريني أتعبد بربي عزوجل، فقام إلى القِرْبة، فتوضأ منها، ثم قام يصلي، فبكى حتى بَلّ لحيتَه، ثم سجد حتى بَلّ الأرض، ثم اضجع على جنبه، حتى أتى بلالٌ يُؤذِّنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله، ما يبكيك؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلالُ وما يمنعني أن أبكي، وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة – ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾– ثم قال: ويل لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها»[1].

ويتصل بالآية المذكورة من سورة آل عمران، قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2].

تلك هي واحدة من صفات عباد الرحمن، التي تعرض لقيمة التأمل والتذكر في آيات الله، وانعكاس ذلك على سلوكيات الفرد في حياته، مع ربه، ومع الناس جميعاً.

---

[1] إحياء علوم الدين جـ ٤ صـ ٤١٠ ، والحديث في صحيح ابن حبان من رواية عبدالملك بن أبي سليمان عن عطاء ، والآية ١٩٠ من سورة آل عمران.

[2] سورة آل عمران ١٩١.

١٢ـ الدعاء بصلاح الزوجة والأبناء

يشكل الأزواج والأبناء أساساً قوياً فى العلاقات الاجتماعية، التى تربط المؤمن بباقى أفراد أهله وذريته؛ لما لهم عليه من تأثير، متعدد الجوانب والأهداف فى مسيرة الحياة، فهم نعمة ينبغى شكر الله عليها، وقد يتحولون عن ذلك إلى أحوال متباينة، أورَدَها القرآن الكريم، وحددتها السنة النبوية.

١ـ الزوجة والأبناء من نعم الله تعالى ينبغي الحفاظ عليها:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[١].

والأزواج: جمع زوج، ويطلق على الرجل والمرأة، والذريَّات: جمع ذرية، وهم الأبناء، وقرة الأعين: أى أن العيون تفرح بهم؛ لما يمثلونه من نعمة ينبغى الإحساس بها، وحمد الله عليها، إذ إن السعادة بهم تضاعف الأمل فى الدنيا، وتتوهج معها النفوس المؤمنة، ويحتجب من خلالها النظر، فلا يمتد من المؤمن إلى ما لدى الآخرين من أرزاق: كالزوجة المتدينة، والابن المطيع، وهما أحد عنصرى التشكيل الأسرى؛ لاستمرار الحياة، بما يمثلانه من منظومة تمتلئ بالرغبة فى العيش، والوقود الذاتى لدوام قوة الدفع إلى الأمام.

كما لا تخلو هذه العلاقات من الألم أو الضيق، الذى يُعد كابحاً يهدئ من سطوة التهور والاندفاع؛ حتى تحتفظ العلاقات الأسرية بتوازنها الهادف فى صراطها المستقيم، والمستديم بإذن الله تعالى.

والذرية ثمرة الدنيا، التى تقر بها العين الشاكرة، وأهم مشمولات المسلم بالرعاية الكاملة والمسئولية الهادفة، والإنفاق المعتدل، والقدوة المخلصة، والأسوة الحسنة.

---

[١] سورة الفرقان الآية (٧٤).

فهذا الجزء من آية الفرقان، يمثل التوجيه بالدعاء الإيماني في تأسيس الوحدة الاجتماعية الصغيرة، وهي الأسرة، التي يقودها الرجل المؤمن الصادق الإيمان، داعياً بعطاء الله وهباته بالزوجة والأبناء، وهم من نعم الله، التي لا تعد ولا تحصى، وينبغي شكر الله عليها، وحسن الرعاية لها، سواء أكان ذلك متصلاً بالنساء، أم بالأبناء.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»**[1].

إن هذه الخيرية الموجهة إلى النساء؛ بتنبيه رسول الله (ﷺ) إلى ذلك؛ لأن الرجل مسئول عن زوجته وأبنائه من كافة الأمور، التي أوجبها الشرع، وسار عليها العرف، وانتظمتها قوانين الحياة، وهذا العطف على النساء ينصرف أيضاً بمثله إلى الأولاد، وما يجب لهم من رعاية ومحبة وتوجيه.

فعن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم»**[2].

ويبدأ المؤمن مرحلة من حياته، يختار فيها زوجة؛ لتكون له سكناً وأماً لأبنائه، ويكون بمقتضى ذلك مسئولاً عنهم بالرعاية والهداية، والتربية والتعليم مما يجعله – للقيام بدوره– سعيداً بهم؛ لاستجابتهم لتوجيهه وإرشاده، وقد كان هذا منهج لقمان لابنه، كما ورد بيان ذلك في القرآن الكريم.

٢ـ تحول النعمة إلى نقمة:

تبرز الفتنة بمعطيات الله للخلق في الأموال، التي تسعى بالإنسان إلى العبادة والطاعة، كما تسعى به إلى التمرد والعصيان، والسقوط في بئر الانحراف والضلال.

---

[1] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، كما رواه ابن حبان.

[2] رواه مسلم.

وتتحقق الفتنة أيضاً بالأولاد، الذين يشكلون أهمية بالغة في حياة الآباء، حيث يعتبرونهم امتداداً لهم، واستكمالاً لمسيرتهم، أو يغترون بهم؛ خروجاً من الدوائر الإيمانية لعباد الرحمن، متجاوزين معهم حدود القيم الدينية، والأعراف الاجتماعية، مما يجعل من الأولاد فتنة وابتلاءً، ينبغي اليقظة لها، والحذر منها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ومعنى فتنة: [(أى بلاء واختبار، يحملكم على كسب المحرم، ومنع حق الله تعالى، فلا تطيعوهم في معصية الله، وفى الحديث: **«يؤتى برجلٍ يوم القيامة فيقال: أكل عياله حسناته»**][2].

ولم تذكر الزوجات فى هذه الآية، وفى غيرها التى تقترب فى المعنى معها أسباباً للفتنة؛ لأن الشموخ الإيمانى لدى المؤمنين، يجعلهم لا يستشعرونه مع النساء، إذ يُوجه الرجال فى البيئة العربية، للدفاع عن القبيلة، وسائر مكوناتها من البشر، حيث كانوا يتعاملون مع الأنثى، على أنها مخلوق ضعيف، فهى لا تقوى على حماية نفسها، والدفاع عن الآخرين، وأقصى ما لديها من طاقة فى هذا الأمر، هو الصراخ والبكاء، وإذا ما أرادت العطف والبر من المقربين منها، فيكون خِلسة أو سرقة فى بعض الأحوال.

وهكذا، تتجسد الفتنة كما فى النص القرآنى، فى الأموال والأولاد بمستويات مختلفة، وحسب درجات الوعى الإيمانى عند سائر عباد الرحمن، فى كل زمان ومكان.

وقد تتحول بعض النساء مع الزمن ومتغيراته المتلاحقة، إلى فتنة وشر دائم، يوقع الأزواج فى حرج شديد، وألم لا يطاق، كما يتحقق ذلك أيضاً فى شأن بعض الرجال، الذين يتحولون إلى نماذج ضالة؛ للفساد فى الأرض، وإلحاق الضرر المادى، والمعنوى على النساء.

---

[1] سورة التغابن الآية (١٥)، وقال تعالى: وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ) الأنفال: ٢٨.

[2] تفسير القرطبى جـ ١٨ صـ ١٤٢ ، ١٤٣.

فعن أسامة بن زيد (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: **«ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء»**[1].

وقدّم القرآن نماذج متعددة للمرأة المؤمنة، التى ابتليت بأزواج فى غاية السوء والضلال، ولا تقتصر الفتنة على الأزواج من النساء، وإنما تشمل الأموال والأولاد.

قال ابن مسعود (رضى الله عنه): **«لا يقولن أحدكم: اللهم اعصمنى من الفتنة، فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد، إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللهم إنى أعوذ بك من مضلات الفتن»**[2].

وقد أقر الرسول ﷺ بحدوث الفتنة من الأبناء، إذ إن ذلك فوق طاقة البشر، فعن عبدالله بن بريدة عن أبيه، قال: رأيت النبى ﷺ يخطب، فجاء الحسن والحسين -عليهما السلام- وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ فحملهما، ووضعهما بين يديه، ثم قال: **«صدق الله - عزوجل - إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما»**[3].

وصفوة القول فى حدوث الفتنة، أنها واردة لا محالة فى شأن الكثيرين، بل وتمتد آثارها إلى المحاسبة عليها فى الآخرة، أو لشدة التباهى بها فى الدنيا، لكن ذلك لا يُخَوّلُ للمؤمن أن يضل وينحرف، فيقتل أبناءه، أو يهين زوجته، وبمثل ما فى بعض النساء من ضالات، فإن فى الأولاد من هو أشد ضلالاً، كما هو الشأن فى ابن نبى الله نوح، وله نظراء كثيرون على مدار الزمن.

---

(1) متفق عليه - رياض الصالحين برقم (٢٨٨).

(2) انظر تفسير القرطبى جـ ٧ صـ ٣٩٦.

(3) رواه الترمذى، وغيره.

٣- تحول بعض الأزواج والأبناء إلى العداوة لذويهم:

تشهد الحياة في مسيرتها الإسلامية، ألواناً من ابتلاءات الله للإنسان؛ تجسيداً لنموذج أسرى يتحول إلى عدو مشاكس، ورافض للسير في طريق الإيمان، وليس معنى أن يكون التحول والانضمام إلى مجموعة من الأعداء عاماً وشاملاً، طوال رحلة السنين، ولكن ذلك، ليس إلا تعبيراً عن مجموعة من المشاهدات، والصور السلوكية، التي تعد كراهية واعتداءعلى حقوق أحد الزوجين بسبب الآخر، ولذا يلزم الحذر من هؤلاء، ومن تصرفاتهم؛ حتى يرجع إلى جادة الصواب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

وقد قيل في سبب نزول هذه الآية إن: ["هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجُهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي ﷺ، فلما أتوا النبي ﷺ رأوا الناس قد فقُهوا في الدين، همُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾[٢].

وقال القرطبي، قوله تعالى: فَٱحْذَرُوهُمْ «معناه على أنفسكم، والحذر على النفس يكون بوجهين: إما لضرر في البدن، وإما لضرر في الدين، وضرر البدن يتعلق بالدنيا، وضرر الدين يتعلق بالآخرة، فحذر الله سبحانه العبد من ذلك، وأنذره به»[٣].

إن الحذر الذي أوجبه القرآن؛ مراعاة لسائر أحوال المؤمن، الذي لا يدري من هو الأقرب إلى نفعه، وإفادته في الدنيا والآخرة؛ لأن الباحث عن البراءة يوم العرض على الخلاق يسعى إلى النجاة، فيجد أقرب الأقربين منه يبحثون عن أحوالهم، ومتطلباتهم في هذا الموقف العصيب.

---

(١) سورة التغابن الآية (١٤).

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ١٤١، وجاء فيه أن هذا الحديث حسن صحيح.

(٣) السابق صـ ١٤٢.

١٣ـ دعاء عباد الرحمن
بأن يكونوا أسوة حسنة

تعد مناجاة الله؛ تعبيراً عن مدى احتياج المؤمن إلى عطف ربه ورعايته، تلك العبادة التى ترتقى إلى درجات عليا من سلوك عباد الرحمن، الذين يطلبون من الله أن يجعل منهم أئمة، لسائر الناس فى الدين والدنيا، وذلك يكون بالعمل والعبادة؛ للوصول إلى هذه المنزلة.

١ـ دلائل الإيمان على مناجاة عباد الرحمن لربهم:

قال الله سبحانه وتعالى على ألسنة عباد الرحمن: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[١]، ومعنى إماماً: أى قدوة يُقتدى بنا فى الخير، وتكون الإمامة بالدعاء، لا بالادعاء، وذلك بتوفيق الله وتيسيره، وعطفه وكرمه، على أن يكون ذلك لا لغرض دنيوى خالص؛ وإنما يكون الهدف من هذا الدعاء، هو خدمة العقيدة وحراستها، والتوجه إلى تطبيقها تطبيقاً صحيحاً، يسير على نهجه عباد الرحمن مما يرشحهم؛ لأن يكونوا قدوة للآخرين، فهؤلاء لا يَسْعَون إلى رئاسة أو منصب أو جاه؛ وإنما ينصرفون إلى النهوض بالسلوك الفاضل؛ لتأسيس مجتمع مؤمن فى مجال العقيدة الدينية، أى أن عباد الرحمن يدعون رب الوجود، وخالق الأرض والسماء، أن يوفقهم إلى حسن العمل للدين والدنيا؛ حتى يكونوا أئمة لغيرهم من المسلمين، وأساس هذا المنهج ابتداء، هو السعى إلى طلب التأسى بالرسول ﷺ الذى كانت حياته نموذجاً مؤهلاً – بعون الله تعالى– للاقتداء به، بدءاً من طريقته فى التعامل مع خصومه وأعدائه، وارتقاء فى المنهج ذاته بحق أنصاره، والمهاجرين معه إلى المدينة المنورة؛ فراراً بدينهم، ووصولاً إلى شواطئ الأمن والإيمان عن عقيدة وثبات.

لقد كان إعداد الله لنبى الإسلام من قبل أن يبعث إعداداً، يشهد بتميزه واختلافه عن نظرائه، فى مرحلتى الطفولة والشباب.

---

[١] سورة الفرقان الآية: (٧٤).

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]، أى تقتدون به فى سلوكه وعبادته؛ التزاماً بالأوامر والنواهى، التى حددها الشرع تفصيلاً، واتباعاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ﴾[2].

فالالتزام بالتشريع فيما يخص عباد الرحمن واجب، فى كل ما بلغه الرسول من الوحى المنزل عليه، ومما ذكره من أحاديث قدسية عن الله رب العالمين، ومما قاله من أحاديث نبوية، تشمل سائر المنهج الإسلامى الخاضع لنظرية (افعل ولا تفعل).

وتتجلى أدعية عباد الرحمن فى إظهار التضرع، وإبداء الحاجة إلى عون الله سبحانه وتعالى، والهدف أساساً من الدعاء، هو طلب الخير، ودفع الشر؛ اعتماداً على الرغبة فى الاقتراب من الله (سبحانه وتعالى)، وإظهار الضعف البشرى، ويكون ذلك، بالإخلاص، والصدق والخشوع، وإبداء الاعتقاد بأن الدعاء أهم الوسائل؛ لتعظيم العبودية أمام رب العالمين، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[4].

فهذا الأمر الإلهى، يحتم أن يتحول المسلمون إلى قادة وأئمة، يناجون ربهم، ويتوسلون إليه فى أن يجعل منهم الأئمة، والأسوة التى يوظفونها فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، دون ممارسةٍ لإكراه بغيض لا يقره الإسلام، الذى يدعو إلى الحرية والتفكير، والفعل الإيجابى، الذى ينعكس على الفرد والمجتمع.

---

[1] سورة الأحزاب الآية: (٢١).

[2] سورة الحشر الآية: (٧).

[3] سورة الأعراف الآية: (٥٥).

[4] سورة غافر الآية: (٦٠).

٢ـ الدعوة إلي الأسوة الحسنة منهج متبع مع أنبياء الله ومن معهم:

إن الالتزام الإسلامى لتكوين نماذج مخلصة من عباد الرحمن، يتحقق بالحرص على التطبيق الصحيح للمنهج الشرعى، الذى يُعَدّ بلاغاً للناس، فمنهم من يحرص عليه، ويلتزم به تشكيلاً لجماعات يمثلون أهمية بالغة، للأخذ بأيدى الآخرين فى الاقتداء بهم، والسير على منهجهم المتبع فى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وقد ذكر القرآن العديد من الآيات التى تدعو إلى التأسى برسول الله ﷺ وبغيره من الأنبياء والرسل، ففى حق إبراهيم، قال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[١].

لقد كانت العلاقة بين الإسلام، ودعوة إبراهيم، علاقة مبنية على توحيد الله، والتحول بالدعوة إلى نطاق المقاومة الجادة، والتصدى لأية محاولة للإشراك بالله، منذ دعوة أبى الأنبياء خليل الرحمن، تلك المسيرة التى شملت هذا العهد، ومن فيه من البشر، ومن سار على منهاج الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[٢].

ذلك، أن الأسوة فى إبراهيم، ومن معه هادفة وموجهة ليسير عباد الرحمن على الجوانب الصحيحة فيها، والمؤمنون من عباد الله، يرون فى هذه الحقبة، التى تشهد صراعاً بين دعاة الإيمان، وأرباب الشرك، فلما تحققت النصرة لدعوة إبراهيم، صارت منهجاً للأسوة الطيبة، التى يأخذ بها أتباع الدعوة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلوات، وأزكى التسليمات، الذين يتحولون بالسلوكيات الإيمانية إلى حيز الإمامة، والقيادة الدينية الصحيحة، والمراد من الذين مع إبراهيم، هم الأنبياء، أو أصحابه المؤمنون، أو أتباعه الذين صدقوا برسالته، واتبعوا منهجه فى التبرؤ من كل فساد، يلحق بعقيدة الإيمان والتوحيد.

---

[١] سورة الممتحنة الآية: (٤).

[٢] سورة الممتحنة الآية: (٦).

٤ـ بعض الصور والمشاهد السلوكية بخصوص الالتزام بالأسوة الحسنة:

يأخذ المؤمنون من سير الأنبياء والرسل، أسوة فى الصبر على المحن والابتلاءات، والتصدى للكفر والإلحاد، وتأسيس المنهج الصحيح للسير فيه، من غير انحراف وتضليل، فعن عوف بن مالك الأشجعى أن النبى ﷺ قال: **«خيار أمتكم، الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم**[١]**، وشرار أمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم"، قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم**[٢] **عند ذلك؟، قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، إلا من ولى عليه والٍ فرآه يأتى شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»**[٣].

وبيان الحديث واضح فى وجود الأئمة الذين يتأسى بهم المؤمنون، ووجود فريق آخر، لا يستحقون إلا المقاطعة والبغض والكراهية، جزاء صنائعهم، التى ربما يقتنع بها، ويسير على نهجها فريق من أهل الضلال، الذين لا يستحقون هم كذلك إلا النصح والإرشاد، والأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم.

إن الابتهال والدعاء، والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى يعبر عن النفوس المؤمنة المطمئنة، التى يتحلى بها عباد الرحمن فى مناجاتهم المخلصة، التى يكونون بها أسوة حسنة، وقدوة طيبة للناس جميعاً.

---

[١] المراد بالصلاة: الدعاء.

[٢] النبذ: الإعلان بالقتال.

[٣] رواه مسلم ، وأحمد.

١٤ـ الإنعام على عباد الرحمن بحسن الجزاء

يأتى حديث القرآن الكريم عن عباد الرحمن متضمناً أعظم الصفات، التى يتحلون فيها بالعبادة الصادقة، والسلوك الحسن، ويتخلون عن الموبقات، وسائر الآثام، ويصل البيان القرآنى إلى تحديد الجزاء والمكافأة لهؤلاء المؤمنين، وذلك فى آيات خالدات من الوحى المبين.

١ـ الإنعام بحسن الجزاء:

لقد تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من صفات عباد الرحمن، التى يتحلون فيها بأعظم العبادات، ويتخلون عن أقبح الصفات.

وجاءت البداية القرآنية مع قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[١].

إلى آخر الآيات التى تتناول صفات هذا الفريق المتميز من عباد الله المتقين، ثم جاء البيان الإخبارى والبلاغى؛ ليكون بمثابة نتيجة، أو نهاية إيجابية، وعطاء طيب من الله، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ، خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[٢]،ويكون الإنعام بدخول الجنة المترتب على العمل لها.

والغرفة: الجنة، وهى درجات ومنازل متعددة، ومن أسمائها: عَدْن، والفردوس، والخُلْد، والمأوى، ودار السلام، ودار المقامة، وجنة النعيم، وغيرها.

وتأتى جمعاً كما فى قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾[٣].

---

[١] سورة الفرقان الآية: (٦٣).
[٢] سورة الفرقان الآية: (٧٥ ، ٧٦).
[٣] سورة العنكبوت الآية: (٥٨).

وتأتى بصياغة أخرى هى الغرفات، قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[1]، وفى ذلك تأكيد على تعدد منازل الجنة، التى يحظى بها المتقون من عباد الرحمن.

٢ـ مقدمات الجزاء الحسن:

يتأهل عباد الرحمن للفوز برضى الله سبحانه وتعالى، ونيل الدرجة الرفيعة، والمنزلة العالية، ذلك بإنعام حسن، متمثل فى تبديل سيئاتهم حسنات، قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[2].

ذلك، أن الحسنات بما فيها من عبادات خالصة، تمحو السيئات من مجموع أعمال الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[3]، وقال ﷺ: **«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»**[4].

والحسنات هى العبادات الموجهة إلى الله، ومنها ما يكون فى صور من البر والخير، المقدمة لسائر البشر، والسيئات جمع سيئة، وهى الصغير من الذنوب، وقيل: إنها العيب والنقص، فتشمل الصغائر والكبائر.

ويدخل هذا الإنعام الإلهى، ضمن دائرة الحساب المحفوظة فى كل كتاب، يرصد ويسجل أعمال الإنسان، وهى صحائف الأحوال، التى يلْقاها المؤمن بعد البعث والنشور.

قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾[5].

---

(١) سورة سبأ الآية: (٣٧).

(٢) سورة الفرقان الآية: (٧٠).

(٣) سورة هود الآية: (١١٤).

(٤) رواه الترمذى ، من مختصر النبراوى على الأربعين النووية صـ ٦٢

(٥) سورة الإسراء الآية: (١٣).

والحسنة تمحو السيئة؛ لأن الشئ يزول بضده، كما نشاهد ذلك في الأمور المحسوسة، لكن فضل الله العظيم اشتمل المؤمن، وجعل السيئة لا تمحو الحسنة؛ مكافأة على حسن العبادة، إذ يستتبع محو السيئات وبياض صفحة الإنسان، أن ينعم الله عليه بالجنة، ويسعه بالأمان والراحة فيها، بعد نهاية البعث والحساب، والاطمئنان على حسن المستقر، وطمأنينة القلب، وراحة النفس، وعظيم المكافأة فى العطاء والإنعام، الذى يتجاوز حدود المتاح من الفكر البشرى، ويخضع للغيب الإلهى.

٣ـ الجزاء بالجنة، وبيان التحية فيها:

أنعم الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بتوجيههم إلى دخول جنة المتقين، جزاء صبرهم على متطلبات العبادة ومكارهها، وامتناعهم عن شهوات النار ولذاتها، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ، خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾[١]، ويكون الإكرام بإلقاء التحية والسلام عليهم.

والتحية كلمة ترحيبية عامة، يتسع مفهومها، ومضمونها، فى الآخرة، اختلافاً كبيراً عن الدنيا، وتقدم بأشكال وأساليب للفهم، تختلف فى الإدراك الدينى بمستوى، يتجاوز حدود الوعى البشرى.

وكلمة السلام أكثر تخصيصاً وتحديداً؛ لاشتمالها على اسم من أسماء الله الحسنى، وصيغة السلام البشرى فى الدنيا معروفة، وهى (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، ومؤداها فى الآخرة، يدخل ضمن المكونات الغيبية، التى لا يحيط بعلمها الكامل إلا المولى سبحانه وتعالى.

---

[١] سورة الفرقان الآية: (٧٥ ، ٧٦).

وقيـــــل: إن التحية من الله، والسلام من الملائكة، **وقيـــــل أيــضاً**: إن التحية هى المقام الدائم، والملك العظيم، ويتقارب معناهما كثيراً، للدرجة التـــى يمكن أن تجعل المعنى فيهما واحداً.

ويتسع إكرام الله بالعطاء الكثير، وبالقبول لليسير من الطاعة، التى يعدها الناس قليلة، وهى بفضل الله وكرمه عظيمة وخالدة.

ولا يكتفى فى الجنة بنعيمها بما فيه من حسن الإقامـــة، وتلــقٍ للتحيـــة والسلام، وإنما يتسع الإنعام إلى ما هو أشمل من ذلك، إذ وَعَدَ الله عباده الـــذين استقروا فيها، بدوام البقاء والخلود، والإقامة غير المرتبطة بزمن محدد فى نطاق الغيب الإلهى، والإدراك المعرفى الشامل، الذى يتجاوز الفهم الإنسانى بأقــصى درجاته، وفى هذا الخلود يحسُن الاستقرار، وتجمل الإقامة فـــى ظــل الإكـــرام الإلهى المستديم.

تلك، هى عطاءات الله رب العالمين لعباد الرحمن المخلــصين، والتـــى تقدمها سورة الفرقان؛ لتكون بياناً شافياً لمؤهلات الإيمان، وثمـــرات العبـــادة، والطاعة لله رب العالمين.

ثانياً: أخلاق عباد الرحمن في العقيدة والإيمان

١ـ الوفاء بالنذر، وتجريده من البدع والضلال.

٢ـ حسن الظن بالله تعالى والناس.

٣ـ العزة لله وللرسول وللمؤمنين.

٤ـ الإيمان بالغيب، ومعايشة الواقع بوعي وإدراك.

٥ـ محبة عباد الرحمن للرسول ﷺ.

٦ـ الإحساس بالأمن في ظلال الإيمان.

٧ـ مستويات الإيمان عند عباد الرحمن.

٨ـ السير في أنوار الإيمان.

٩ـ دفاع الله عن المؤمنين، وحمايته لهم.

١٠ـ محاسبة النفس، والحفاظ عليها من فتنة الدنيا.

١١ـ حسن الاقتداء بالرسول ﷺ.

١٢ـ الاعتماد على الله في طلب الرزق.

١٣ـ حسن التعامل والتصريف للأرزاق.

١٤ـ التفقه في أمور الدين.

١٥ـ القنوت لله رب العالمين.

١٦ـ ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى.

١٧ـ الحرص على نصر الله تعالى.

١٨ـ غض الأبصار عن المحرمات.

١٩ـ التقوى.

٢٠ـ الاعتصام بالله تعالى.

١ـ الوفاء بالنذر وتجريده من البدع والضلال*

النذر: التزام شخصى بلون من ألوان التقرب إلى الله تعالى، فى حدود الأوامر والنواهى، ذلك السلوك الإيمانى، الذى يلجأ إليه المسلم؛ شكراً لله تعالى على نعمة أُسديت إليه، أو شرٍّ حجب عنه، مثل: الشفاء من المرض، أو الحصول على رزق غير متوقع، أو أداء عبادة أو فريضة، لم يكن المؤمن قادراً عليها، وما شابه ذلك .

١ـ تعريف النذر ـ وبيان أحواله:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[٢]، وقال ﷺ: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه»**[٣].

والنذر: "التزام قربة غير لازمة فى أصل الشرع، بلفظ يشعر بذلك، ويكون ابتداء مثل: لله على أن أتصدق بكذا، ويكون معلقاً مثل: لله على نذر إن نجحت فى الامتحان أن أتصدق بكذا"[٤].

ويكون **النذر** فى الطاعة أساساً، وأمثلته كثيرة، وهو بصورة عامة نموذج إيجابى؛ للتقرب من الله سبحانه وتعالى، كما يكون النذر فى المعصية (كما سبق القول)، وكما ورد فى حديث لرسول الله ﷺ اقترن بموقف محدد فى مجال النهى عن النذر فى المعصية، ذلك أنه ﷺ رأى رجلاً قائماً فى الشمس، وهو يخطب، فسأل عنه، فقالوا: هذا أبو إسرائيل[٥]، نذر أن يصوم، ولا يقعد،

---

* نشر ملخصه فى جريدة عقيدتى فى ١٦ يناير ٢٠٠١م، العدد ٤٢٥.

(١) سورة الإنسان الآية ٧.

(٢) سورة الحج الآية ٢٩.

(٣) رواه الجماعة إلا مسلماً.

(٤) بيان للناس من الأزهر الشريف جـ ٢ صـ ١٢١.

(٥) أى اسمه.

ولا يستظل، ولا يتكلم، فقال النبى ﷺ: **«مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»**[1].

ويجب الوفاء بالنذر، ما دام فى طاعة الله سبحانه وتعالى، وكما قال جمهور الفقهاء إذا كان من جنسه واجب، مثل: النذر بالصدقات المالية، فمن جنسها واجب إخراج الزكاة المالية، وينبغى أن يصرف على المستحقين، بلا مجاملة أو تفضيل.

إن وجوب الوفاء بالنذر، يحتم أيضاً قضاءه على من مات، وعليه نذر، وتلك دلالة على مشروعيته، ما دام فى نطاق المباحات، التى يحرص عليها سائر عباد الرحمن.

فعن عبدالله بن عباس، أن سعد بن عبادة استفتى رسول الله ﷺ: **«فقال: إن أمى ماتت، وعليها نذر، ولم تقضه، فقال رسول الله ﷺ: "اقضه عنها»**[2].

٢ـ مدى ارتباط النذر بالدين الإسلامى:

النذر عبادة قديمة وردت بعض حالاته فى تاريخ الأنبياء، والأولياء، والمقربين من رب العزة والجلال، وذكر القرآن ذلك، وفصلته بعض الأحاديث النبوية، وقد ورد عن النذر القديم ما جاء فى القرآن بخصوص ما نذرته أم مريم، بأن يكون ما فى بطنها لله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: **﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾**[3].

---

[1] رواه البخارى.

[2] أخرجه البخارى ومسلم، واللفظ من الموطأ فى كتاب النذور والإيمان صـــ ٢٩٢.

[3] سورة آل عمران ٣٥.

ومنه أيضاً نذر السيدة مريم، حينما اقترب منها الوضع، فقال الله تعالى حسب أمره وتعليمه: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[١].

وبقيت طلائع النذر منتشرة بصورة كبيرة قبل الإسلام، وكانت لا تخلو من ممارسات ضالة فى كثير من الأحوال، وذلك فى مقام علاقة الإنسان ببيت الله الحرام، فقد كان والد الرسول ﷺ مرشحاً للذبح في طفولته المبكرة؛ تقرباً إلى الله، إذ تحقق لعبدالمطلب جد رسول الله ﷺ، ما كان يرغبه فى إنجاب عشرة من الأبناء؛ ليستعين بهم على التصدى لخصومه، ومناوئيه، فى مقام تواجده وإشرافه على الكعبة فى مكة المكرمة.

وفى ظلال الإسلام، بقى النذر موجوداً بنظرة وتشريع، يختلف قطعاً عما كان عليه الحال فى الجاهلية، وجاء فى (بيان للناس من الأزهر الشريف) ما قال به الفقهاء من آراء حول النذر من حيث الإباحة والندب، أو من حيث الكراهة والحرمة، والغالب الذى ينبغى فهمه، واستنباطه، هو أن يكون التوجه بالنذر مباحاً ومرغوباً فيه، ما دام فى حدود الطاعة المشروعة، لكنه يمكن أن يتحول إلى الكراهة أو الحُرْمة، إذ كان التوجه فيه إلى استخراج المال من الفقير، أو إعطاء النذر، على أمل أن يتحقق شئ، يسعى إليه المسلم فى المستقبل

وجاء فى الحديث القدسى بخصوص الدوافع إلى النذر، ما يلى: «**لا يأتى ابن آدم النذر بشئ لم أكن قدرته، ولكن يلقيه النذر إلى القَدَر، وقد قدرته، استخرج به من البخيل ، فيؤتينى عليه مالم يؤتنى عليه من قبل**»[٢].

وأفضل من كل ذلك، أن يتحول النذر إلى صورة تطوعية، تليق بالمسلمين من خلال نماذجهم الكثيرة فى حياتنا المعاصرة، ويتمثل ذلك: بتقديم

---

[١] سورة مريم ٢٦.

[٢] رواه البخارى، وأحمد ، والنسائى عن أبى هريرة (أدب الأحاديث القدسية للشرباصى صـ٢٤٩).

النذر في صورة شكر لله، وعطاء مادى أو معنوى، وعبادة تحتاج إلى كثير من الاستطاعة، على اختلاف درجاتها، وتنوعها، وذلك إقراراً وثناءً وشكراً للمولى (جلت قدرته) على ما وهبه للإنسان من منح، ونعم، وعطاء.

٣ـ النذر بين العبادة والعادة:

ينبغي أن يكون معروفاً، أن النذر لا يكون إلا لله تعالى، قال عز من قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

ومن أمثلة النذر التى يمكن أن تقترب به إلى الكراهة، أو الحرمة ما يقع فى حياتنا المعاصرة من نذر، يمارسه العامة فى قبور بعض الأولياء المنتشرة شواهدهم فى كثير من البلدان، معتقدين أن الشيخ أو الولى لديه من النفوذ، والقدرة، ما يدفعهم إلى التوسل به والعطاء والكرم لأتباعه، وقد يلجأ بعض الفقهاء إلى التخفيف فى الحكم على أمثال هذه النذور، معتقدين بأن ما يتحصل منه، ينفق على كثير من الفقراء، والمتصوفين المحتاجين إلى هذه النذور التى تقدم إلى أضرحة الأولياء.. ولو كان الأمر بهذه الكيفية، دون أن تختلط به شواهد أخرى، تقرب ذلك التوجه إلى فساد فى السلوك والاعتقاد، لكان الأمر هيناً، ولكن الواقع المتجسد فى صورته الحاضرة أبعد من ذلك، إذ يتجه الناذرون فى سلوكياتهم إلى تعظيم أمكنة الدفع، والتبرك بها، والتمسح بأعتابها بصورة لا تليق بعباد الرحمن المخلصين، الذين يؤمنون بقضاء الله وقدره على سائر المخلوقات، ولذلك يجب الحذر، والتنبيه، إلى ما فى هذا السلوك من مآخذ، محرمات.

وينبغي على عباد الله المتقين الفصل بين المباح والمكروه، أو بين الحلال والحرام؛ حتى تتحول هذه العبادة إلى صورة إيجابية، محققة لكثير من الأهداف السامية، والصفات الطيبة، التى ترسم لوحة زاهية، ومشرقة لعباد الله المخلصين، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

[١] سورة الأنعام الآية رقم (١٦٢ ، ١٦٣).

٢ـ حسن الظن بالله تعالي والناس

تتجلى بعض معالم الشخصية المسلمة، من خلال علاقتها بالله ورسوله، وبالنماذج المؤمنة، التى تمثل التوجهات الرائدة فى تواصل عباد الرحمن بمكونات الفكر الإسلامى.

ويتضح ذلك، فى حتمية حسن ظن المؤمنين الصادقين بالله سبحانه، وبعباده الذين ينبغى أن يكونوا موضعاً للثقة، وأهلاً للقدوة والتقدير.

١ـ معنى حسن الظن ـ وبيان ما ورد فيه من القرآن والسنة:

إن الظن درجة من الشك لا يرقى إلى اليقين، ويستند على علامات تضعف وتقوى، فإن الضعف يجعله بمقام التوهم، والقوة ترقى به إلى درجة من اليقين، ويتوقف الحكم عليه ببيان دوافعه، وأسبابه، كما أن حسن الظن بالله هو المقدم، والأساس فى تقدير الذات الإلهية، وأن حسن الظن بالناس، هو الأصل الذى ينبغى التعامل به مع الآخرين، خاصة فى حق عباد الله الصالحين.

.."وقد قال العلماء: إن حسن الظن بالله، هو أن تظن أنه سيعفو عنك، ويرحمك بواسع رحمته، وأنت على طاعته، وهذا لا يتعارض مع حذرك إذا كنت عاصياً.

وحسن الظن بالناس، هو أن تظن أنهم على خير، وعلى هدى من ربهم فيما بينهم وبينه[١]، بل ربما كانوا عند الله أحسن منك، وهذا فى المسلمين المستورين، وأما أهل العصيان والفسوق، والأهواء الفاسدة، والمجاهرين بالمعصية، فلا يتأتى فيهم حسن الظن"[٢].

---

[١] الأصوب أن يكون التعبير (فيما بينه وبينهم)

[٢] موسوعة أخلاق القرآن جـ ٤ صـ ٤٢، وانظر هامش التاج الجامع الأصول جـ ٥ صـ ٧٢.

فعن جابر (رضى الله عنه) أن سمع النبى ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عزوجل»**[1].

والإطار العام لدلالة الظن، يجعل الأساس فيه أن يكون حسناً طيباً، خاصة فيما يتصل بعابدة الإنسان لربه، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: **«حسن الظن من حسن العبادة»**[2].

وأن المولى (سبحانه وتعالى) يخبر فى حديث قدسى أنه فى الموضع المقدس من حسن ظن العبد به، وأن ذلك يجعل المؤمن فى معية الحق، ما دام ذكره ثابتاً، ومستقراً فى أعماق النفس المؤمنة المطئنة.

فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: **«قال الله عزوجل: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حيث يذكرنى»**[3].

وأن حسن الظن بالله واجب، فى ظل سعى المسلم لحسن العبادة، والعلاقة بالله، وأن حسن الظن بالناس، يرقى بالمسلم إلى درجات من المحبة، والتواصل مع سائر عباد الرحمن، فلا يحقد عليهم، أو يسيئ الظن بهم، بل إنما يحترمهم ويقدرهم، ويحرص على نصحهم وإرشادهم.

٢ـ إيضاح سوء الظن بالله والناس:

قال تعالى فى سورة النور، فى شأن حديث الإفك، الذى ألصقه المنافقون بأم المؤمنين السيدة عائشة، (رضى الله عنها)، قال تعالى: **﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾**[4].

وذكر القرطبى فى تفسير هذه الآية ما يلى: "هذا عتاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين فى ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا"[5].

---

[1] رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجة.

[2] رواه أبو داود وابن حبان واللفظ لهما، والترمذى والحاكم بلفظ آخر.

[3] رواه الشيخان والترمذى (التاج الجامع والترغيب والترهيب).

[4] النور الآية رقم (١٢).

[5] القرطبى جـ ١٢ صـ ٢٠٢.

والآية من وجوه كثيرة، تؤكد ورع المؤمنين والمؤمنات فى ظنهم الحسن بأم المؤمنين، ورفضهم لكل إفك وظن سيئ، ومعصية، انحرف إليها جماعة من المنافقين، الذين أساءوا الظن بزوج الرسول، ووسموها بما لا يليق، وهى نموذج العفة والنقاء، فى عصر البعث النبوى وبعده.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[١].

وإن الظن السيئ فى الآية نابع من صفات المنافقين، والمنافقات، والمشركين، والمشركات، الذين كان همهم متوجهاً إلى الرسول ﷺ، والصفوة المتقدمة بدرجات الإيمان.

وتوجب حتمية اجتناب الكثير من الظن؛ لأن هذا الكثير فيه من الغموض والإبهام، ما يحتم على المسلم أن يكون على احتياط وحذر، والمعنى أيضاً، كما قال القرطبى: "أى لا تظنوا بأهل الخير سوءاً، إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير"[٢].

بينما قال الشيخ سيد قطب فى هذا الموقف: "فأما هذه الآية، فتقيم سياجاً آخر فى هذا المجتمع الفاضل الكريم، حول حُرُمات الأشخاص به، وكراماتهم، وحرياتهم، بينما هى تعلم الناس، كيف ينظمون مشاعرهم، وضمائرهم، فى أسلوب مؤثر عجيب"[٣].

إن اهتزاز علاقة المسلم بربه، يجعله لا يقدس بالصورة المطلوبة تلك العلاقة، منحدراً بها إلى درجة من الظن، لا تختلف عن ظنون الجاهليين فى المراحل الزمنية، التى كان الناس فيها يعيشون فى عصور الأمية الدينية الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[٤].

---

[١] الحجرات الآية رقم (١٢).

[٢] تفسير القرطبى جـ ١٦ صـ ٣٣١.

[٣] فى ظلال القرآن جـ ٦ صـ ٣٣٤٥.

[٤] آل عمران الآية رقم (١٥٤).

وقال: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾[2].

والظن السيئ بالله، ينبعث أساساً من أعداء التوحيد، الذين لا يحسنون تقدير الحق، ولا يثقون فى قدراتهم ومعطياتهم.

قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[3].

وكانت الآيات التى تنص على سوء الظن بالله، موجهة إلى رصد عدد من المواقف التى تخصُّ بعض المنافقين، الذين ظنوا فى إحداها أن الرسول، وأصحابه ذاهبون إلى الموت، عند فتح مكة، ولن يرجعوا إلى أهليهم بالمدينة، وكان مبعث ذلك، هو إشاعة الضعف، وحجب المسلمين عن التحرك إلى مكة، مما يؤدى إلى حصار القوة المسلمة فى نطاق المدينة على الأمد البعيد، ولكن ذلك لم يكن إلا توهماً، وإساءة للظن بالله.

قال تعالى: ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾[4].

وهكذا، يعرض الوحى الإلهى لأصحاب الظن السيئ بالله وبالناس؛ إشعاراً وتأكيداً لحتمية الامتثال للظن الإيجابى الحسن، الذى يتحلى به عباد الله المتقون.

---

[1] الأحزاب الآية رقم (١٠).

[2] الفتح الآية رقم (٦).

[3] فصلت الآية رقم (٢٣).

[4] الفتح الآية (١٢)، ومعنى بورا: أى هالكين عند الله.

٣- التحذير من المبالغة في حسن الظن بالناس، والغفلة عما يدبره أرباب الإثم والتمرد والعصيان:

عندما يُذكر الظن، فإن الذهن ينصرف في تصوره إلى السيئ منه، الذي يتخذ من الكذب، والخداع، ستاراً يتخفى وراءه، مَكْراً وكذباً وافتراء، فعن الصحابي الجليل أبي هريرة (رضي الله عنه) - أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»[١].

فحسن الظن خلق إسلامي، يليق بالصادقين من عباد الرحمن، والظن السيئ لا يحيق إلا بأهله، وهو - بلا سبب واضح- إثم واتهام وضلال.

لقد كانت حياة الرسول (ﷺ) أمام أصحابه، قدوة ونبراساً لهم في سلوكياتهم معه، ومع بعضهم بعضاً.

لقد روت أم المؤمنين والمؤمنات، صفية بنت حيي بن أخطب أن الرسول (ﷺ) كان معتكفاً في المسجد، فذهبت إليه، وتحدثت معه، فلما أمست انصرفت، فقام رسول الله يمشي معها، فمر بهما رجلان من الأنصار، فسلما وانصرفا، فناداهما النبي، وقال: «**إنها صفية بنت حُيَي، فقالا: يا رسول الله، ما نظن بك إلا خيراً، فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد، وإني خشيت أن يدخل عليكما**»[٢].

وينبغي أن يفصل عباد الرحمن بين حسن الظن، بصفته خلقاً إسلامياً، وسوء الظن، الذي يتطلب الاستعانة به في مواجهة المسلم لخصومه وأعدائه، الذين يتفننون في ممارسة العديد من الحيل والمكر والدهاء، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[٣].

---

[١] متفق عليه.

[٢] أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة من حديث صفية بنت حييّ.

[٣] النساء الآية (٧١).

هؤلاء الذين يصدق عليهم قول الشاعر:

وعينُ الرضا عن كل عيب كليلـة كما أن عينَ السَّخط تُبدى المساويا

وعليه، يصير سوء الظن أمراً مطلوباً فى التصدى لأصحاب النفـوس الأمارة بالسوء، الداعية إلى الشقاق.

ونصل مع الإدراك والتنبيه إلى أن الظن، إما أن يكون مبنياً على دليل، فهو مطلوب فى حُسْنه وقبوله، وإما أن يكون مجرداً من الدلالة، ومبنيـاً علـى الوهم والتخيل، وذلك المتمثل فى الشك الذى يتنافى مع أخلاق الإسلام، وهذا هو محل التحذير والترهيب، على عكس الظن الحسن الذى دعا إليه القرآن الكريم، وسنة المعصوم (ﷺ).

٣ـ العزة لله وللرسول وللمؤمنين

تَعْمُر القلوب بالإيمان، وتزداد الثقة بالله، عندما يستشعر المؤمن أن عزته، وكرامته متوافقة مع المنهج الإسلامى، ومعبرة عن دينه الذى يدعو إلى حفاظ المسلم على أخلاقه وعزته، وكرامته، وبحيث يحفظ حقوق الآخرين فلا يستذلهم، ولا يطغى عليهم، ويصير عضواً مفيداً فى مسيرة الدعوة الإسلامية، والحياة الاجتماعية.

١ـ العزة في حق الله، ورسوله، والمؤمنين:

العـزة: هى التفرد والتميز، وهى حتمية الوجوب فى حق الله ورسوله ﷺ، فهو سبحانه وتعالى العزيز القهار، الذى تتجمع صفة العزة فى حقه بالصورة العالية المقدسة، والتى يتنزه بها عن غيره، ويتفرد بها عمن سواه.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[١].

والعزة فى حق رسول الله ﷺ من دواعى الرسالة، ومتطلبات النبوة الذى يتوجب عليه أن يتمسك بها، ويدعو أصحابه إلى الاقتداء به، خاصة فيما بينهم ما دام المبدأ أو المنهج لديهم، هو رفض التذلل، وكل ما يحط من شخصية المسلم، وألا يكون ذلك مصحوباً بتفاخر، أو عدوان على الآخرين، ومن غير أن تكون العزة سبيلاً إلى الوقوع فى الإثم، واقتراف المنكر.

ويلزم أن يكون سعى المؤمن مرهوناً بعزة النفس، خاصة فى الإقبال على الدنيا، وتحصيل متطلبات الحياة، قال ﷺ: «**اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجرى بالمقادير**»[٢].

---

[١] فاطر الآية (١٠).

[٢] رواه ابن عساكر فى تاريخه. تراجع موسوعة أخلاق القرآن للدكتور/ أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ٢٠.

وقد تحدث الدكتور أحمد الشرباصى، عن معنى العزة فقال: "والعزة ليست تكبراً أو تفاخراً، وليست بغياً أو عدواناً، وليست هضماً لحق أو ظلماً لإنسان، وإنما هى الحفاظ على الكرامة، والصيانة لما يجب أن يصان، ولذلك لا تتعارض العزة مع الرحمة، بل لعل خير الأعزاء، هو من يكون خير الرحماء"[1].

ويتطلب هذا الوصف الأخلاقى فى حق عباد الرحمن، أن يحرصوا على عزة الآخرين، وعدم إذلالهم، ومراعاة أحوالهم، وذلك بعدم الاعتداء عليهم، والنيل منهم؛ لأن ذلك ينعكس على شخصية المسلم، وعزته، وكرامته، التى هى شأن إسلامى متميز.

٢- الحديث عن بعض المواقف الإسلامية بخصوص وصف الرسول، وأصحابه، بالعزة والكرامة:

لقد تحدث القرآن الكريم[2] عن موقف شهد صراعاً أخلاقياً، شنته مجموعة من المنافقين فى حق الرسول، وأصحابه، عند اشتعال جذوة الاختلاف، فى أعقاب خروج الرسول، والمؤمنين إلى غزوة بنى المصطلق، فقد نشب خلاف على أسبقية الحصول على الماء، من بئر يسمى (المريسيع)، من ناحية (قديد) إلى الساحل، واشتد النزاع بين المؤمنين، والمنافقين فى هذا الموقف، الذى أقسم فيه عبدالله بن أبىّ، أنه عند عودته إلى المدينة، سوف يُخرج منها محمداً (ﷺ)، وأصحابه.

قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

[1] موسوعة أخلاق القرآن للشرباصى جـ ١ صـ ٢٠.
[2] فى سورة (المنافقون).
[3] المنافقون الآية (٨).

ويقصد عبدالله بن أبى، وهو قائد المنافقين، بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الرحمة والإنسانية، لكن الموقف لم يكن يقتضى تصعيده من الرسول، أو من أصحابه فى حق تلك الفئة الضالة المضلة، التى كانت تتستر بالإسلام، وتطعن فيه، إذ أوجبت مقتضيات الدعوة تنويم الفتنة، ورصد أحداثها، وتطوراتها، واستمرار محاولات العلاج لها؛ حتى لا تستشرى بين النفوس المؤمنة فى مراحلها الأولى، حيث كان الإسلام جديداً فى القلوب، أو على أبواب الدخول إليها.

ونأتى إلى موقف ثان، جرت أحداثه أثناء غزوة أحد، إذ ارتكب بعض الصحابة شيئاً من المخالفات، فيما يخص الأوامر والتعليمات، التى ألقاها عليهم سيدنا محمد (ﷺ)، فقد تركوا المواقع المنوطة بهم، والمكلفين بالمراقبة، والحرب عليها، وانصرفوا فى بدايات النصر إلى التوجه الدنيوى، المتمثل فى جمع الأموال، متعلقين برغباتهم فى الحياة، تلك التى جعلتهم فى وضع سيئ، يحط من كرامتهم، ويطغى على عزتهم، مستذلين أنفسهم بالضعف المخزى، الذى لم يكن مناسباً لأهمية الدفاع عن المدينة - والأمر فى ظاهره، كان تقديراً غير دقيق، وخروجاً لم يتوقعوا نتائجه وأبعاده، فوقعوا بهذا التصرف الإنسانى، تحت مذلة رغائب المال، والضعف أمام أهواء الدنيا، ومذلة الشيطان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

وتأتى بواعث العفو الإلهى فى حق هذا الفريق من المؤمنين، مرتهنة بسلامة طويتهم، وعدم خيانتهم، واندفاعهم إلى جمع المال بحرص دنيوى، يتورط فيه كثير من الناس.

إن الأخلاق الإسلامية، منظومة متكاملة تبنى شخصية المسلم بناءً إيمانياً نزيهاً، تتشكل منه حقوقه التى تخصه، والواجبات التى ينبغى عليه أن يتمسك بها، وألا يتجاوز فى علاقاته مع الآخرين.

---

[1] آل عمران الآية (١٥٥).

فالإسلام عندما أوصى المسلم بالعزة، هداه إلى أسـباب‍ها، ويَّسر له وسائلها، وأفهمه أن الكرامة فى التقوى، وأن السمو فى العبادة، وأن العزة فى طاعة الله، والمؤمن الذى يعلم ذلك، يجب أن يأخذ نصيبه كاملاً، غير منقوص، فى الحياة الرفيعة المجيدة.

فإذا ما اعتدى عليه أحد، أو طمع فيه باغ، كان انتصابه للدفاع عن نفسه جهاداً فى سبيل الله، وليس ذياداً[1] عن الحق الشخصى، بل إقراراً للحقوق العامة، والمثل العالية، ومن ثم، فإن موت المسلم دون حقه شهادة"[2].

وفى البيان القرآنى عَرْضٌ للتحول بالمجتمع من العزة ، والكرامة، واستقامة الشخصية إلى الإذلال، والوقوع فى القهر، والانهزام للنفس، وتجلى ذلك، فى حديث القرآن عن تصور ملكة سبأ لأفاعيل الملوك، الذين يمارسون الطغيان، والتجاوز، متحولين بالأعزاء من القوم، إلى أذلاء لا حول لهم، ولا قوة، هذا التحول الذى جاء فى القرآن على لسان بلقيس، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[3].

هذا التحول يتمثل فى نهب الأموال، وتخريب الديار، وقهر النفوس، وإشاعة الفساد وانتهاك الحرمات.

٣- التحول بهذا الوصف الأخلاقي عند عباد الرحمن إلى قوة إيجابية تخدم مسيرة الحياة الإنسانية:

إذا قويت المشاعر الإيمانية عند المسلم، فالمأمول أن يتحول إلى قوة فاعلة، تؤثر فى الحياة، وتدفع الآخرين إلى التحرك الإيجابى، دون أن يصابوا بضعف، وانهزام في مواجهة خصومهم وأعدائهم.

---

[1] ذياداً: دفاعاً.

[2] خلق المسلم لمحمد الغزالى صـ ٢٠٣ ، ٢٠٤.

[3] سورة النمل الآية (٣٤).

وكتب الشيخ محمد الغزالى عن هذا الأمر، فقال: "إن الناس يذلون أنفسهم، يقبلون الدنية فى دينهم ودنياهم، لواحد من أمرين: فإما أن يصابوا فى أرزاقهم وإما فى آجالهم. والغريب أن الله قطع سلطان البشر على الآجال والأرزاق جميعاً، فليس لأحد إليهما من سبيل: فالناس فى الحقيقة يستذلهم وهم نشأ من أنفس مريضة بالحرص على الحياة، والخوف على القوت. والناس من خوف الذل فى ذلك، ومن خوف الفقر فى فقر، مع أن الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الصلة بالله تبارك وتعالى"(١).

وقد كانت العزة صفة عربية أصيلة، أشار إليها الشاعر الجاهلى عنترة، فقال:

لا تَسقِنى ماءَ الحياةِ بذلةٍ بل فاسقِنى بالعز كأسَ الحنظلِ

ولا يتعارض ذلك مع المنهج الإسلامى، فى حتمية حرص عباد الرحمن على التواضع، وتقدير الآخرين، فهذا واحد من عباد الرحمن المخلصين، الذى رفع صوته بالأذان فى حضرة النبى ﷺ، وهو بلال بن رباح (رضى الله عنه)، فقد سئل: ابن من أنت؟ فقال: أنا ابن الذى سجدت له الملائكة، وكان يقصد أنه ابن آدم.

ينبغى أن تكون عزة النفس مستمدة طاقتها من القوى القهار، والعزيز الجبار، وأية محاولة للانفلات من هذا الاعتقاد باطلة، وخاسرة، ولا قيمة لها فى ميزان الأقوال والأفعال.

وعندما تتحول عزة الشخص بأشياء، لا يأتى إليها التكامل، أو الاستمرار، كبعض الشواهد القرآنية، التى يجب الاعتبار بها، فإن الأمر يأتى تدليلاً على فساد التوجه إلى العزة بالكفر، أو بالإثم، أو بشخص فرعون وعزته،

---

(١) خلق المسلم صـ ٢٠٦.

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾[1]، فأى عزة تلك التى يلتقى بها الشقاق، والنزاع والتفريق؟ أو القسم الباطل، كمن قال الوحى القرآنى على ألسنتهم: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[2]، وقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾[3]، ويبقى الدوام لذى العرش والجلال، إنه صاحب العزة، والملكوت: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

ذلك كله، تعبير عن بعض مكونات المنهج الإسلامى، فى حق عباد الرحمن السابقين، والمعاصرين، واللاحقين إلى يوم الدين.

---

[1] ص: الآية (٢).

[2] الشعراء: الآية (٤٤).

[3] البقرة: الآية (٢٠٦).

[4] الصافات: الآية (١٨٠).

٤- الإيمان بالغيب
ومعايشة الواقع بوعي وإدراك(*)

يُعد إيمان عباد الرحمن بالغيب الإلهى جزءاً من دعائم عقيدتهم، التى تختلف في رسوخها عما يثبت فى أعماق من يأتون بعدهم فى درجات الترقى، والسعى إلى رب العالمين، وهم جميعاً –بتدينهم وسمو عقيدتهم– يتقدمون عمن سواهم، الذين ينظرون إلى الغيب بشتى أنواعه، على أنه سهل يسير، يمكن اختراق الكثير منه، مما يفصلهم عن متطلبات الإيمان الصحيح.

١- معنى الغيب الذى استأثر الله تعالى به:

إن الغيب: هو ما غاب على الإنسان العلم به، والتعرف عليه، ويتعلق هذا فى معرفته وشموله، واتساعه بالله سبحانه وتعالى.

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك، بأسلوب مباشر صريح، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(١).

وإذا كان علم الله للغيب، وإحاطته به، أمراً ثابتاً، لا شك فيه، فإن إدراكه الواسع لعالم الشهادة جلى واضح، لا يحتاج إلى تأكيد، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾(٢)، أى أن علم الله بالغيب والشهادة، متسع، لا حدود له، وأنه (سبحانه وتعالى) يملك أسرار العلم، بما يشمله ويحتويه من جزيئات صغيرة، لا حصر لها، وفى أعماق بعيدة فى المكان والزمان، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

(*) لقد شرعت فى إعداد هذا الموضوع يوم الثامن عشر من يوليو عام ١٩٨٠م.

(١) النمل: الآية (٦٥).

(٢) الرعد: الآية (٩).

(٣) الأنعام: الآية (٥٩).

فهذا هو العلم الواسع، الـذى يـشمله الله بإدراكـه لـسائر الكائنـات والمكونات، فى الطبيعة الظاهرة والمخبأة، والمتحركة أو الصامتة، ومنها خمسة من الأمور الغيبية، المحددة التى نص الله (سبحانه وتعالى) فى كتابه الكريم على علمه بها، علماً مختلفاً عما فى طاقات البشر من محاولات، ومعارف خاضـعة لأمور ظنية، أو بأسباب علمية غير شاملة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

٢ـ الدلائل على إيمان عباد الله بالغيب:

يُعدُّ الإيمان بالغيب، من أهم دعائم العقيدة عند عباد الـرحمن خاصـة، وعند الآخرين بعامة، ذلك، أن الإيمان بالغيب يشمل التصديق بما وراء الطبيعة من قوى، فوق طاقة الإنسان، الذى تتوقف حدود فهمه، عند مستوى لا يستطيع أن يتجاوزه، وهذا الإيمان بالمغيبات، حقيقة لا يكاد يخلو منها دين سماوى، أما فى الإسلام، فهى أخص أوصاف المتقين، قـال تعـالى فـى حقهـم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[2]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾[3].

واختزن الله سبحانه وتعالى فى عوالم أسراره الإلهية، كثيراً من كوامن الغيب، التى يجب على المسلم أن يتقيد فى علمه عنها، بما ثبت فى حقهـا مـن دلالات مؤكدة بالقرآن، والسنة النبوية الصحيحة، ونـذكر أمثلـة لهـا، هـى: الشياطين، والجن، والملائكة، والبعث، والعرش، والكرسى، والصراط، والجنة ، والنار، واللوح، والقلم، والبرزخ[4].

---

[1] لقمان: الآية (٣٤).

[2] البقرة: الآية (٣).

[3] الأنبياء: الآية (٤٩).

[4] البرزخ: اختلاف القوانين بين عالم الأحياء وعالم الأموات – ينظر فى الموضوع كتاب: "القرآن .. محاولـة لفهم عصرى" دكتور مصطفى محمود صـــ ١٧٥ – ١٧٦.

وقد تلقى الرسول ﷺ ما جاء فى القرآن عن بعض أحوال الغيب، مثل البعث، والحساب، والجنة، والنار، وغيرها، وواجه قريشاً بها، تلك المغيبات التى كان أثرياء العرب، وذوو النفوذ منهم لا يقبلون مجرد الدعوة، أو الاستماع إلى شيئ منها، التى يتساوى معهم فيها الخدم والعبيد.

أما من تفتحت صدورهم لأنوار الدعوة المحمدية، فكانوا مؤهلين لحياة جديدة، يصدقون فيها كل ما جاء به الإسلام، ولذا تغير بهم شكل الحياة، وتحول العبيد الأرقاء إلى عباد مخلصين لله رب العالمين، وصار إيمانهم بالغيب إيماناً بخالق الكون، الذى لا حدود له.

وإذا كانت ذاته المقدسة، غير مُدْرَكة بالبصر والمشاهدة، فآثار هذه الذات العُليا بارزة، لا تخفى على أحد، ولا ينكرها إلا من استسلم، أو انهزم أمام كل ما غاب عنه، مرجعاً أكثر المسببات إلى حركة الزمن وقوى الطبيعة، والمصادفات التى لا قانون لها.

لقد كان الإيمان بالآخرة، هو لب التدين فى منهاج عباد الرحمن، وشكل ذلك دافعاً لهم؛ للرضا بالقضاء والقدر، والصبر على البلاء، والأمل فى رزق الله بالدنيا، ورحمته يوم الحساب، وعندما شرع الوحى الإلهى يهبط مع جبريل إلى الرسول ﷺ توالت اختراقات القرآن لحواجز الغيب غير المعلن على الناس، وتجلى ذلك، فى العديد من المواقف، التى تحدى فيها العرب، فأعلن عليهم فى مكة، وهم ذلة ضعاف، قول الله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[1].

حتى قال عمر بن الخطاب: أى جمع هذا الذى سَيُهْزم، ونحن لا نستطيع أن نحمى أنفسنا.

وجاءت الهجرة، وكان النصر المبين لعباد الله المخلصين، وهزيمة الكثرة الغاشمة، التى أصيبت بالصلف والغرور، جاهلةً حديث القرآن عن الغيب، وأحداث الزمن الآتى.

---

[1] القمر: الآية (٤٥).

وتحدث القرآن عن الوعد فى المستقبل بانتصار الروم – وهم من أهل الإيمان – وهزيمة المجوس، وعبدة النار، وتحقق ذلك الإعجاز القرآنى عن حوادث المستقبل المجهول، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وتصور المواقف القرآنية المتعلقة بحوداث الغيب، الوليد بن المغيرة، وأبا لهب، وغيرهما من النماذج البشرية، التى حدث لها ما لم يكن وارداً فى أذهان المعاصرين، فى البعث المحمدى بسنواته الأولى.

٣ـ الفرق بين علم الله للغيب، ومحاولات بعض البشر اختراق حواجز الغيب الإلهى:

إن مظاهر الخروج على خصائص الحق فى احتجاز الغيب بخزائن أسراره كثيرة ومتعددة، ومن أبرز تلك التوجهات: اللجوء إلى السحرة والكهنة، ومدعى العلم الغيبى، معتمدين ادعاءً أو حقيقة على الجن والشياطين، وأشياء أخرى، ومستغلين جهل الكثيرين بالوسائل التى يلجؤون إليها فى الخداع والإبهام، والخيال، الذى يأنس به معظم الضعاف بالعجز والجهل والمرض، ويجدون فيما يستمعون إليه علاجاً لكثير من همومهم، وتحقيقاً لبعض آمالهم وطموحاتهم.

وتبقى إشكالية المؤمنين بالله، الذين لا ينتبهون إلى خطورة سلوكياتهم فى اللجوء إلى السحرة والدجالين، مصدقين أقوالهم، وجاهلين أن ذلك يمثل ضعفاً فى عقيدتهم، التى تبنى على علم الله للغيب بشتى أحواله، قال رسول الله ﷺ: **«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدق بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد»**[2].

---

[1] الروم: الآية (٤ – ٥).

[2] رواه أصحاب السنن الأربعة، والحاكم وصححه.

إن علم الله يقينى شامل لا حدود له، بينما يعتمد مدعو معرفة الكثير من أحوال الغيب على مجموعة من المعارف، ربما تكون علمية، لكنها لا تتجاوز الظن والترجيح، إلى اليقين والصدق القاطع، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[1]

إن عباد الرحمن المتقين، يمثلون قدوة لغيرهم فى حتمية الإيمان الصادق، برب العالمين، واختصاصه واحتفاظه بأسرار الكون، ومخبآت الزمن، وتصاريف القدر، وسائر أحوال الغيب، وإن المحاولات المعاندة والشريرة لاختراق ذلك؛ اعتماداً على تسخير الجن والشياطين، وممارسة سائر ألوان الخداع، ليس إلا عناداً، وتحدياً، ينبغى مقاومته، والتصدى له بالحسنى والحكمة والهداية الرشيدة، قال تعالى فى حق هؤلاء الخارجين على ثوابت الإيمان: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[2].

والله يقول الحق، ويهدى إلى صراطه المستقيم.

---

[1] النجم الآية (٢٨).

[2] الروم الآية (٧).

٥- محبة عباد الرحمن للرسول ﷺ

يتنوع الحب فى حياة عباد الرحمن، إذ يوجَّه ابتداء إلـى الله سـبحانه، ورسوله ﷺ، وحب أصحابه وتابعيه، وسائر أولياء الله الصالحين.

ولا ينبغي أن يكون من جماعات المؤمنين، من يقع فى شراك حب المال بلا إحكام، أو حب النفس، ليصل بها إلى درجة عبادة الذات، أو يتحول إلى حب الجاه والمنصب، وكل رغائب الحياة.

١- حب عباد الرحمن لرسول الله، وأحوال ذلك:

شرع الرسول ﷺ يبلغ دعوته إلى الناس جميعاً، إذ لم تكن قاصرة على جنس دون آخر، حيث اشتملت على بعض النماذج المؤمنة من جنسيات مختلفة، ومنهم سابقون فى الإسلام، ومتأخرون عن عصر البعثة، ومن أوائل صـحابته فى إحراز قصب السبق، والوصول إلى درجات من الإيمان والتقوى: خبَّاب بن الأرت (العربى)، وصهيب (الرومى)، وبلال (الحبشى)، وسلمان (الفارسـى)، ويُضَم إليهم عبدالله بن سلام (الإسرائيلى).

هؤلاء النفر الذين كانوا ضعافاً فى بداية الدعوة، لكنهم اسـتمدوا قـوة إيمانية جديدة على البيئة العربية، التى كانت الأصنام منتشرة فيهـا، وطـالبهم الرسول بالدخول فى الإسلام واتباع سنته ﷺ، قال تعالى فى ذلك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]؛ لأن اتبـاع الرسول وإطاعته، تقربهم من طاعة الله سبحانه وتعالى، وتلك التى تهـب مـن يعيش فى ظلالها رعاية، وأمناً، وهدوءاً، واطمئنانـاً، قـال تعـالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٢].

---

[١] آل عمران الآية (٣١).

[٢] النساء الآية (٨٠).

وقد اقترنت الدعوة إلى حب الله بحب رسول الله، وبهذا الحب يرتقى عباد الرحمن إلى درجات عليا من الصفاء والنقاء. روى أنسٌ – رضى الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر، كما يكره أن يُقذف فى النار»**[١].

ففى هذا البيان النبوى، تتسع دائرة الحب عند المؤمن، ويجد حلاوة للإيمان فى حبه لله ورسوله.ثم إلى الآخرين، مما يؤكد دعوة الإسلام إلى نشر المحبة والإيمان.

ولم يكن حب الصحابة للرسول قاصراً على مرحلة دون أخرى، أو على مكان دون آخر، ففى غزوة بدر الكبرى، كان الهم الأول للصحابة، أن يقيم الرسول ﷺ فى مكان آمن بأرض المعركة، وبقى نفر منهم فى حراسته، وتأمين موضعه فى الخيمة، أو العريش الذى خصص له.

ولما كانت غزوة الخندق نهض الرسول ﷺ مع أصحابه فى الحفر، وحمل التراب، واستمر أمام أعينهم على هذه الحالة، وكان ذلك دافعاً لزيادة نشاطاتهم فى العمل، الذى كان الهدف منه هو حماية المدينة، وتأمين المسلمين واليهود بها، وجاء ذلك فى الحب المتبادل بين الرسول وأصحابه، وكان الرسول ﷺ حريصاً على أهمية حب الصحابة له، فقال فيما رواه أنس: **«والذى نفسى بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»**[٢]

وقد صدق رسول الله فى تأكيد حب الصحابة له؛ لأن تلك هى البدايات التى يجب السير فى طريقها الآمن المملوء بالمودة والرحمة.

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه البخارى.

٢ـ مظاهر حب الرسول لأصحابه:

لقد تجلى حبُّ الرسول لأصحابه وأهل مكة بعد الفتح المبين، وأخذ الناسُ ينتظرون ما ستفسر عنه الأحداث، وإذ بهم يشهدون الرسول وهو يرتقى إلى مكان عال فى المسجد الحرام، وهتف بأعلى صوته قائلاً: **«يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: "فإنى أقول لكم ما قاله يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

وجعل هدفه فى المقام الأول، تجميع الأمة المسلمة على عبادة إله واحد، فبدأ ذلك بالإشارة إلى تحطيم الأصنام، وكان يقرأ ساعتها: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[١].

ودعا إلى نشر المودة والحب بين المهاجرين والأنصار، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢]

وكان حب الرسول لأصحابه من الأنصار لا يقل عن حبه للمهاجرين، وتشكلت فى عصره المبادئ الأساسية؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية، التى لا زالت المجتمعات المعاصرة تبحث عنها، وتسعى إلى تحقيقها، ففى حق الأنصار، قال ﷺ: **«لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»**[٣].

---

(١) الإسراء الآية (٨١).

(٢) الحشر الآية (٩).

(٣) متفق عليه.

وفى ظل هذا الجو الإيمانى، الذى بدأت أنواره تضئ الطريق للمؤمنين فى مكة، ازداد المسلمون قوة ومَنَعَةً، خلال وجودهم فى المدينة، فهم يستمعون إلى الرسول، ويبكون على ما ضاع من أعمارهم، واقتناعاً بالوحى، الذى يستمعون إليه فى بدايات الدعوة، وهى من المراحل الجافة والصعبة فى الحياة، وقسوة العيش، وشدة المقاومة، والدفاع عن النفس، فلما كانوا يجتمعون فى دار الأرقم، أو فى المسجد بعد الجهرة بالدعوة، كانت الحياة مختلفة فى مجال العقيدة عن ذى قبل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

لقد بكى الصحابة للمتغيرات التى يشهدونها، ولتباشير الدعوة الجديدة، التى أخذوا ينتقلون بها إلى درجة عالية فى حب ما أُنزل على الرسول، هذا الحب الذى كان يدفعهم للاستماع إليه، ويتحملون فى سبيله كل صعب وعسير، ولكن حديث القرآن الكريم، كان وعداً من الله بالرحمة، وتأكيداً على عمق الرابطة بين الرسول وأصحابه، فكان الوعد بالمسامحة، والغفران، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

٣- بعض المشاهد السلوكية المؤكدة لحب عباد الرحمن لرسول الله:

إن المواقف فى حياة رسول الله مع أصحابه، تشهد بسمو العقيدة الإسلامية، وبنائها على حب الصحابة لله ورسوله وسائر المسلمين، وحب الرسول للمؤمنين فى تعامل متوازن، يحفظ لكل مسلم حقوقه وواجباته، وهذا هو أحد الصحابة، الذى اتخذ موقفاً أعلن عنه دون خوف، معرضاً حياته للقتل والإبادة، إذ إن أهل مكة لما أخرجوا زيد بن الدثنة- وكانوا قد أسروه - ليقتلوه، قال له أبو سفيان: أنشدك الله[3] يا زيد، أتحب أن محمداً الآن مكانك، تُضرب

---

(1) المائدة الآية (٩).

(2) الأنفال الآية (٣٣).

(3) اى أسألك.

عنقه، وأنت فى أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمداً فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة، وإنى لجالس فى أهلى ...! فقال أبو سفيان: «ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً».

وهكذا، تبدو الحياة الإسلامية فى سنواتها الأولى شديدة الارتباط، والتماسك، والالتفاف حول الرسول، خاصة من أوائل أصحابه، الذين كانوا ضعافاً، فمنحهم الله القوة، وزرع فى أعماقهم حب الرسول ﷺ، وحب الوحى المنزل عليه، ثم توارت بمرور السنين كل الدعاوى الباطلة؛ لرفض الدين، وبقي الإسلام عقيدة، وجهاداً، وحباً، وإخلاصاً.

٦- الإحساس بالأمن فى ظلال الإيمان

كان عباد الرحمن فى بداية الدعوة الإسلامية، شـريحة مـن المجتمـع العربى بمكة المكرمة، وتواجدوا فى المدينة المنـورة، وغيرهـا مـن القـرى والبلدان، واتجهت عناية الرسول وأصحابه -آنذاك- إلى زرع الأمن والطمأنينة فى قلوب الناس جميعاً.

١- الأمن في الإسلام ومجالات تحقيقه عند عباد الرحمن، وغيرهم من سائر البشر:

تنتاب المجتمع الدولى موجاتٌ من العنف، والاضطراب، فى العلاقـات بين الدول، وكذلك بين الكثير من المؤسسات والمجتمعات داخل الدولة الواحدة، مما يجعل الصراعات المتعددة، لا أول لها ولا آخر.

وفى غمرة هذا الجو المشحون بالنكبات والدواهى، تبـرز كثيـرٌ مـن الأنوار، التى تربط الحاضر بالماضى، والواقع بالمستقبل، وتطالـب دعـوات صادقة إلى مراجعة المشروع الإسلامى، وما فيه من منهاج حكـيم، ودسـتور قويم؛ لحفظ الأمن، ومقاومة الفقر، وصيانة العقائد، واحترام الأديـان، وتـأمين الأقليات، حتى لو كانوا متجاوزين للعدل والإنصاف فى بعض الأحوال.

ومعنى **الأمن**: هو طمأنينة النفس وزوال الخـوف، والتـصدى لأيـة محاولة؛ لترويع سائر الناس، وحتى يتأكد ذلك بحق عباد الرحمن، فعليهم حماية أنفسهم من كل معتد متجاوز حدوده، وعليهم أيضاً أن يصونوا مجتمعهم ووطنهم وعقيدتهم، مبتدئين بأنفسهم فى التطبيق والالتزام، قبـل أن يطـالبوا الآخـرين بالانضباط، وعدم التجاوز، ويقترب من هذا المعنى: الأمن بمعنى الأمانة، وهو ضد الخيانة، والأمن بمعنى الإيمان، وهون ضد التكذيب.

والمراد من الحديث عن أمن عباد الرحمن، هـو زوال الخـوف مـن القلوب، واستشعار الطمأنينة فى النفوس، مما يسهم فى استقرار الحياة الخاصـة والعامة، ويؤدى إلى قوة فى العقيدة، وصدق فى العبادة، وحركة فـى الحيـاة،

وجاء وعد الله سبحانه وتعالى -بتحقيق الأمن لعباد الرحمن- فقال عزو جل: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾[1].

هذا الأمن واسع شامل لكل جوانب الحياة، فيشمل النفوس، والأموال، والأعراض، مما يعطى المؤمنين قوة للفوز بنعمة الإيمان، وهو من أرقى النعم لمن يقومون على حراسة منهج الله فى الأرض، واعتبر إيمانهم فى منازلهم، وفى مجتمعهم، ووطنهم، مقدمة سابقة على الجوانب الأمنية الأخرى، فقال ﷺ: **«من أصبح منكم آمناً فى سربه، معافاً فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»**[2].

ويأتى فى تحقيق الأمن بتوفير سبل الحياة، من الطعام والشراب، وكل ما يدخل تحت ما يسمى بالأمن الغذائى، إذ يجئ الخوف مرتبطاً بالجوع، وبه يخضع المؤمن لنوع قاس من الابتلاء، الذى يتحتم معه أن يصمد، ويصبر على الضرر، ويسعى بجهد مخلص، وعمل دءوب؛ لتأمين وسائل الحياة.

قال تعالى فى حق أهل مكة: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[3]، وفى حق الداخلين لمصر قال: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾[4] ، وقال: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[5].

إذ يأتى الأمن فى هذه الأحوال، ترتيباً على عدم الخوف من الجوع، والفقر، والظلم، والحرمان.

---

[1] النور الآية (٥٥).
[2] رواه الترمذى.
[3] قريش الآية (٤).
[4] البقرة الآية (٦١).
[5] يوسف الآية (٩٩).

٢ـ تأمين عباد الرحمن من التجاوزات المرفوضة، ووجوب مساعدة الآخرين على تحقيق الأمن:

يستشعر عباد الرحمن الأمن في ظلال الإيمان، ويقومون بالتزاماتهم، وعدم اعتدائهم على الآخرين، وهم الأحق والأجدر بالأمن والإيمان، وذلك ما أورده القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

والأمن هنا من عذاب الله، والسؤال في الخطاب القرآني، يهدف إلى بيان الفوز بالأمن في حق المشرك، وإثباته للموحد، الذي يمثل الفريق الآمن، حيث قال تعالى في حقه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٢]، والمراد بالظلم هنا هو الشرك.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود، لما نزلت: "ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ"، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟.

فقال رسول الله ﷺ: **«ليس كما تظنون؛ إنما هو كما قال لقمان لابنه: يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»**، وقوله تعالى في خاتمة الآية "وَهُم مُّهْتَدُونَ": أي في الدنيا.

وهكذا، تأكد بالقرآن والسنة، أن الظلم بمعنى التجاوز، والتقصير في أداء الفروض، وأنه (أي الظلم) يصل في معناه إلى أقصى درجة، وهو الإشراك بالله، وذلك منفي عن عباد الرحمن، ومنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

٣ـ إسهام عباد الرحمن في تحقيق الأمن والأمان للمجتمع الإسلامي:

يتحمل عباد الرحمن مسئولية كبيرة في تأمين أنفسهم، وتأمين وطنهم، والمحافظة عليه من اعتداءات الآخرين، بتوفير سبل المعيشة من طعام، وغذاء، وحراسة العقيدة، وسائر المقدسات، من أي اعتداء، أو تشويه لصورة دينهم،

---

[١] الأنعام الآية (٨١).

[٢] الأنعام الآية (٨٢).

مقاومة أى اختراق للثوابت الدينية، وكل طغيان على الحقوق، وضرورة ضبط النظام، وتسيير الأمور، وتأمين الوطن من الفتن والضلال، وسائر ألوان الفساد، قال تعالى على لسان إبراهيم، الذى دعا ربه بتحقيق الأمن للأرض، التى تلتف ببيت الله، والتى كثر الناس بها، فيما بعد: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[1].

وهو يدعو لأهل مكة -على قلة أعدادهم فى زمنه- يدعو للمؤمنين فيها بالأمن والتوسعة، إذ إنها موطن للبيت الحرام، ولا تصلح للزراعة، ولا لغرس الأشجار، وبذلك تتضح ضرورة الربط بين الأمن والإيمان، فالأمن من الخوف، والإيمان من ارتباطه بالبيت الحرام، الذى قال الله فى حقه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[2].

ففى جوار الكعبة وما حولها من أرض، صارت بيتاً، جعله الله أماناً للناس، وملجأ للراغبين فى الاحتماء به، مما يمكن أن يلحق بهم من ضرر، أو خوف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[3].

فهذا الأمن الدينى الذى يتقوى، وينبعث من بيت الله، الذى يبقى آمناً أمام المؤمنين، وأماناً لعباد الرحمن، الذين يحتمون به، ويلجؤون إليه.

وفى حقه أيضاً، وعد الله من لجأ إليه بالأمان من النار، والحماية من أخطار الدنيا وهموم الحياة.

واستمر وعد الله بالحماية لبيت الله، إلى أن تحول إلى مسجد يلوذ الناس به، ويحجُّون إليه، قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[4].

وهكذا، تتكامل جوانب الأمن؛ لينعكس أثره على إيمان عباد الرحمن، مما يسهم فى أمن المجتمع الصغير، والوطن الكبير.

---

[1] إبراهيم الآية (٣٥).
[2] آل عمران الآية (٩٧).
[3] البقرة الآية (١٢٥).
[4] الفتح الآية (٢٧).

٧ـ مستويات الإيمان عند عباد الرحمن

تتجلى فى بعض آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ، مجموعة من الصفات المميِّزة لعباد الرحمن، الذين تختلف مستويات الإيمان عندهم، حسب درجة الاقتراب من الله، وبالميزان العادل لأحداث الحياة، بما فيها من حسنات وسيئات، تضع المؤمن فى المنزلة التى يستحقها فى الآخرة.

١ـ درجات العبادة والإيمان عند عباد الرحمن:

تحدد الآية الثانية والثلاثون من (سورة فاطر) المعالم الواضحة، والصفات البارزة لعباد الرحمن، الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى، وأورثهم الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ، فهؤلاء المصطَفَوْن الأخيار، ليسوا فى درجة واحدة يوم الحساب، كما أنهم فى الدنيا – من خلال عباداتهم – ثلاث درجات، فالناس فى الرزق مختلفون، وفى الآخرة كذلك، وفى الجنة فريقان: السابقون، وأصحاب اليمين، وفيها درجات، مثل: جنات عدن، والفردوس، والخلد، والنعيم، وغيرها من المنازل المتعددة؛ فكذلك الشأن مع عباد الرحمن فى تعاملهم مع أحداث الحياة، من تحكم فى النفوس، وسيطرة على الشهوات، وتوجيه للأفعال، التى توزن يوم العرض على الخالق بالقسطاس المستقيم، وبقدر ما تستحقه من درجات فى الاقتراب من الله، أو التنائى عنه سبحانه وتعالى، تكون منزلة المؤمن عند ربه، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1].

والظالم لنفسه هو: الذى زادت سيئاته على حسناته، وأما المقتصد فى شأن دنياه وأُخراه فهو: المعتدل الذى تأتى أفعاله فى درجة متوسطة، بين

---

[1] سورة فاطر الآية (٣٢).

الإسراف والتقتير، ويبقى السابق بالخيرات، هو المتقدم على غيره في كل فضيلة، والأول في الدرجة والمنزلة في الدنيا والآخرة.

٢ـ ملامح العبادة عند الظالم لنفسه:

الظالم لنفسه من عباد الرحمن، هو مؤمن بالقول والفعل، وإن كثرت سيئاته على حسناته في بعض الأحوال، ولهذا يعد ظالماً لنفسه؛ بارتكاب الذنوب والمعاصي، لكنها لم تخرجه من جماعة المؤمنين، الذين اصطفاهم الله من عباده، وهؤلاء لهم نظراء كثيرون في حياة الأمة الإسلامية، ومنهم من قضى شطراً كبيراً من عمره، في عناد وخصام مع الدعوة، ثم كان التحول، إلى أن صار نموذجاً للعبادة الصحيحة، وإن وقعت منه مخالفات محدودة، يغفرها الله (سبحانه وتعالى) وهو الرحيم بعباده، ولا يتوافق الأمر على حالة واحدة، وإنما يشهد تاريخ السيرة والدعوة، بوجود نماذج كثيرة، حدث منها ما لا يتوافق مع اصطفاء الله لها، وكان ذلك شأن الرسول مع بعض أصحابه، الذين كانت لهم صنائع إيمانية في الإسلام، فكان ﷺ يعفو عنهم، ويتسامح معهم، وجرى ذلك بالفعل، مع الصحابي الجليل (حاطب بن أبي بلْتعة) الذي هاجر للمدينة، وشهد بدراً، ثم حدث عند الاستعداد لفتح مكة، أن أرسل إلى قريش خطاباً مع امرأة من قبيلة (مُزَيْنَةَ) يخبرهم فيه بقدوم الرسول إليهم، ومعه جيش كالليل، يسير كالسيل، ولو جاء إليكم، لنصره الله عليكم، وعلم الرسول بذلك، فأرسل بعض أصحابه إلى المرأة، واسترد الخطاب منها، واستدعى الرسول حاطباً، وسأله عما دفعه لذلك، وأجاب بأنها المصانعة لأهل مكة، وإظهار وده وحبه لهم، حتى يُشفقوا على ولده وأهله عندهم، وتهيأ عمر بن الخطاب لمعاقبة، الرجل بعنف وشدة، على اعتقاد أنه منافق، فقال رسول الله ﷺ: **«وما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .... وتسامح الرسول معه؛ إعمالاً لقول الله تعالى: إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ»**[1].

---

[1] سورة هود الآية (١١٤).

إذ لا ينبغى أن يُمْحى إيمان الرجل وجهاده فى الإسلام، بهذه الذلَّة التى سقط فيها، واندفع إليها فى مرحلة من الزمن، لم يحسن تقدير أبعادها ولا نتائجها، ولذا كان عفو الرسول وتسامحه معه، ونزل بيان ذلك فى الآيات الأولى من سورة الممتحنة.

إن كثرة الذنوب والمعاصى، وغلبتها على الحسنات فى بعض الأوقات، ليس دليلاً على الخروج من الإسلام؛ وإنما جاء ذكر الظالمين لأنفسهم؛ لتحديد مكانتهم بالنظر إلى الفريقين الآخرين، فهم من أهل الصفوة والإيمان، ولكن ليسوا فى درجة المقتصدين، والسابقين للخيرات.

وفى ذلك أيضاً، دلالة مباشرة على عفو الله وكرمه، مع بعض العصاة الظالمين لأنفسهم، الذين يمكن أن تتغير أحوالهم بصورة مقبولة بإذن الله تعالى.

٣ـ الفوارق في العبادة بين المقتصد والسابق في الخيرات:

أفاض المفسرون فى بيان الصفوة من عباد الله، خاصة المقتصد، والسابق بالخيرات، أما الظالم لنفسه، فقد يجنح إلى الكبائر والموبقات، وقد يهتدى إلى الصواب، فيعفو الله عنه.

وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية[1]، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفور له"[2].

وذكر الرسول الله ﷺ فى حديث آخر: أن منزل هؤلاء الثلاثة هو الجنة، وإن أعطى كل مؤمن منهم على قدر عمله.

فعن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال فى هذه الآية ... ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ... الآية. قال: **«هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم فى الجنة»** [3].

فهذه الجماعات الثلاث، هم من عباد الله حقاً، وفى الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى، الذى يقبل التوبة عن عباده، وهو الغفور الرحيم.

---

[1] الآية (٣٢) من سورة فاطر.
[2] تفسير القرطبى جـ ١٤ صـ ٣٤٦.
[3] رواه الترمذى.

٨ـ السير في أنوار الإيمان

لا يُدرك نور الله بالعين المجردة المحسوسة، وإنما يستشعره المؤمن ببصيرته، ونور عقله، الذى يزداد قوة وعمقاً، وإدراكاً ووعياً، فى ظلال الاقتراب من الله تعالى، وعظمة الحب لرسول الله ﷺ، والسير فى نور الله الحقيقى، وهو القرآن الكريم، وذلك شأن المتقين من عباد الرحمن فى كل زمان ومكان.

١ـ نور الله الذى يستشعره عباد الرحمن:

لقد تحدث القرآن الكريم عن النور الإلهى، الذى يسير المؤمنون فى هديه وإرشاده، ويدركونه بعقولهم، التى تعمقت فى المعرفة، وتحصنت بالهداية، وهو نور ليس محسوساً بالبصر، كتلك الأنوار المنبعثة من الأجسام النيرة، كالقمر والنجوم، وهذا هو النور الحسى المدرك بالبصر، وهو واضح الاختلاف عن النور الأول، الذى تحدث القرآن الكريم عنه، فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١].

إذن فالحق سبحانه وتعالى، هو باعث النور الحقيقى، الذى يحتاج المسلم فى إدراكه إلى مرشد، ودليل، يعتمد عليه، ويقوى به، ويزداد توهجاً بالبصيرة العاقلة، التى تنفتح بها طرق الهداية، وسبل المعرفة، خاصة فى شأن المتقين المخلصين، الذين تواصلوا مع هدايات الله لعباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[٢].

وفى القرآن الكريم، سورة متسعة الأرجاء، كثيرة الأضواء، وهى سورة النور، التى عرضت لنور الله المدرك بالبصيرة، والذى يرتقى به المؤمن، فيسير

---

[١] النور الآية (٣٥).
[٢] الزمر الآية (٢٢).

على هدية، وإرشاده، أما من ضل طريق الهداية، فإن سبيله سيكون مظلماً، يتخبط فيه، غير مدرك لإضاءات الله فى الكون، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1].

وعرضت بعض آيات سورة الحديد إلى النور الإلهى الشامل، والمستمر، الذى ينعم به المؤمنون والمؤمنات، ويُحْرَم منه المنافقون والمنافقات، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾[2]، أى أن نور الله أمامهم وعلى جوانبهم، عند السير على الصراط؛ وحتى يكون دليلاً، وهادياً إلى الجنة.

ويتواصل العطاء الإلهى إلى عباد الرحمن بتأكيد نور الله، الذى يمشون به بهداية وعناية من الله سبحانه وتعالى، حيث قال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، "أى تمشون به فى الآخرة على الصراط، وفى القيامة إلى الجنة، وقيل: تمشون به فى الناس، تدعونهم إلى الإسلام"[4].

ويفتقد الضالون، الهدى الإلهى، والنور الربانى، فيسعون إلى المؤمنين والمؤمنات؛ طلباً لبعض أنوار الله المهداة لهم، ولكن أنىَّ لهم ذلك، فليرجعوا إلى الوراء، ربما يجدون شيئاً، فى غمرة الخداع البصرى، أو العقلى، الذى يسعون للخلاص منه يوم القيامة.

٢ـ الإرشاد والتوجيه إلى أنوار الإيمان:

تتجلى أنوار الإيمان الأعظم فى الصادقين، الذين تأصل إيمانهم، بهدايات الله المنبعثة للخلق على الأرض، ويأتى ذلك من أسمى الأنوار، من ذات الله

---

[1] النور الآية (٤٠).

[2] الحديد الآية (١٢).

[3] الحديد الآية (٢٨).

[4] تفسير القرطبى جـ ١٧ صـ ٢٦٧.

العليا، التى لا يدركها بصر محسوس، وإن أحست بها البصائر المؤمنة، حين تشرق الأرض بنور الله، ذلك، قول الحق (سبحانه وتعالى) فى شأن من أظلم قلبه، ثم منحه الله الحياة، وأسقط عليه نوراً، يكشف له معالم الطريق، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[1].

وتتواصل أنوار البصائر المسلمة مع الرسول ﷺ، الذى تحدث القرآن الكريم عن دعوته، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2].

لقد جعل الله الشرع، الذى تضمنته رسالة سيدنا محمد، سراجاً منيراً، أى هادياً ومضيئاً، ومبدداً لظلمات الضلالة على الأرض.

فالرسول سراج منير، غير محسوس بالبصر، يتلألأ معه نور القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[3].

والقرآن الحكيم أعظم الأنوار الإلهية، حيث استقبله رسول الله، ونشر هداياته، على من آمن بدعوته، منذ البعث المحمدى، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

تلك هى أنوار الله ورسوله ، والكتاب الذى أُنزل عليه، والتى تضيئ بها بصائر عباد الله المتقين.

---

[1] الأنعام الآية (١٢٢).

[2] الأحزاب الآية (٤٥ ، ٤٦).

[3] المائدة الآية (١٥).

[4] الأعراف الآية (١٥٧) ، معنى عزروه: أى وقروه.

٣ـ تجليات النور الإلهي في العبادات والمعاملات:

إن دلالات الطاعة لله، والتقرب إليه بالعبادات، يجعل سبيل المؤمن مضيئاً ونيراً، ويتجلى ذلك، فى علاقات المسلم بربه، وهو يناجيه بالذكر والدعاء فى الصلاة، أو يستشعر لذة العقيدة، والفرح بالعبادة، مع فريضة الصوم، الذى تزداد به أنوار اليقين، وتتواصل مسيرة الإيمان، عند سعى المؤمن إلى الحج أو العمرة، أو عندما يحمل أموال زكاته وصدقاته إلى مستحقيها، فى محبة، ومودة، وصفاء.

فكل هذه العبادات، التى يقترب بها المؤمن من ربه، متجرداً من المراءاة؛ سعياً، لاحتلال مكانة مرموقة عند الناس، واصلاً قلبه بكل الإشارات المضيئة فى طرق الهداية.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

ويكون النور الربانى ماثلاً فى كل معاملات المؤمنين، وما يتحقق فيها من أخلاق فاضلة: كالأمانة، والصدق، والتواضع، والقناعة، وغيرها من الأخلاق الفاضلة التى تتكامل معها، فى إيضاح المنارات على طريق الله المستقيم، مما يخول للصفوة المتحصنة بقوة الله، أن تعضد الأنوار الإيمانية، الكامنة فى أعماق عباد الرحمن، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

[١] الشورى الآية (٥٢).

٩ـ دفاع الله عن المؤمنين وحمايته لهم

يبقى المؤمنون فى ظلال الحق، وهم ينتقلون فى دنياهم من مرحلة إلى أخرى، يَحْيَون فيها تحت مظلة الرحمن، آمنين من عذابات الضمائر، وسطوة النفوس، وتربص الأعداء، ومكائد الشياطين من الإنس والجن، الذين ينتهزون الفرصة للانقضاض عليهم، ويأتى دفاع الله عن المؤمنين، متمثلاً فى القوة الإلهية، التى تمنحهم العزيمة، والتصدى، للظلم والاعتداء.

١ـ دفاع الله عن عباد الرحمن، وحمايته لهم:

إن المعنى القريب للفهم لمصطلح (عباد الرحمن) أنهم المؤمنون بالله، العاملون بسنة رسوله ﷺ، والذين يجمعون بين صدق العقيدة، وصحة العمل، ولهذا، فإن علاقتهم بربهم قوية متواصلة، يخاطبون الله سبحانه وتعالى فى صلاتهم، ويقرأون كتاب الله، فيكون حديثاً منه إليهم، مما يجعلهم فى حياة دنيوية آمنة، محصنة بدفاع الله عنهم، وحمايته لهم، وقد تجلى ذلك من خلال تاريخ الأنبياء، (رضى الله عنهم أجمعين)، وفى سيرة سيدنا محمد ﷺ.

ونأتى إلى بعض آيات القرآن الكريم، بخصوص ما كان فى مسيرة الحياة لسيدنا يوسف، وهو ينتقل من مرحلة إلى أخرى، حتى ارتقى إلى صدارة الحكم فى مصر، وعبَّر القرآن عن كل هذه المواقف المشفوعة بإحسان الله، ودفاعه عن نبيه يوسف بن يعقوب (عليهما السلام)، فقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾[١].

ويتحقق دفاع الله عن المؤمن، عندما يكون فى درجة من الورع والتقوى، وتفويض الأمر لخالقه سبحانه وتعالى، وأن يكون ولاؤه الحقيقى لربه، وليس لمخلوق من البشر، فإن أعْرَاضَ الدنيا وظواهر الحياة، ليست لها صفة

---

[١] يوسف الآية (١٠٠).

البقاء والاستمرار، إذ إن كثيراً من الأزمات مرتبطة بتعدد الأمور، وضياع الرؤية الصحيحة، وافتقاد الأصدقاء الحقيقيين، وغير ذلك، حيث يشعر المرء بأنه محاصرٌ أمام نفسه، وعاجزٌ عن الخروج من أزمته، وإذ بالأنوار الإيمانية تَهِلُّ عليه، ودفاع الله عنه يخرجه من محنته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[2].

وهكذا، يتجلى دفاع الله عن المؤمنين فى سائر شؤون الحياة، وفى حالتى السلم والحرب، وفى هدايتهم إلى الإيمان الصحيح.

٢ـ سبل الدفاع والحماية:

تتعدد السبل المنوطة بدفاع الله، وحمايته لعباد الرحمن، الذين يرون أن ارتباطهم الحقيقى النابع من إيمانهم بربهم، لا يكون إلا لله، وهو القادر على كل شئ، ولذلك، فإن أول الوسائل التى تقربهم من الله، تتجلى بالهداية التى تشملهم، والإيمان الذى يحتويهم، والعزيمة التى يواجهون بها الشدائد، فإذا ما تيسر لديهم ذلك، فإنهم آمنون فى حياتهم، مطمئنون إلى رعاية الله لهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[3].

وجاء فى الحديث القدسى، ما يؤكد حرص الله (سبحانه وتعالى) على عباد الله وأوليائه، الذين يُشغلون أنفسهم بالتقرب إلى الله، من خلال القيام بما فرضه عليهم، أو بممارسة النوافل التى تؤهلهم لمحبته، حيث يتحصنون بها فى مواجهة النوازل، والقيام بعبادته والاستعاذة به، سبحانه وتعالى، فعن أبى هريرة

---

[1] الطلاق الآية (٢).

[2] الطلاق الآية (٢).

[3] آل عمران الآية (١٧٣).

(رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: من عادى لى ولياً، فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلىّ عبدى بشئ أحبُّ إلىّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعَه الذى يسمع به، وبصرَه الذى يبصر به، ويدَه التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه»**[1].

ولا يوجد من الألفاظ، ما ينهض دليلاً على حماية الله لأوليائه، أكثر من إعلانه الحرب على من عادى أولياءه، ذلك المعنى السابق ذكرُه فى الحديث القدسى الصحيح.

وجاء الدفاع بأسلوب مباشر، لا يحتمل التأويل، فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾[2].

وقال القرطبى – رحمه الله – فى شأن الآية: "إنها نزلت بسبب المؤمنين، لما كثرُوا بمكة، وآذاهم الكفار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمنى مكة، أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله: كفور"، فوعد فيها سبحانه بالمدافعة...، وقيل: يدافع عن المؤمنين، بأن يديم توفيقهم؛ حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، فلا يقدر الكفار على إمالتهم عن دينهم"[3].

كما يتمثل دفاع الله عن عباده، فى تبصيرهم بالآراء الصائبة، وهدايتهم إلى الأحكام النافذة، والمخارج الصادقة، التى تنير لهم الهداية، والوصول إلى مرافئ الأمن والإيمان، كما يحميهم رب العالمين من مكائد الشيطان وأعوانه،

---

(1) رواه البخارى، وابن حبان فى صحيحه، وأبو نعيم فى حليته، والبيهقى فى الزهد.

(2) الحج الآية (٣٨)، ومعنى "خوان كفور" أى كثير الخيانة، وكثير الكفران لنعمة الله.

(3) القرطبى جـ ١٢ صـ ٦٧.

التى ينهار أمامها الكثيرون من ضعاف الإيمان، ويصمد فى مواجهتها العارفون بالله، الواثقون فيه، المتعلقون به، الذين يعتقدون أن ثقتهم بربهم، أقوى مما يُدَبَّر لهم سراً أو علانية.

٣ـ أحداث ودلالات من دفاع الله، وحمايته لعباده المؤمنين:

تجلت عناية الله (سبحانه وتعالى) ورعايته، فى الدفاع عن عباده، فى الكثير من الأحداث، فى عصر الرسول وأصحابه، ثم فى عصر التابعين، ومن جاء بعدهم، الذين يرون – خاصة فى ساعات الضيق والعسرة – أن الله معهم، الذى تتجلى عنايته بهم، فى أحوال وصور متعددة، وذلك مثل ما كان من الرسول، وأبى بكر أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة، وهما مختبئان فى غار ثور، والأعداء على بعد أمتار منهم، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

هذا وقد كشفت الآية، عن سبل دفاع الله عن الرسول وصاحبه، وذلك بتأكيد أن الله معهما، وأنزل السكينة على رسوله، وأيده بجنود غير مرئية، وجعل كلمة المشركين سافلة ودنيئة، وكلمة الله غالبة ظاهرة.

وقد ذكر القرآن الكريم فى أكثر من آية، ما يخص دفاع الله عن المؤمنين، والمتمثل فى إمدادهم بالملائكة، التى قامت بدور إيجابى فى معاونة المقاتلين، وذلك فى غزوتى (بدر وحنين)، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[٢].

---

[١] التوبة الآية (٤٠).

[٢] الأنفال الآية (٩)، ومعنى "مردفين" أى متتابعين، وقيل إن الملائكة لم تقاتل مع المسلمين إلا فى غزوة بدر، أما فى غيرها فكانوا لتكثير أعداد المسلمين.

ولا شك، فى أن الغزوة البدرية كانت صعبة وعسيرة، وكان التضرع، والاستغاثة بالله فى هذه الحرب، سبيلاً للنصر، ولحماية الله لعبادة المتقين[1].

وفيما يتصل بغزوة حنين واحتياج المسلمين لعَوْن الله (سبحانه وتعالى) وحمايته لهم، ذلك أنهم قد أعجبوا بكثرتهم، التى لم تغن عنهم شيئاً، وضاقت الأرض عليهم، بعد أن كانت متسعة أمامهم، وتولوا مدبرين منهزمين، وكانت السكينة والطمأنينة من الله، الذى أرسل ملائكته إلى المقاتلين، حيث تحقق النصر للمؤمنين، و(القتل) والأسر والسبى للكافرين.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

إن دفاع الله عن عباده المتقين، ثابت، ومتحقق، فى حالات متعددة، ومتمثل فى سائر شؤون الحياة، قبل أن يكون شفيعاً لهم فى الآخرة، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

[1] يراجع حديث الرسول عن عمر بن الخطاب فى الاستغاثة ونزول الملائكة فى صحيح مسلم جـ١٢ صـ٨٤ ، ٨٥.

[2] التوبة الآية (٢٦).

١٠ـ محاسبـة النفـس

والحفاظ عليها من فتنة الدنيا

تتواصل العلاقة الإيمانية لعباد الرحمن مع الله (سبحانه وتعالى)، فهم لا يغيبون ولا ينشغلون عنه، وتخضع تصرفاتهم، وسـلوكياتهم لميـزان الحـلال والحرام، ولا ينخدعون ببريق دنيوى زائل، بل إنهم يُخضعون أنفسهم للحساب؛ أملاً فى عفو الله، وسعياً للرقى بإيمانهم إلى درجات، يرضَوْن عنها، ويقتنعون بها

١ـ معنى النفس الإنسانية فى ضوء الكتاب والسنة:

لقد تحدث أبو حامد الغزالى فى "**إحياء علوم الدين**" عن صعوبة التفريق بين النفس، والروح، والقلب، والعقل، إذ إن المعنى الذى يطلق على أحـدها، لا يختلف كثيراً عما يطلق على الآخر، وقد ناجي النفس بمجموعة من الرسـائل، التى يحذر بها عباد الله المؤمنين من فتنتها، وخداعها، وخطيئـة الاغترار بهـا، وقيل: إنها الروح التى تخضع لمراقبة الله (سبحانه وتعالى)، فيتوفاها حين يأتى أجلها، أو يتركها مع الجسد، إلى أن تأتى نهايتها.

وقال **ابن القيم**: "إن النفس هى الروح المرتبطة بالجسم، وتتحرك معه، وهى موطن التفكير والتدبير، والاتزان، فلا تستقل بذاتها، ولا تنشق عن موطن الإرادة والاختيار فى عقل الإنسان"[١].

وذكر بعض العلماء: أن النفس هى البدن، الذى ترتبط به، ولا تنفـصل عنه، وإنما يوجه الحديث إليها، على وجهة البيـان والتأكيـد بحقيقـة الـشئ، ويستعمل الناس ذلك فى أحاديثهم، وقيل: إن النفس غير الروح، إذ هى عَـرَضٌ من الأعراض (المعنوية)، التى يستعينُ بها الإنسان على الفعل، والحركة، ويُعَبر عن ذلك بمراقبة الإنسان لها، ومحاسبتها، بمعيار إيمانه وتقواه.

---

[١] الروح لابن القيم صـــ ٣٣٨.

وعلى كل، فالثابت أن النفس هى شئ غير محسوس، وترتبط بحركة الإنسان، وتكشف عن توجهاته من حيث الفتنة، والغرور، والتقوى، والثقة بالله، والإيمان بالقضاء، والمراقبة من الله (سبحانه وتعالى)، سواء أكانت الأمور التى معها، وهى الروح، والقلب، والعقل، أم كانت مختلفة عنها جميعاً، أم عن بعضها دون بعض، فهى أداة، أو وسيلة، يخضع بها المؤمن إلى محاسبة نفسه، وتفكيره، وعاطفته، وسائر تصرفاته.

٢ـ محاسبة النفس المقترنة بيقظة الضمير:

يحرص عباد الرحمن على محاسبة أنفسهم، وإيقاظ ضمائرهم، ومراقبة تصرفاتهم؛ حتى تستقيم أحوالهم، ويعيشون حياتهم هادئة، وادعة، خالية من الفتنة، والغرور والضلال، وبما لا يتوافق مع الصفات، والخلال، التى يجب على كل مؤمن أن يحرص عليها، ويلتزم بها.

وذكر القرآن الكريم، أن الحساب الأكبر، سيكون مقترناً بقيام الساعة، وهى ليست بعيدة، ما دام مجيؤها ثابتاً، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[1].

وفى ظلال ذلك، خاطب القرآن الكريم المؤمنين بوجوب تقوى الله، وحتمية أن تنظر النفس الإنسانية، إلى ما يجب ادخاره ليوم القيامة، وإلى ما مضى من أعمال وأقوال، وذلك ما ذكرته آية سورة الحشر، قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

[1] الأنبياء الآية (١).
[2] الحشر الآية (١٨).



وإذا كانت هذه مقولة عمر في ظلال معايشته للرسول، ولصاحبه أبي بكر، فإننا نشعر بتقصير كبير في سلوكنا، وعبادتنا، مما يحتم المحاسبة لنفوسنا؛ لما ينتابها من تقصير وتراخٍ عن استكمال الملامح الإيمانية لشخصية المسلم.

٣ـ انعكاس حالة النفس على السلوك الإيماني لعباد الرحمن:

عرض القرآن الكريم لدرجات النفس الإنسانية بمقياس قربها، أو ابتعادها من الله سبحانه وتعالى، ونذكر هنا ثلاثة من هذه المستويات، مع اختلاف دلالتها وتوجهاتها، وأولها: النفس المطمئنة الراضية، التي قال الله تعالى عنها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ، ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ، فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ، وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[١].

ويكون اطمئنان النفس بالأعمال الصالحة، التي قدمتها في الدنيا، ولذا، يكون الترحيب بها في الآخرة، وتكون راضية بما أُعْطَتْ، ومرضية بما قدمت من الأعمال، والأقوال الصالحة، وتحدث القرآن الكريم عن النفس اللوامة، فقال تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[٢].

أي أقسم بالنفس التي تلوم صاحبها على ارتكاب المعاصي، وهي نفس المؤمن[٣]، الذي يحرص على متابعة نفسه في أقوالها وافعالها، وحركاتها وسكناتها؛ ليراجعها حين تنحرف، وليتابعها وهي تسعى إلى الخير، وتجتهد في ميدان البر، وقد يكون المقصود، هو نفس الإنسان الشقي، الذي يحتاج إلى من يرشده، ويُحْسِن توجيهه، أو يكون تقويمه نابعاً من نفسه، التي ترغب في الإيمان والتقوى.

ونأتي إلى النفس الثالثة، وهي الأمارة بالسوء، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٤].

---

[١] الفجر الآية (٢٧-٣٠).

[٢] القيامة الآية (٢).

[٣] (ولا) في الآية لتأكيد القسم، وليست للنفي.

[٤] يوسف الآية (٥٢).

وكلام القرآن بلسان سيدنا يوسف، باعتبار ما يأتى فى الآية التاليـــة، أو أنه من كلام امرأة العزيز، باعتبار ما تقدم في الآية السابقة، وعلى كل، فلـــيس المعنى افتقاد الإيمان؛ وإنما المراد، هو أن الأمر بالسوء، مـــن شـــأن النفـــوس البشرية الجانحة، والمتهجة إلى ارتكاب الشهوات، ففى ظلال رحمة الله، تتحقق العصمة من الوقوع فى المعاصى.

وقد تكون هذه الأحوال، صفات متعددة للنفس البشرية، وهـــى واحـــدة، ويجب على المسلم (بصفته واحداً من عباد الرحمن) أن يمارس تقويمه لنفـــسه، وتنميته لإيمانه، وأن يكون ذلك نابعاً من ذاته، ومعبراً عن واقعه، الـــذى تُنْبِـــئ عنه مظاهره أمام الناس، وبواطنه التى يحيط بها علم الله (سبحانه وتعالى).



العام الثامن الهجرى، ويوم أن قال رسول الله ﷺ **«من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه باب فهو آمن»**، ذلك العفو العام، الذى كَبرُ، وزاد، وانتشر فى سائر الأرجاء، بعد أن أعلنه الرسول أمام الموجودين فى حرم مكة، يوم أن قال لهم جميعاً "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

لقد تجلت محبة أبى بكر للرسول، عند السير فى اتجاه جبل ثور؛ للاحتماء به ليلة الهجرة، فهل يمشى أمام الرسول، أو خلفه، أو إلى جواره؟ تلك المسيرة الخالدة، التى شهدت أروع النماذج للتضحية بالنفس، والمال، والأهل، والولد، فالحب الخالص لله، يصنع ذلك وأكثر منه.

وهذا عمر بن الخطاب، الذى كان جباراً فى الجاهلية، يتحول بالإسلام إلى رجل، يرى نفسه ضعيفاً أمام امرأة فى حاجة إلى طعام، وأنه يعانى ضيقاً، ومشقة، وألماً، وخوفاً من سؤال الله له عن دابة عثُرت فى سيرها بالعراق، بسؤال يمكن أن يكون نصه: لماذا لم تمهد لها السبيلَ يا عمر؟.

وذات مرة، جاء رجل على غير دين الإسلام، يطلب من الرسول سداد دين، بلغةٍ لا تليق بمقام المصطفى ﷺ وإذ بعمر، يوشك أن يندفع لتأديب هذا الرجل المتطاول الناشز، ولكن الرسول يهدئ من روعه، ويجلسه بمودة، معلناً أنه -أى الرسول- وهذا المتطاول، فى حاجة من عمر لغير ذلك، قال له الرسول **«تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن القضاء»** أى المطالبة بالسداد.

أما على - رضى الله عنه، وكرم الله وجهه - فتاريخه حافل، ومسيرته عطرة، نراها متجسدة فى إسلامه المبكر، وعلمه الغزير، وفى نومته الشجاعة، مكان رسول الله لبلة الهجرة، ثم كانت النصرة الكبرى فى بدر، ولابن أبى طالب الأيادى المؤثرة فى مسببات النصر بذلك اليوم، الذى كان عصيباً، ثم عظيماً، وخالداً.

٢ـ من معالم حسن الاقتداء بالرسول ﷺ:

إن الاقتداء بالرسول ﷺ ليس قاصراً على الصحابة فى عصره وبعد عصره، وإنما هو تشريعٌ مستمر، ومتواصل مع الحياة الإسلامية، التى تستمد قوتها من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ذلك الأمر الذى قال الرسول فيه: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه»**[1].

وفى مقام الاقتداء، لا يجوز الاقتصار على الأقوال، وإنما يتحتم الانطلاق إلى حيازات الأعمال الخالدة، التى تنير مسيرة الدعوة فى سائر أنحاء الأرض قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

تحتاج الدعوة الإسلامية دوماً إلى مؤمنين، صادقين، أقوياء فى عقائدهم، يدعون –بهدوء– ووفق قدراتهم، إلى العبادة الصحيحة، البعيدة تماماً عن البدع المستحدثة، والخرافات الباطلة التى تلحق – ربما بقصد أو بدونه– بديننا السمح الذى خاطب العقل والفكر، منذ الكلمة الأولى فى دستور هذا الدين، وهى "اقرأ" هؤلاء الصفوة، الذين يمثلون بها منهاج عباد الرحمن، فى القديم والحديث على السواء، هذا المنهج الذى يتحتم الإذعان له، والدعوة إليه، بالكلمة الناصحة، والحكمة الرشيدة، والموعظة الحسنة، خاصة فى المناسبات الدينية، التى تتفتح فيها القلوب المؤمنة لمحبة الله ورسوله، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

---

[1] رواه مالك فى الموطأ كما رواه مسلم والبخارى بألفاظ أخرى.

[2] الصف الآية (٢ ، ٣).

١٢ـ الاعتماد على الله فى طلب الرزق

تتعدد سلوكيات عباد الرحمن، للسعى على الرزق، فى ظلال ما تيسر لكل إنسان من قدرات يوظفها؛ للحصول على متطلباته فى الدين والدنيا، بمستويات خاضعة لقضاء الله وقدره، حيث يمنح الأرزاق التى تقل وتزيد، وتتنوع على أحوال كثيرة، تستلزم كلها القناعة، والشكر، والإحساس بقدرة الله (سبحانه وتعالى).

١ـ معنى الرزق وأنواعه:

إنَّ كلمة (الرزق) من الكلمات التى تُستعمل بكثرة على ألسنة الناس، وتفهم على أنها كلُّ ما ينتفع به الإنسان، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة عن عمل وسَعْيٍ، أم كان عطاء إلهياً خالصاً، لا دخل للبشر فيه، مثل: سلامة الأبدان، ونجاح الأبناء، وإخلاص الزوجة، إلى غير ذلك من الأرزاق التى يسعى إليها عباد الرحمن، أو تكون قد جاءت إليهم من حيث لا يحتسبون.

وقد وردت كلمة الرزق على اختلاف تصريفاتها، فى مائة وعشرة مواضع بالقرآن الكريم، فضلاً عن ورودها فى عشرات الأحاديث النبوية، والتدليل عليها بالسلوكيات المتعددة، التى ساقها الله (سبحانه وتعالى) فى حياة الرسول ﷺ وأصحابه وتابعيه. رضوان الله عليهم جميعاً.

ولابد أن يسعى المؤمن بكل طاقته؛ للبحث عن الرزق الحلال، الذى لا تشوبه شائبة، ولا يتطرق إليه شك، فإذا ما استعان به لحوائج الدنيا، أو لمتطلبات الآخرة، فإن الله (سبحانه وتعالى) يبارك فيه، حيث تظهر آثاره على الساعى فى طلبه، وإذا اتجه إلى الله داعياً، فإنه – جلت قدرته – يستجيب للدعاء، ويمن على خلقه بالتوفيق؛ إذ إن استعمال العقل وحده لطلب الرزق، ليس كافياً لتحقيقه، فكثير من الناس يسعون بجد واجتهاد، ولكن لحكمة أرادها الحق (جلت قدرته)،

لا يتحقق ما كان مستهدفاً، كما أن الاعتماد على العمل وحده، لا يحقق الرزق المبتغي، والأمل المنشود فيه، إذ يجب في كل هذه الأحوال الاعتماد على الله، والثقة فيه، عند السعى، والبحث عن الرزق، فى سائر دروب الحياة.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾[1].

ويكون ذلك محكوماً بتيسير الله (سبحانه وتعالى)، وقضائه، وهذا ما أوضحه رسول الله ﷺ فى قوله: **«أجملوا فى الطلب، فإنّ كلا ميسر لما خلق له»**[2].

ولا يظنُّ ظان، أن العقل وحده كاف لتحقيق الرزق، فكثيراً ما نشهد الأمور تجرى بتقدير، لا يخضع للأسباب التى استعان بها، واتخذها الإنسان سبيلاً مؤكداً للارتزاق. فسبحانه وتعالى مسبب الأسباب، قال الشاعر:

ولو كانت الأرزاقُ تَجْرى على الحِجَا ... هَلَكْنَ إذن مِنْ جهلها البهائم[3]

وقال آخر:

ذو العقلِ يشقى فى النعيم بعقله ... وأخوُ الجهالة فى الشقاوةِ ينعم

وقال ثالث:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهبه ... وجاهل وجاهل تلقاه مرزوقاً

وتبقى الثقة فى الله حصناً منيعاً، يتقى به المؤمن تقلب الأيام، وغدر بعض الناس، والإخفاق فى تحقيق الأرزاق.

٢ـ هل يتعارض اليأس من الحياة مع متطلبات الإيمان:

نعم، فعندما يستشعر المؤمن ضيقاً فى رزقه، وفشلاً فى سعيه، فلا ييأس من رحمة ربه، لعل ما ألمّ به نوع من الابتلاء الاختبارى لمستوى إيمانه، وثقته

---

[1] الشورى الآية (١٩).

[2] رواه ابن ماجة، وابن حبان ، والحاكم.

[3] الحجا: العقل.

فى ربه، إذ إن كرم الله سيأتيه فى الساعة المحددة؛ استجابة للدعاء الصادق الكاشف عما فى أعماقه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[1].

وقال الشاعر:

قد يَنْعَمُ الله بالبلوى، وإن عظُمت ... ويبتلى الله بعضَ القوم بالنِّعَمِ

إن الاتساع فى الرزق - بكل أشكاله - ربما يسفر عن تجاوز بغيض، لا يليق يقيناً بالصفوة الأخيار، والمتقين الأبرار من عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[2].

إن الفهم الواعى لمعانى الرزق، يحتم وجوب الانطلاق والعمل، والسعى الدءوب إلى متطلبات الحياة، والتسليم بأن التوفيق من الله، وأن الرزق سيصل إلى الإنسان كما سيصل إليه أجله، ولا أعتقد أن إنساناً واحداً، يمكن أن يجادل فى هذه الحقيقة الواضحة، ونذكر هنا كلمة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حيث قال فيها: «**لا يَقْعُدَنَّ أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة**».

تلك الحقيقة التى امتثل لها ابنُ الخطاب طوال حياته، من يوم أن دخل الإيمان قلبه، إلى أن مات شهيداً، ففى اللحظات التى سبقت الوفاة، كان يُفكر فى الأمة الإسلامية، وفى مستقبلها (رحمهُ الله رحمةً واسعة)، إذ كان نموذجاً صحابياً لعباد الرحمن، الذين ساروا على هدى رسول الله ﷺ.

---

[1] غافر الآية (٦٠).

[2] الشورى الآية (٢٧).

١٣ـ حسن التعامل والتصريف للأرزاق

عندما يتحقق الرزقُ الحلال، بالسعي الصحيح، والاعتماد الإيماني على الله، فعلى المسلم أن يلتزم بالمعيار الشرعي، بحق ما لديه من عطاءات الله على كافة صورها، وبدون غرور خادع، أو ثقة مبالغ فيها، وذلك بتحرى متطلبات الزرق، وحسن توجيهه، تلك التي يحرص عليها سائر عباد الرحمن، منذ البعثة المحمدية إلى قيام الساعة.

١ـ متطلبات الرزق:

إنَّ ما يجب الانتباه له، والحرصُ عليه في البحث عن الرزق، هو السعي الجاد، والإخلاص في العمل وحسن إتقانه، ما دام غير مرتهن بمخالفة شرعية في حق الله (سبحانه وتعالى)، وحق البشر جميعاً، وسائر الكائنات، تحت مظلة التوفيق الإلهي، والتوجيه الرباني، إلى أرقى الأسباب، التي تتمخض عن أرزاق لم تكن واردة، أو محسوبة في أذهان الكثيرين.

ويترتب على تحقيق الرزق، وجوب الشكر لله تعالى؛ حتى لا يقع الإنسان فريسة للوساوس، التي تقتحم مسيرة تفكيره – معلنة عن الثقة، أو التوهم الخادع بأن العمل – فقط – هو المحقق والجالب للأرزاق.

إن تقدير الله نافذ في توجيه عطاءاته للبشر؛ لأهداف لا تظهر بواعثها، وآثارها كاملة، حيث تبقى الأسرار الحقيقية مختزنة في علم الله الواسع، غير المحدود، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1].

ويكون الرضا بما قدره الخالق للبشر؛ تعبيراً عن مستوى راقٍ من الإيمان الصادق، والكائن في أعماق القلوب المؤمنة، وإشعاراً مؤكداً بأن الأرزاق مقدرة؛ إذ ليس معنى التفضيل لشخص على الآخر في الرزق، تأكيداً،

---

[1] البقرة الآية (٢٥٥).

أو بياناً، بأنه تفضيل فى المكانة والقرب من الله، فكثيراً ما يكون الرزق؛ ابتلاء، ومقياساً لمدى قدرة المؤمن على الصبر والاحتمال، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾[1]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[2].

تلك، هى بعض متطلبات الرزق، التى ينبغى التذكر لها، وعدم الغفلة عنها.

٢ـ حسن توجيه الرزق:

تأتى إدارة المؤمن لعطاء الله له من أرزاق؛ تعبيراً عن مدى توفيقه، وحسن توجيهه، وامتثاله للأوامر والنواهى الشرعية، وارتبط الحديث عن الرزق فى القرآن الكريم بالإنفاق فى سبيل الله – أكثر من غيره – وهذا بلاغ مبين عن نوع من الإيثار الراقى، الذى يؤثر المؤمن فيه الصدقة على متطلباته، التى تأتى تالية للإنفاق – بحسب أحواله – ومن البيان القرآنى فى ذلك، قول الله تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، ذلك التصدق، الذى ينبغى دفعه لمستحقيه، بالصورة المعلومة من النص القرآنى، والبيان النبوى.

ويكون حسن التعامل، والتناول للرزق على كافة صوره وأشكاله، نتيجة مترتبة على اجتهاد المؤمن وسعيه، وتوفيق الله له فى جمع الثروة وحسن تصريفها.

كما يُوَجِّهُ الإنسان الرزق – على اختلاف أحواله ومقاديره – إلى الطعام الذى يحفظ به بدنه، ويستمد منه طاقته، ويستكمل معه مسيرة الحياة، التى تشمل سائر المتطلبات له، ولكل من تلزمه نفقاتهم، قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾[4].

---

(١) النحل الآية (٧١).

(٢) الرعد الآية (٢٦).

(٣) النحل الآية (٧٥).

(٤) البقرة الآية (٥٧).

وينبغى للمسلم، أن يراعى الله فى سائر نشاطاته الإنسانية، فبعض البشر تتغير سلوكياتهم، بمجرد جريان المال فى أيديهم، فيبخلون به، ويعضون عليه، أو يسرفون فى توجيهه إلى ما لا ينبغى، أو لا يقنعون بما رزقهم الله، وقد أوضح الرسول ذلك فى قوله: **«لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»**[1].

فما أخطر وأفظع من أن يتكاسل المؤمن عن طلب الرزق، أو يبخل على ربه بالثناء والشكر، أو يُصاب بالغرور الخادع، أو يسيئ تصريف عطاء الله له، وليس ذلك شأن عباد الرحمن، المتواجدين فى سائر الأزمان والأوطان، والمؤهلين لأن يكونوا قدوة طيبة، وأسوة حسنة، للناس جميعاً.

---

(1) البخارى ومسلم.

١٤ـ التفقه في أمور الدين

يسعى المؤمن إلى معرفة دينه، ودنياه، فيتعامل بالحلال، ويدعو الناس إليه، ويتعرف على الحرام؛ ليتجنبه، ويُحذِّر الآخرين منه، وفى كل الأحوال، يبقى عباد الرحمن، متميزين بالمعرفة، التى يحرصون عليها، والقدوة التى يسيرون على هداها.

١ـ معنى التفقه فى الدين وتجلياته فى حق عباد الرحمن:

إن معنى الفقه: هو الفهم والمعرفة الشاملة لخصائص العبادات قولاً وفعلاً، وقد ارتبط الفقه بالقلب، فى كثير من آيات الذكر الحكيم؛ لأنه مستقر العواطف، والمشاعر، التى تفرق بين شخص وآخر، وتميز فقيهاً عن فقيه فقال (تعالى) فى حق من سيصيرون حطباً لجهنم من الجن والإنس: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾[١]، وقال (تعالى) فى حق المتخلفين عن الجهاد فى غزوة تبوك، أو غيرها من أهل النفاق، الذين ارتضوا أن يكونوا مع النساء والمرضى فقال (تعالى): ﴿**وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[٢]، وقد تكررت لفظة الفقه فى القرآن الكريم، والسنة النبوية فى أحوال متعددة، والتى ترتبط بشؤون المؤمن فى دينه ودنياه، كما ترتبط برسالات الأنبياء السابقين، مثل: الخطاب بين نبى الله شعيب، وقومه، فقال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ**﴾[٣]، وقال تعالى فى حق المنافقين: ﴿**وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[٤]، وجاء الاستفهام عن الأحكام، ومعرفة حقائق الأشياء بلفظ السؤال، لكن التحول بلفظ السؤال إلى الاستفتاء، قد ورد فى موضعين، يتعلقان بأحكام الأسرة، والميراث، قال (تعالى): ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾[٥]، وقال: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾[٦]، وتعددت كلمة الفقه فى أحاديث رسول الله؛ لبيان أهمية التفريق بين الحلال،

---

(١) الأعراف الآية (١٧٩).
(٢) التوبة الآية (٨٧).
(٣) هود الآية (٩١).
(٤) المنافقون الآية (٧).
(٥) النساء الآية (١٢٧)
(٦) النساء الآية (١٧٦) والكلالة – الميت لا والد له ولا ولد.

والحرام، الذى يرتبط بسعة الأفق، وكثرة المعرفة، والتحول به من مجرد الفصل فى الأحكام إلى العبادة الخالصة الصادقة؛ ابتغاء وجه الله، والوصول إلى نهاية اليقين بالعلم والتفقه؛ لمواجهة سائر المخالفين والمعاندين، فقال (عليه الصلاة والسلام): **«من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، ولا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»**[1] فالحرص على الفقه لما له من أهمية فى حسم الخلاف بين العلماء، الذين ربما تغيب الحقائق عن بعضهم، أو يفتقدون الأدلة وأدوات المعرفة، فلا ينهض بالحسم بين المختلفين إلا الفقيه الورع، الذى يتبصر طريقة، ويسلك ما يراه قوياً بأدلته واجتهاده، عندما يتحتم ذلك.

٢ـ أهميــة التفقــه فــى الديــن:

لقد جاءت رسالة الإسلام إلى الأمة العربية، التى لم يكن لها حظ كبير فى القراءة والكتابة، وكانت بداية الوحى بكلمة اقرأ، التى ترتبط بالمعرفة والفهم، خاصة فى التفريق بين الحلال والحرام، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وهذا هو شأن العلماء المتفقهين فى الدين، الذين قال الله (سبحانه وتعالى) فى حقهم: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾**[2] هؤلاء الصفوة من الناس الذين يمثلون إرشادات هادية، ومنارات مضيئة، لتوجيه الناس إلى الاخلاق الفاضلة، والصفات الشريفة، والآداب السامية، ولذا يُعد موت العالم خسارة للأمة؛ لما يترتب على ذلك من نهوض بالإفتاء فى الدين من غير المؤهلين له، فيحدث من الاضطراب ما لا يخدم الدعوة الإسلامية، خاصة فى الحياة المعاصرة.

قال رسول الله ﷺ: **«لموت قبيلة أيسر من موت عالم»**[3] أما تأثير موت العالم على حياة الدين، ومدارسته، والإفتاء فيه، وانعكاس ذلك على حياة الناس، فقد رَوى عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذ لم يبق عالمٌ، اتخذ الناس رءوساً جهالاً فسُئلوا فأفتَوْا بغير علم، فضلوا وأضلوا»**[4]، ولا يُشترط فى

---

(1) رواه البخارى وابن ماجة وغيرهما.

(2) فاطر الآية (٨).

(3) رواه الطبرانى وابن عبدالبر من حديث أبى الدرداء.

(4) رواه الشيخان والترمذى.

مجال الفقه والدعوة الإسلامية، أن يتحول كل المسلمين إلى فقهاء، يدعون إلى الخير ويفعلونه، وينهون عن الشر ويجتنبونه، بل تكفي جماعة منهم لذلك، وينهض هؤلاء الفقهاء بإبلاغ الآخرين، وهذا ما يقع تحت دائرة ما يسمى فرض الكفاية، الذى يقوم به بعض المتفقهين؛ وحتى ينهض الآخرون بتسيير حركة الحياة، وتدبير سبل الإعاشة لهم ولغيرهم، فقال القرآن فى شأن ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

٣ـ ثواب التفقه فى الدين:

إن رسالة الإسلام رسالة حضارية، يتهيأ كل واحد فيها لما خُلق له، وكانت تلك الرسالة معنية بالفهم، والمعرفة، والتحفيز على ذلك، بالدعوة إلى حتمية التفقه فى الدين، ومعرفة أسرار التنزيل، والتماس سائر جوانب الفقه من مظانها الصحيحة، واعتبر هذا السعى مهمة شاقة على من ينهض بها، خاصةً إذا حدث ذلك عن اعتقاد جازم، ويقين راسخ، وكانت الكَلَفة لذلك شاقة، ببذل الأموال، وقضاء الأوقات، وتمحيص المعارف، والإفتاء على نور وبينة، فقال ﷺ فى حديث شامل: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَّهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عملُه لم يُسرع به نسبه»**[2].

يحتاج المؤمنون وسائر عباد الرحمن، إلى من يأخذ بأيدهم إلى معرفة الحلال والحرام، والحق والباطل، وأداء العبادات والمعاملات، وسائر شؤون الدين والدنيا، وفقاً لما جاء فى كتاب الله، وسنة رسوله، ولا ينهض بذلك، إلا من اهتدى قلبه بنور الإيمان، وقام بإبلاغ معارفه إلى سائر عباد الرحمن، الذين يمثلون الصفوة من الخلق جميعاً.

---

[1] التوبة الآية (١٢٢).

[2] رواه مسلم وأبوداود والترمذى، ومعنى: ومن بطأ به عمله: أى أخَّره عمله السيئ، ولم ينفعه نسبه الشريف الطاهر العالى.

١٥ـ القنـــوت لله رب العالمـــين

يزداد التوهج الإيمانى عند عباد الرحمن، فيتجهـون إلـى الله بقلـوبهم وألسنتهم، مستسلمين لأوامره ونواهيه، مقبلين على طاعته والخشوع له، ويتجلى ذلك فى سائر العبادات، بما فيها من صدق، وإخلاص، وخضوع، وخشوع، أو عند الدعاء فى صلاة الفجر بعد الركوع، أو عند النوازل والملمات.

١ـ معنى القنوت ودلائله في القرآن الكريم والسنة النبوية:

المعنى العام للقنوت هو الطاعة، أى طاعة الله، مع الخشوع، والخضوع له ومناجاته، واستشعار الهيبة منه (سبحانه وتعالى).

وجاء فى تفسير المنار: أن معنى القنوت، هو الانصراف عن شؤون الدنيا إلى مناجاة الله تعالى، والتوجه إليه لدعائه وذكره.

وقد وصل العلماء فى بيان معنى القنوت إلى عشرة معان، وذكر القرآن الكريم فى أكثر من موضع القنوت لله تعالى، تشمل هذه المعانى المذكورة، التى وردت فى حق النساء والرجال، وسائر المؤمنين والمؤمنات من صفوة عباد الرحمن، الذين يتواصلون بقلوبهم مع رب العزة والجلال، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾[١].

ويستعمل القنوت مرتبطاً بالصلاة، خاصة صلاة الصبح، وصلاة الوتر، فى النصف الثانى من شهر رمضان، إذ يتسع المعنى لهذا الخلق القويم، فيشمل القيام، والركوع، والسجود، والتسبيح، والدعاء بما جاء فى القرآن الكريم، وبما ورد عن الرسول ﷺ، أو بما تيسر للمسلم مما يرد إلى ذهنه، أو يكون مستقراً فى يقينه، وأعماق قلبه، والقنوت فى الصلاة بهذا المعنى، ليس محل اتفاق تام بين الفقهاء.

---

[١] سورة الروم الآية (٢٦).

فهو سنة مؤكدة عند الشافعى ومالك، بهدف الالتجاء إلى الله تعالى؛ لدفع الشر، أو جلب الخير، فى وقفة بالصلاة قبل الركوع، أو بعده.

إذ روى البخارى: **«أن الرسول ﷺ قنت شهراً بعد الركوع فى صلاة الفجر»**.

ويأتى حرص الشافعية على الالتزام بالقنوت فى صلاة الصبح من الركعة الثانية؛ استناداً إلى حديث صحيح، رواه أنس (رضى الله عنه)، حيث ذكر أن رسول الله ﷺ، لم يزل يقنت فى صلاة الصبح حتى فارق الدنيا"[1].

وإن كان بعض الفقهاء، لا يلتزمون بالقنوت عامة إلا عند النوازل، وذكر شيخ الإسلام محيى الدين أبو زكريا النووى[2] حديثاً صحيح الإسناد، عن الحسن ابن على (رضى الله عنه) قال: **«علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر: "اللهم أهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، فإنك تقضى ولا يقضى عليك، وإنه لا يَذِلُّ من واليت، تباركت ربَّنا وتعاليت»**[3].

ويتأكد بذلك، معنى القنوت فى هذين الإطلاقين: الطاعة، والخضوع لله، بالعبادة والدعاء.

٢ـ شمولية القنوت لله تعالى من الناس جميعاً:

لقد جاء حديث القرآن الكريم عن القنوت، بكونه صفة من صفات عباد الرحمن، تلك التى تشمل الرجال والنساء بلا تفريق بينهم، إلا بمقياس درجة الاقتراب من الله قولاً وفعلاً، عقيدة وسلوكاً، بما تحمل هذه الصفة من مكونات أخلاقية، يزداد بها المسلم قرباً من الله تعالى.

---

(١) رواه الحاكم وقال حديث صحيح.

(٢) والنووى شافعى المذهب.

(٣) قال الترمذى: هذا الحديث حسن، وقال ولا نعرف عن النبى ﷺ فى القنوت شيئاً أحسن من هذا، راجع الأذكار للنووى صـ٥٧، صـ٥٨، وتضيف بعض الروايات: ولا يعِزُّ من عاديت" بعد قوله: "وإنه لا يذل من واليت".

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

تتجلى فيهم العديد من الصفات، ومنها القنوت، حيث أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً، ويأتي حديث رسول الله ﷺ مؤكداً قيمة القنوت في حق الصفوة من عباد الرحمن، فقال ﷺ: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القائم القانت بآيات الله**»[2]، فالتسليم لله المتمثل في القنوت، يدفع المؤمن إلى درجات سامية، من الرضا بالقضاء، والخشوع، والذكر، والدعاء.

٢ـ القنوت في حق النساء:

لقد تعدد أسلوب الخطاب القرآني عن القنوت في حق النساء، حسب المواقف والأحوال، ووفق متطلبات المناسبة، التي ورد الخطاب بشأنها، أو الشخصية المتحدث عنها، ونبدأ بالحديث عن القنوت في حق النساء، إذ قال القرآن الكريم عنهن: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[3]، ذلك أن المرأة – بصفة – عامة أشد احتياجاً إلى القنوت من غيرها؛ لبناء حياتها على كثير من الأسرار، التي ينبغي مراعاتها، خاصة فيما يتصل بحفاظها على بيت زوجها، وأمانتها في حضوره وغيابه، كما أنها لكثرة ما يلم بها من عوائق، لا دخل لها بها، في تتابع العبادة، وفي أركان الإسلام بخاصة.

ومن هنا، كان حديث القرآن الكريم عن القنوت في حق النساء، أكثر منه في حق الرجال، حسب ما ورد في مجموع آيات القرآن الكريم.

---

(١) الأحزاب الآية (٣٥).

(٢) بعض حديث أثبته الحُميدي في "الجمع بين الصحيحين" ورواه مسلم وأحمد والبيهقي، وزادوا كلمة "الصائم" قبل كلمة "القائم".

(٣) النساء الآية (٣٤).

وتتدرج وتتوهج الآيات بالبيان الناصع، والمنهاج الناصح، من العام إلى الخاص، هذا الذى يتجلى أولاً، فى حق مريم العذراء، التى خاطبها الله (سبحانه وتعالى) بأسلوب الأمر بالقنوت مرة، وبأسلوب الوصف بهذا الخلق مرة أخرى، فقال تعالى فى حق مريم العذراء: **﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾**[1]، وقال (جلت قدرته) فى بيان صفاتها، وروعة إيمانها: **﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾**[2].

وذكر رسول الله ﷺ شأن مريم ابنة عمران، وأنها من أفضل نساء أهل الجنة، فروى ابن عباس (رضى الله عنه): «**خط رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة خطوط وقال: "أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: "أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون**»[3].

ثم تحدث القرآن الكريم عن نساء النبى، مشترطاً عليهن، أن أجرهن سيكون مضاعفاً، مع القنوت لله رب العالمين، فقال تعالى: **﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾**[4].

ذلك، أن أسلوب القرآن فى مخاطبتهن، يختلف عن أسلوب مخاطبته لمريم العذراء، حيث وصل هذا الخطاب معهن إلى درجة التهديد بالطلاق، وزواجه من غيرهن من المؤمنات القانتات، وذلك إذا ما ألحقن به ضرراً يغضبه، وكن معتصمات بالله، حريصات على طاعته، والقنوت له، فقال تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[5].

---

[1] آل عمران الآية (٤٣).

[2] التحريم الآية (١٢).

[3] رواه أحمد (من تفسير ابن كثير فى أخر سورة التحريم).

[4] الأحزاب الآية (٣١).

[5] سورة التحريم الآية (٥).

إن القنوت لله تعالى، صفة من صفات القرآن الكريم، وخلق من أخلاق الإسلام، التى يلتزم بها، ويحرص عليها عباد الرحمن، من الرجال والنساء، من أصحاب رسول الله وزوجاته، ومن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

كما أن هذه الصفة، لا تكون قولاً فحسب، وإنما تؤدَّى سلوكاً، وتطبيقاً عملياً، لمنهج القرآن فى صيانة المجتمعات من التردى فى السلوكيات الشائنة، التى لا تتوافق مع مبادئ الإسلام وتوجيهاته، وتتجلى هذه الصفة فى حق النساء جميعاً، بما يجب عليهن من حقوق بشأن الأزواج، وبما لهن من متطلبات فى ذمة القائمين عليهن؛ التزاماً بما نص عليه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والله الموفق.

١٦- ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى[1]

أنكر الإسلام على العرب فى جاهليتهم، اتخاذهم للأصنام وسيلة، يتقربون بها إلى الله، مع أنها لا تملك لنفسها شيئاً.

وقد اعتمدت الدعوة الإسلامية فى العبادة لله، على التقرب منه، والثقة المطلقة فى حكمه وعدالته، وفى ضوء ذلك، سار عباد الرحمن تحت المظلة الإسلامية، وبتوجيه مباشر من الرسول ﷺ فى أقواله وأعماله.

١- معنى الوسيلة فى نطاق الكتاب والسنة:

إن معنى الوسيلة، هو القربة إلى الله، وتتحقق بفعل الطاعات، وترك المعاصى، وإخلاص النية لله، وقد وردت كلمة الوسيلة فى القرآن فى موضعين أولهما، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

والوسيلة: أعلى منزلة فى الجنة، وهى منزلة رسول الله ﷺ وداره، وهى أقرب مكان فى الجنة إلى العرش.

والوسيلة، هى الفريق، أو المنهج، أو الأسلوب الذى يسلكه المؤمن فى الوصول إلى اليقين الإلهى.

وقد ثبت عن جابر بن عبدالله، قال: «**قال رسول الله ﷺ: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته، إلا حلّت له الشفاعة يوم القيامة**»[3].

---

[1] كتب هذا الموضوع موجزاً لأول مرة فى يوم الجمعة التاسع من شوال عام ١٣٩٩ هجرية الموافق للحادى والثلاثين من أغسطس عام ١٩٧٩م ، وأعد ثانياً بصورة جديدة لبرنامج عباد الرحمن.

[2] المائدة الآية (٣٥).

[3] رواه البخارى.

والواضح من الحديث، أن الوسيلة هى المكانة والمنزلة، التى ينزل بها، ويستحقها محمد ﷺ فى أعلى درجات الجنة، وأن من يدعو بهذا الدعاء، عند سماع النداء للصلاة تحل له الشفاعة المطلقة يوم القيامة.

وفى حديث آخر، رواه عبدالله بن عمرو بن العاص، ذكر فيه: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلّت له الشفاعة**»[1].

وأفاد هذا الحديث، المعنى الثانى للوسيلة، وهو أنها منزلة فى الجنة، وهى مستحقة لعبد من عباد الله، والرسول ﷺ مع عصمته ومنزلته من ربه، يتضرع إلى الله أن يكون ذلك العبد، الذى يشغل هذه الدرجة، والمنزلة المبتغاة، ويعتمد المؤمن فى وسيلته إلى ربه على نفسه، وعلى مقدار يقينه بربه، وثقته فيه، مما يؤهله لمزيد من السمو والارتقاء، يصل بها إلى الحياة، تحت ظلال الله (سبحانه وتعالى)، ورحمته الواسعة.

وأما الموضع الثانى من القرآن الكريم، الذى وردت فيه كلمة الوسيلة، فهو قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[2].

وقد نزلت هذه الآية، فى حق جماعة من البشر كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم هؤلاء، وبقى المشركون على شركهم، فورد التساؤل القرآنى لهم، منكراً عليهم زعمهم، أن يكون من عبدوهم آلهة سوى الله تبارك وتعالى، أو أن

---

[1] رواه مسلم.

[2] الإسراء الآية (٥٧).

تكون عبادة هؤلاء المشركين للملائكة أو غيرهم، وفى أسباب النـزول أقـوال أخرى، ولأن التقرب إلى الله يكون بأخذ الوسائل فى الوصـول إليـه سـبحانه وتعالى دون سواه.

٢ـ التوسـل برسـول الله فـي حياتـه:

يكون التوسل بالرسول ﷺ فى حياته، عن طريق طلب الدعاء منـه، إذ كان الصحابة (رضوان الله عليهم) يتوسلون به (عليه الصلاة والسلام) فيدعو الله لهم، ويحقق الله سبحانه وتعالي رجاءه، وهو على كل شئ قدير، أو أن النبى ﷺ كان يأمر من يطلب منه الدعاء، أن يتضرع إلى الله (سبحانه وتعالى)؛ ليجيـب الله دعوة النبى له إذا توجه إلى ربه، وطلب منه الشفاعة؛ لأن رسـول الله ﷺ شفيع لأمته عند ربه، وقد حدث ما يقترب من ذلك فى المعنى، عندما فُرضـت الصلاة، وكانت خمسين، فتضرع الرسول إلى الله (سبحانه وتعالى)، والتمس منه العفو والتخفيف، فكانت خمساً فى الأداء، مع بقائها على ما كانت تستحقه مـع الخمسين فى الأجر والثواب، وقد اسـتغاث الـصحابة (رضـوان الله علـيهم) بالرسول فى الدعاء بنزول المطر، ثم استغاثوا به أيضاً فتوقف الغيث، إذ كانوا يحتمون به، ويطلبون منه الدعاء لهم، وهم معه، رافعون أكف الضراعة إلى الله (سبحانه وتعالى).

وقد توقف ذلك، بوفاته ﷺ؛ لأن الله سبحانه وتعالى كان يستجيب لدعائه، وتضرعه، وليس إلى جاهه ومكانته.

وروى البخارى عن أنس (رضى الله عنه) أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وهو يخطب على المنبر يوم الجمعه، وقال: يا رسول الله، هلك المـال، وجـاع العيال، فادع الله لنا، فدعا النبى، فنزل المطر مدة أسبوع، فقال الأعرابى: تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فقال النبى ﷺ: **«اللهم حوالينا ولا علينا»**[1]، فانزاح السحاب.

---

[1] رواه البخارى ومسلم، يراجع الموضوع فى كتاب (أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام) للشيخ عطيه صـقر جـ ١ صـ ٢٠٣.

٣ـ بعض السلوكيات المعاصرة التى تتنافى مع صريح الكتاب والسنة:

تشهد الحياة المعاصرة كثيراً من التجاوزات، فى توجيه المراد من الوسيلة إلى الله، إذ يراها بعض الناس خطيئة، تتحقق من خلال الأشخاص فى حياتهم، أو ببعض الأموات فى قبورهم، وفى الموضوع كلام كثير، واختلاف طويل.

إن حدود العبادة، والتقرب إلى الله واضحة، لا ينبغى الزيادة عليها، فكل محدثة فى الدين بدعة وضلالة، واشترط العلماء، الاحتكام إلى النية، فى تقويم ما يصدر عن المؤمن من قول أو عمل، وما عدا ذلك لا وزن له.

وقد صح عن النبى ﷺ قوله: «**إنى لم أؤمر أن أنقِّب عن قلوب الناس، ولا أشق عن بطونهم**»[1].

وأكثر ما يقع فى حياتنا المعاصرة، من سلوكيات خاطئة بخصوص التوسل، يدور فى فلك الاحتفال بموالد بعض الأولياء، حيث يلجأ كثير من البسطاء، إلى الاستعانة بغير الله لقضاء الحاجات، ورفع الكربات، وربما يزداد الغلو والشطط، إلى درجة المطالبة بكشف المخبوء من الحوادث، واستطلاع الرؤية فى المستقبل المجهول.

ولم يكن ذلك من شأن عباد الرحمن، فى عصور الصحابة، والتابعين، الذين كانوا يخضعون لسلطان العقل، ويحتكمون إلى صريح النص من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

١٧ـ الحرص على نصر الله تعالى

يحرص عباد الرحمن على حماية دين الله، من خلال الجهاد بالكلمة الطيبة، والعمل الصالح، وتوجيه العبادة توجيهاً إيجابياً مؤثراً، كالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وحماية النشاط الإيمانى من كل رياء، أو مغنم، يفقد هذا التوجيه كثيراً من ثماره ونتائجه.

١ـ سعى المؤمنين إلى تحقيق نصر الله:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]، والحديث فى هذه الآية الكريمة، موجه إلى جماعة المؤمنين، المعنيين بوجوب الحرص على الجهاد، والدفاع عن دين الله، خاصة، عندما كان الرسول ﷺ والمسلمون فى المدينة، مهددين بالاعتداء عليهم، ورغبة القريشيين فى القضاء على جذور الإسلام، التى بدأت تتعمق وتتسع فى هذه الأرض، التى استقبلت جماعة المهاجرين بكل مودة وإخلاص، وقد كان المسلمون من المهاجرين والأنصار على قلب رجل واحد، إذ إن همهم الأكبر، هو الحرص على نصر الله، والحفاظ على دينه، وتثبيت أقدامهم فى المدينة، وتأمينها من الأخطار، التى يمكن أن تفت فى عضدها من جماعات اليهود، وجاءت المبادرة من الرسول ﷺ بعقد المعاهدة معهم، ونظير ذلك، قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[2]

وقد كان جهاد الرسول ﷺ وأصحابه فى المدينة شاملاً للأنصار، الذين نصروه ودافعوا عن دينه، ومعهم المهاجرون، الذين فروا بدينهم إلى الله (سبحانه وتعالى)، وخلفوا وراءهم فى مكة (الأهل والمال).

---

(١) محمد الآية (٧).

(٢) الحج الآية (٤٠).

وكان التكاتف بين الفريقين عظيماً ورائعاً، هذا الذى نقله بروايته أنس ابن مالك بقوله: "كانت الأنصار يوم الخندق" تقول:

نحنُ الذين بايعوا محمداً على الجهادِ ما بَقِينا أبداً

فأجابهم النبى ﷺ:

اللهم لا عيشَ إلا عيشَ الآخرة فأكرم الأنصارَ والمهاجرَة[1]

وللصحابة فى هذه المرحلة من نصر الله مواقف بطولية، متفرقة فى سائر الغزوات والسرايا، فى عهد الرسول، ثم ما كان من جهاد الصحابة والتابعين، هؤلاء الصفوة من رجال الإسلام، الذين قدموا التضحية بالنفس والمال؛ لإعلاء كلمة الله، وتحقيق النصر المبين، بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجاً، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[2].

هذه المواقف منها ما تحقق فيه النصر الحاسم، ومنها ما كان الأداء فيه اختباراً، وتدريباً للمسلمين، فى بداية دخولهم ساحة الجهاد، والشواهد كثيرة فى أحداث بدر أولاً، ثم فى أحداث أحد وحنين ثانياً.

٢ـ السعى بالجهاد إلى توظيف الكلمة توظيفاً إيجابياً مثمراً:

لم تفقد الكلمة الهادفة دورها فى خدمة العقيدة الدينية، طوال مسيرة الدعوة المحمدية، واقتضى ذلك فى العصر الحاضر، أن تُعاد صياغة الخطاب الدينى. بما يتوافق مع الثوابت الراسخة فى الشريعة الإسلامية، ونعنى أولاً، القرآن الكريم، والسيرة النبوية، بما فيها من أحداث وأحاديث معبرة، تلك التى تنطلق ابتداء من قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[3].

---

[1] النص فى فتح البارى فى كتاب الجهاد (٢٩٦١).

[2] التوبة الآية (٢٥).

[3] النحل الآية (١٢٥).

ولا بد أن تكون الكلمة هادفة وهادئة، تنطلق من المعيار الثابت لأدب الحوار فى الإسلام، خاصة، إذا كان الخطاب موجهاً إلى غير المسلمين، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾[1].

وقد ترسخ دور الكلمة منذ بداية الوحى، الذى نزل على محمد ﷺ فى غار حراء، وكان العرض أولاً على زوجته خديجة، تلك التى انطلقت مع الرسول ﷺ إلى ابن عمها، ورقة بن نوفل، وكان قد تنصَّرفى الجاهلية، وعمى فى شيخوخته، بعد أن كتب من الإنجيل بالعبرانية، ما شاء الله له أن يكتب، وقالت له خديجة: «**يا بن العم اسمع من ابن أخيك: فقال له ورقة: يابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس، الذى نَزَل على موسى، يا ليتنى فيها جَذَعاً**»[2]، ليتنى أكون حياً، إذ يخرجك قومك: فقال له رسول الله ﷺ: أو مخرجىّ هم؛ قال: نعم، لم يأت أحد قط بمثل ما جئت به إلا عُودى، وإن يدركنى يومك، انصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث أن تُوفِّى، وفَتَر الوحى[3].

والنصر المؤزر الذى يستطيعه (ورقة بن نوفل) ابن عم خديجة، هو الجهاد بالكلمة، التى كان العرب الجاهليون يقدرونها، ويعملون لها ألف حساب، ولذلك زادت عنايتهم بالشعر والشعراء، وظهر فيهم الحلماء والخطباء، وتوجهت الكلمة توجيهاً قَبَلياً، فلما بدأت الدعوة فى أداء رسالتها، وأصبح للقرآن دَوٌّى هائل، حاولوا الإتيان بمثله، أو بشئ منه فعجزوا، وتسلّط بعض شعراء قريش على الرسول والمسلمين، فاصطفى الرسول ﷺ **(حسان بن ثابت)**؛ ليكون شاعره، الذى يدافع عنه بالكلمة الملتزمة، حتى ولو كانت هجاء، فقال ﷺ **(اهجهم وروح القدس معك)** وأمره أن يستعين بأبى بكر؛ ليتعرف منه على

---

[1] سورة آل عمران الآية (٦٤).

[2] الجذع: هو الصغير من البهائم ويقصد فى تمنيه أن يكون شاباً قوياً.

[3] فى حديث طويل روته عائشة أم المؤمنين فى البخارى وله أطراف أخرى.

أنساب قريش؛ حتى يتمكن من الدفاع عن الرسول ﷺ، وسارت الدعوة في طريقها، تواجه صعاباً ومشقات، ولكن الصفوة من عباد الرحمن، كانوا مخلصين للدين، يدافعون عنه بالقول والفعل، والذى تجلى كثيراً فى قضايا محددة، مثل: عمل المعروف، والأمر به، أو الدعوة إليه، والنهى عن المنكر، واجتنابه، وعدم الوقوع فيه، وقد صار ذلك من أوجب ما ينبغى على المسلم السعى إليه، أى إلى نصر دين الله.

ولسوف يشهد المسلمون الآثار الإيجابية المثمرة، والمترتبة على نصرهم لدين الله، ولعل منها العزة والسيادة، والقوة، والنصر الذى يتحقق بفضل الله، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[1].

٣ـ عوائق فى طريق نصر دين الله:

ينبغى أن يكون الحرص على نصر دين الله، مبنياً على سلامة القصد، وصدق الفعل، وذلك شأن عباد الله المتقين، وقد تواجه الدعوة إلى الإسلام بعوائق، ينبغى كشفها، والتحذير منها، وذلك، بأن تتحول الرغبة فى نصر الدين، إلى تحقيق المكاسب والمغانم، التى تتجمع، ثم لا يبقى منها إلا الأثر السيئ، وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك فيما رواه أبو موسى (رضى الله عنه): «**أن إعرابياً أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن فى سبيل الله؟ فقال الرسول ﷺ: "من قاتل؛ لتكون كلمةُ الله هى العليا فهو فى سبيل الله»**[2].

وقد كشف ﷺ عن أنواع من السعى إلى الجهاد، وهو الذى يسعى فيه الرجل للمغنم، أو ليتحدث الناس عنه، وهؤلاء لا قيمة لجهادهم، ولكن الهدف من النصر، هو الجهاد؛ لتكون كلمة الله هى العليا.

---

[1] آل عمران الآية (١٦٠).

[2] رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.

ولم تعد الرغبة فى تحقيق النصر، منحصرة فى سلاح يقاتل المسلم به، وإنما صار الجهاد فى الوقت الراهن، متحققاً بالكلمة المؤثرة المسموعة، أو المقروءة، وكذلك، بالفعل الهادف والمؤثر، الذى ينهض المسلم به؛ ابتغاء رضوان الله.

وقد تجلت لنا صُورُ الجهاد على اختلاف وسائله، وتعدد أهدافه، فإما أن يكون جهاداً بالسلاح، وإما أن يكون توظيفاً أو تسخيراً للمال، وإما أن يكون جهاداً بالكلمة، والتى تحقق فى أحوال كثيرة، ما لا تحققه الأسلحة والذخائر، ويجب فى كل هذه الأحوال، أن تكون الرغبة فى تحقيق النصر، مشفوعة بالإخلاص، والصدق، مبرأة من الضلال والزيف، وذلك ما ينطبق على الصفوة من عباد الرحمن، الذين يذخر التاريخ الإسلامى بفضائل أعمالهم، وصدق توجهاتهم.

١٨ـ غض الأبصار عن المحرمات

العين هى بوابة الدخول إلى الآخرين، لذلك، ينبغى أن يحرص المسلم على توظيفها؛ لإصلاح حاله، وإنارة طريقه، وتقوية إيمانه، كما يجب حجبها عن المحرمات، كنظر الرجل إلى المرأة الأجنبية عنه، وعكس ذلك أيضاً، وكذلك، حجب النظر عما فى أيدى الناس، وغالباً ما يكون ذلك، من نوافذ الكراهية والبغضاء.

١ـ وجوب غض البصر من الرجل والمرأة على السواء:

إن معنى **غض البصر** هو: كفه وخفضه، وذلك أبعد عن الشر، ويتحقق بإرخاء الجفون، وحجب النظر، وقد يكون الأمر بِغْضٍّ الآخرين لأبصارهم، تعبيراً عن قلة الشأن، وضآلة المكانة، فيقول الشاعر الأموى جرير:

فغضّ الطرفَ إنّك من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا[١]

وجاء الأمر القرآنى بغض البصر فى موضعين من القرآن الكريم، أولهما، هو قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[٢] والثانى، قوله الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٣].

ذلك، أن غض البصر من الرجل للمرأة، ومن المرأة للرجل فى الأحوال العامة، فضيلة أخلاقية، تدل على الوقار، والحشمة، والحياء، والالتزام، ويجب أن تتلاقى كلها؛ لتتوافق مع بعض ما يخص الشخصية الإسلامية فى تميزها عن الآخرين، خاصة، أهل الأديان والأمم الأخرى، والرجلُ عندما ينظر إلى المرأة،

---

(١) نمير وكعب وكلاب من قبائل العرب.

(٢) النور الآية (٣٠).

(٣) النور الآية (٣١).

ويقتحم بعيونه مفاتنها، التى يحرمُ عليه النظرُ إليها، وتتحرك غرائزه، وكـــأنه ينشب أظافره فى لحوم الأخريات، لذلك، كان الأمر الإلهى حاسماً، وصـــارماً، فى ردع الأبصار، وحجبها عن ممارسة التجاوز إلى ما لا يليق.

والإنسانُ عندما ينصرف ببصره عن هدفه وغايتـــه، ويتعلـــق نظـــرهُ بأخرى، فإنه يتوقف عن امتصاص الرحيق الإيمانى، الـــذى يُقـــوِّى مناعتـــه، وحصانته، ضد كل عبث شيطانى، أو تضليل إنسانى، تمتلأ بها أحداث الزمان.

وفى السياق نفسه، ينبغى أن تُسهمَ المرأةُ بحسها الإيمانى، علـــى عـــدم تمكين الرجل من اقتحام مفاتنها، فلا تبدى زينتها، إلا لمن يحل له النظر إليها.

وينطبق الأمر الإلهى نفسه على المرأة، إذ ينبغـــى عليهـــا أن تغـــض بصرَها، وتحجب رؤيتها، فلا تنظر إلى الرجال، حتى ولو كان المنظور إليـــه غير مُبْصرٍ بعينيه، وذلك ما نص على عمومه القرآن الكريم.

وقد افتخر أحد الشعراء الجاهليين بسيطرته على غريزته، وعدم التجاوز ببصره إلى مالا يليق النظر إليها من النساء، كما قال **الشاعر:**

وأغـــضُّ طَرفـــى مـــا بَـــدَتْ لى جـــارتى حتـــى يـــوارى جـــارتى مأواهـــا[1]

إذن، فالمرأة مثل الرجل، مُطالبةٌ بأن تغض بصرها، فهذا أنسب لهـــا، ولو لم تفعله بالوازع الدينى، لوجب عليها أن تفعله؛ حياءً، وحشمة، ووقاراً.

وقد لوحظ أن بعض الرجال، لا يستطيعون أن يسيطروا على أبصارهم فى كل الأحوال، فجـــاء التعبيـــر القرآنـــى: "**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ**" مستخدماً لفظ **(من)** وهى تفيد معنى التبعيض، أى أنه لا يستطيع أحد أن يغض بصره كلَّه، حسب إشارة بعض المفسرين إلى ذلك.

---

(1) البيت لعنترة بن شداد – انظر ديوانه طبع هيئة الكتاب المصرية صـــ ٢٤١..

ولعل هذا مدعاة لما رواه بريدة، فقال: قال يا رسول ﷺ: **«يا علـــى لا تتبعِ النظرةَ النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»**[١].

والمعول عليه فى التحريم، هو النية والقصد، فإذا وقع النظر مفاجـــأة، فلا شئ فى الأمر، وكل ما على الإنسان أن يتحول بنظره عن المشاهدة، فعـــن جرير ابن عبدالله البجلى (رضى الله عنه) قال: **«سألت النبـــى ﷺ عـــن نظـــر الفجاءة، فأمرنى أن أصرف نظرى»**[٢].

٢ـ إباحـة نظر الرجـل إلي المـرأة والمرأة إلي الرجـل فى أحـوال خاصـة:

تذكر أحداث السيرة النبوية ومناقب الصحابة والتـــابعين (رضـــوان الله عليهم) مدى التزامهم بما نَصَّ عليه القرآن الكريم، والسنة النبوية، فيما يتـــصل بتحريم نظر أفراد كل نوع إلى الآخر، إلا فى بعض الأحوال المستثناه من هـــذا الحظر الشامل، الذى يتسامح فيها إطلاق البصر، وعدم حجبة، مثل: النظر إلى المخطوبة (للنكاح)؛ لأن هذه فى الشعيرة الإيمانية، والطبيعة البشرية، فضلاً عن السنة المحمدية، التى حضت على الزواج؛ حتى تتواصل مسيرة الإنسان علـــى الأرض، فأبيح لكل من الرجل والمرأة، أن ينظر كل منما إلـــى الآخـــر؛ نفيـــاً للجهالة، وترسيخاً للثوابت الإيمانية، التى تُراعى فيها مصلحة كل نـــوع، عنـــد البدء فى تأسيس علاقة اجتماعية جديدة.

ولم يُطلق الشرع الإسلامى ذلك، إنما جاء الأمر واضـــحاً فـــى الـــسنة المحمدية، فيما رواه المغيرة بن شعبة: **«أنه خطب أمرأة فقال لـــه النبـــى ﷺ: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»**[٣].

---

[١] رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

[٢] رواه مسلم وأحمد وابوداود والترمذى والنسائى.

[٣] رواه الخمسة إلا أبا داوود.

وذلك مرتبط كما ورد في الحديث بالزواج؛ لما له من دور في توجيه الغريزة الجنسية، توجيهاً سفيداً للحياة، وهذا أيضاً، ما خاطب به رسول الله ﷺ شباب الأمة في عصره؛ ليكون دستوراً لكل الأزمنة والأمكنة، طوال مسيرة الحياة، فقال (عليه الصلاة والسلام): «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»[1].

كما يحل النظر للمرأة عند تحملها للشهادة، ويجوز للطبيب الأمين أن ينظر إلى بدن المرأة الأجنبية عنه؛ للعلاج باشتراطات محددة.

٣- حرمة النظر الكاره لما في أيدى الناس:

ينبغي أن يكون نظر المؤمن خاضعاً للمقاييس التي سبق ذكرها، لكن الأبصار لا تهدف – أحياناً – إلى ارتواء الغريزة، من خلال النظر إلى المحرمات، وإنما تندفع إلى اقتحام ما عند الآخرين من ثروة أو جاه، إذ يتحول النظر آنذاك إلى حسد ممقوت، وكراهية، وبغضاء، لا تتوافق يقيناً مع طبائع عباد الرحمن، تلك التي تقنع بما تحت يديها، ولا يضيرها أن تشهد ما لدى الآخرين، حتى لو زاد عما عندها.

وقد صور القرآن الكريم ذلك، في خطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾[2].

وذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تنظر إلى ما يحوزه هؤلاء المترفون، وأشباههم، ونظراؤهم فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة؛ لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور"[3].

---

[1] النص في صحيح مسلم (كتاب النكاح) والباءة هي النكاح والتزويج، وسمي بذلك؛ لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن من أهله، ومعنى وجاء أي قاطع للشهوة.

[2] طه الآية (١٣١).

[3] تفسير ابن كثير جزء ٣ صـ ١٧٠.

ومعنى **(أزواجاً منهم)** أى الأغنياء، إذ أتاه الله خيراً مما آتاهم، ولا تقتصر هذه الآية فى دلائلها، وتشريعها، على الرسول، وإنما تمتد لتشمل سائر المؤمنين، الذين لا يقنعون بما تحت أيديهم، وإنما يسيطر عليهم الجشع، والنهم، فيسلطون سموم أبصارهم على ما عند الآخرين.

إن حجب الأبصار عن اقتحام المحرمات، سلوك إسلامى حميد، صار عليه صفوة الخلق من عباد الرحمن، الذين اصطفاهم الله (سبحانه وتعالى)، وصاروا شموعاً مضيئة، أناروا بها طرائق الإيمان، لكل راغب فى شدة الإقبال، وعمق اليقين، وذلك، بحجب أبصارهم، حتى لو كانوا فى طريق خاص، أو عام، فإنهم يحفظون حقوق الآخرين، ويعطون الطريق حقه، فى غض البصر، ورد السلام، وتشميت العاطس، ومساعدة المحتاج، وإزالة الضرر من طريق السائرين، والراغبين فى الوصول إلى قصد السبيل، والله الموفق.

١٩ـ التقـــــــوى

التقوى مرحلة متقدمة فى عمر إيمان المؤمن، ودرجة عليا، يصعد إليها مَنْ صفا قلبه، واعتز بدينه، ووصل بيقينه إلى رزق الله، الذى لا نظيـر لـه، فيكون فى معية الله (سبحانه وتعالى)، تلك المكانة المرموقة، التى يظفـر بهـا الفائزون من عباد الله المتقين.

١ـ أحـوال التقـوى عنـد عبـاد الرحمـن:

إن التقوى صفة إيمانية، تأتى الدرجات الأولى منها متمثلة فى: خـشية الله تعالى، والخوف منه، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١].

وربما يكون هذا الأمر بالتقوى، آخر ما نزل من القرآن الكريم، فـضلاً عن العدد الكبير من المواضع القرآنية، التى عرضت لهذا الوصـف الإيمـانى لعباد الرحمن[٢]، وتأتى آية أخرى، حول هذا المعنى للتقوى، وما يترتب عليهـا من فوز عظيم، قـال الله تعـالى فيهـا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[٣]، ولا يقتصر الفوز بالنعيم على اليوم الآخر، وإنما يشمل الدنيا، تلك التى يجد التقاةُ فيها أنفسهم محاطين برعاية الله، ومحل غبطـة مـن بعض البشر، هؤلاء الذين يعانون من العنت، والضيق، والمـشقة، والإحـساس بالحرمان من رحمة الله؛ لأن أخطاءهم تلاحقهم، وسيئاتهم لا تؤهلهم للطمع فى رحمة الله، ومحبته، مما يوقعهم فى الحيرة، والألم النفسى، ولربما اهتدوا إلـى بدايات الطريق الإيمانى، فساروا فيه، وبدَّلوا أحوالهم، وزحزحوا الخوف عـن

---

[١] البقرة الآية (٢٨١).

[٢] فى حدود مائتين وخمسين موضعاً.

[٣] النور الآية (٥٢).

صدورهم، فتكون البشارة بالفوز العظيم، قال تعـالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ، لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، هؤلاء جميعاً، الذين تولاهم الله برعايته وتوفيقه، وتلك بعض ثمرات التقـوى، التى يستطعمها، ويلذُّ بها عباد الرحمن، فى سائر الأزمنة والأمكنة.

فالخوف والخشية من الله، يرتقيان بالتقوى إلى درجة ثانية، تتمثل فـى الأمل فى رحمته، وعطفه، وبره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وكان هذا السعى إلى رحمة الله، أسلوباً دُعائياً، وابتهالاً إيمانياً، يلهج به رسول الله فى توجهه لربه، وذلك ما رواه ابن مسعود (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «اللهم إنى اسألك الهُدَى والتّقَى والعفَافَ والغنى»[3].

٢ـ ارتبــاط التقــوى بالأعمــال الصالحــة:

ترتبط التقوى بالكثير من الأعمال الصالحة للدنيا والآخرة، ويأتى فـى مقدمة ذلك، الصيام، الذى قال الله تعالى عنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

فقد فرض الله سبحانه وتعالى الصيام، كما فرضه على الأمم الـسابقة؛ سعياً للوصول إلى درجة التقوى، والخشية من الله تعالى، فالتقوى هى الهـدف الأسمى للصوم، وتتحقق من خلالها العودة إلى الله، بالتطهر من السيئات، والندم عليها، والخروج من دائرة حصارها، وتحكمها فى مسيرة البشر.

---

[1] سورة يونس الآيات (٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤).

[2] المائدة الآية (٢٧).

[3] رواه مسلم.

[4] البقرة الآية (١٨٣).

والتقوى أفضل ما يتزود به المؤمن العاقل، الذى يدير فكـره، ويوجـه حركته إلى ما يدافع به عن نفسه، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

وجاء الأمر بالتقوى موجهاً إلى الرسول ﷺ، وسائر المؤمنين من أمته؛ وذلك لمقاطعة الكافرين، والمنافقين، العصاة، المفسدين فى الأرض، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2].

والتقوى وسيلة للعلم، ودافعٌ لاستمراره، ومعينةُ للرقى الإيمانى، وتذكيرٌ بزلزلة يوم القيامة، مما يستتبع الاستمرار والرقى فى حماية النفس من الضلال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[3]، ولم يغب خلق التقوى عن سلوك عباد الرحمن للدنيا والآخرة.

٣ـ جزاء المتقين فى الحياتين العاجلة والآجلة:

أخبر القرآن الكريم عن العديد من عطـاءات الله للمتقـين فـى الـدنيا والآخرة، ويتجلى الوعد الإلهى فى منح الله للتقـاة الـصادقين، قـال تعـالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[4].

ويكون الخروج من الشدة أو المأزق المستحكم انفراجاً للأزمـة، التـى تسيطر على مسيرة حياة المؤمن، أو تتجلى فى رزق كان مغيباً، وغير متوقَّـع، وساعتها، يشعر المرء بنشوة روحية، ولذة إيمانية، على ما حلّ به، أو زُحْـزِح عنه، وهما رزق حاصل، مهما اختلفت دوافعه ونتائجه، أو يُحال النتاج الإيمانى

---

(١) البقرة الآية (١٩٧).

(٢) الأحزاب الآية (١).

(٣) الحج الآية (١).

(٤) الطلاق الآية (٢ ، ٣).

للمتقين فى الآخرة، حيث تكون المغفرة الراحمة، والجنة الواسعة، جزاء ما أسرع إليه المؤمن، من أعمال، ونشاطات فى الدنيا، آلت نتائجها إلى جنة مُعَدة للمتقين، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، أو يكونُ حصاد التقوى فى الآخرة جنة ونعيماً، لأمة الإسلام التى توحدت وتماسكت، ولم تخترقْها فتنة طاغية، أو شوكة جارحة، وقد قال القرآن الكريم فى حق هذا التوحد: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[2]، ونورد بعض الأبيات من الشعر الهادف، الذى هتف به صاحبه، قائلاً:

تزوَّدْ من التقوى فإنك لا تدرى	**إذا جنّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجر**
فكم من صحيح ماتَ من غير علةٍ	**وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهر**
وكم من صغارٍ يُرتجى طولُ عمرهم	**وقد دَخَلت أجسادهم ظلمة القبر**
وكم من فتىٍ يُمسِى ويصبحُ لاهياً	**وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدرى**

وجاء الأمر النبوى بالتقوى معباً ببعض الوصايا، التى تشمل حياة المسلم، فى سائر أحواله وأزماته، قال ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[3].

فما أعظم أن يتحصن المؤمنون بالتقوى، وأن يلتزموا بالوحى الإلهى، والهدى النبوى، فيتحقق الكرم العظيم من الله تعالى، وذلك هو الهدف الأسمى لعباد الله المتقين.

---

(1) آل عمران الآية (١٣٣).

(2) المؤمنون الآية (٥٢).

(3) رواه الترمذى بسند صحيح من حديث أنس.

٢٠ـ الاعتصـــام بالله تعالـــى

تتسع خطوات عباد الرحمن، فى طريقهم إلى الحفــاظ علـــى إيمـــانهم، وعقيدتهم، من خلال اعتصامهم بالله تعالى.

وما دامت صِلاتُهم بالله قوية، فإن مؤهلاتِهم للتوحد، وعـــدم التفرقـــة، ستنعكس على سائر أفراد الأمة الإسلامية، فى كل زمان ومكان.

١ـ حديث القرآن الكريم والسنة عن الاعتصام بالله تعالى:

لقد تحدث القرآن الكريم، والسنة النبوية، عن الاعتصام بالله، وإيـــضاح شخصية المسلم، الذى يعتصم بالله (سبحانه وتعالى)، وينهض بما يجب عليه من متطلبات الاعتصام، فيحسن التلقى، والتمسك بكتاب الله، وهـــو حبلـــه المتـــين، وصراطه المستقيم، وأن هذا الاعتصام، يحض عباد الرحمن، رجـــالاً ونـــساءً، على التوحد، وعدم التفرق؛ ليقوى إيمانهم، فيقبلون على الله، ويتجاوزون أزمات التفرق والانقسام، ذلك الذى يُضعف الأمة، ويجعلها مطمعاً لخصومها وأعدائها، ولذلك، يتحتم أن تكون الدعوة إلى الاعتصام بالله، موجهة ابتداء إلى الفرد، فإذا حسُنت علاقته بالله والناس، وتكاثر المعتصمون بالحق (سبحانه وتعالى)، فـــإن الهدف الأسمى، والنتيجة المترتبة على هذا التوجه، ستكون عظيمة، ورائعة فى مسيرة الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]

الاعتصام مأخوذ من العصمة، أى الحفظ والمنع، وهو بمعنى التحـــصن من المخاوف، والالتزام بالحدود التى لا ينبغى تجاوزها، وفى مقام الشرع، هو خلق إسلامى، يزيد معه إيمان المؤمن، وتعظم تقواه، ويرتقى درجات عالية، فى الإقبال على الله (سبحانه وتعالى)، والحفاظ على ما دعا إليه القرآن، وحـــضت عليه سنة محمد ﷺ، والمعنى فى قول الله تعالى: (وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ) أى يتمـــسك

---

[1] سورة آل عمران الآية (١٠١).

بدينه وطاعته، **فَقَدْ هُدِيَ**: أى وفق وأُرشد إلى صراط مستقيم، وقيل عن معنى الاعتصام فى هذه الآية، وغيرها: إنه الاعتصام بحبل لله تعالى، وهو القرآن الكريم، ويؤيد ذلك المعنى، ما ورد فى قوله تعالى: **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟**، فحبل الله، هو القرآن الكريم، وقيل معناه: الدين، أو الجماعة، أو طاعة الله، مع حتمية التماسك والتوحد، وعدم التفرق، ذلك ما يوحيه قوله تعالى: "**وَلَا تَفَرَّقُوا۟**" كما تفرق أتباع الأمم السابقة من أهل الكتاب، فى أديانهم وسائر معتقداتهم، وذلك ما دل عليه بعض الآية، وهو قوله تعالى: ﴿**وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا**﴾، على أن الاختلاف الذى يُلام عليه المؤمنون، هو الذى يتعذر معه الائتلاف والتماسك، أما ما يحدث من اختلاف فى الفروع فلا شئ فيه؛ لأن مسائل الاجتهاد، تحيل كثيراً من العلماء إلى مختلفين، لا يلبثون أن يتآلفوا، ما دام الخلاف لا يسبب فساداً، أو تمزقاً لكيان الأمة.

وقد رُوى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما بعث الله من نبى، ولا استخلفَ من خليفةٍ إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضُّه عليه، فالمعصوم من عصمه الله**»[1].

ذلك، أن المعصوم هو الذى تحصَّن بحماية ربه، فلا يتجاوز الحدود، ولا يقع فى المهالك، ويصير نموذجاً للاقتداء به، والتحول بالاعتصام بحبل الله من الأقوال إلى الأفعال الإيجابية، التى تقوى بها الشرائح الاجتماعية.

٢- آثار الاعتصام بالله تعالى على الفرد والجماعة:

لقد تحدثت آيات القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ عن متطلبات الاعتصام، وعما يجب على المعتصم بالله أن ينهض به، فى التمسك بطاعة الله، ومراعاة

---

(١) رواه البخارى.

تقواه، وعدم عصيانه، وأن يجتهد المؤمن فى مقاومة المنكر، وفق استطاعته، وأن لا تأخذه فى الله لومة لائم، ذلك من مقتضيات الاعتصام بحبل الله، تلك التى تنعكس آثارها على الفرد ابتداءً، فتزداد ثقته بربه، ولا يتأثر بالسلوكيات الضالة، التى ربما تعيق حركة المؤمن فى مسيرته نحو زيادة جرعاته الإيمانية، وعدم الخوف من المجهول؛ لأن الرازق هو الله، وهو (سبحانه) مقدر الآجال، بعلمه ومشيئته.

وقد رُوى أن رسول الله ﷺ كان نائماً، فجاءه أعرابى، ورفع السيف عليه، ثم قال للرسول: **«من يعصمك منى الآن؟ فأجابه الرسول قائلاً: الله، فسقط السيف من يد الأعرابى، فتناوله الرسول وقال للأعرابى: من يمنعك منى؟ فقال: كن خير آخذ، فعفا عنه الرسول، فعاد الرجل إلى قومه، يقول لهم: "جئتكم من عند خير الناس»**[١].

وقد تحقق الاعتصام بالله هنا، فى شخص الرسول ﷺ الذى كان يدعو ربه بأدعية الاعتصام، كقوله: **«اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى»**[٢]، وقوله: **«اللهم أعصمنى من الشيطان الرجيم»**، وقوله: **«وأعصمنى فيما بقى من عمرى»**.

وذلك مؤيد بقول الله (سبحانه وتعالى) له: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣]

وإذا تحقق الاعتصام بالله من خلال المؤمن، بما التزم به من هداية، وإيمان، واتباع لصراط الله المستقيم، واتسعت دائرة الاعتصام بالله، فصارت شاملة لجماعة عباد الرحمن، هؤلاء الذين اعتصموا بربهم، وصاروا إخوة فى الله، لا يخضعون لتبعية، أو موالاة لمن لا يراعون متطلبات الإيمان، هؤلاء

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والبيهقى باختلاف طفيف بين رواية وأخرى.

(٢) رواه مسلم والنسائى.

(٣) المائدة الآية (٦٧).

الذين يرون أن المصالح الدنيوية، تسبق القيم والمبادئ، وتتجاوز العهود والمواثيق، وهنا يولد الصدام، أو التمزق فى، التنازع حول أولوية السبق، ولمن تكون له الريادة، وعند ذلك، تكمن الخطورة الاجتماعية، وذلك شبيه بما يحدث فى بعض المجتمعات الإسلامية، مما ينذر ببوادر إخفاق، وتمزق، فى تركيبة المجتمع الإسلامى، ولذلك، يُعد السلوك الإيمانى لعباد الرحمن، فى منهاجهم نحو الاعتصام بالقرآن، وعدم التفرق، وتقوية أواصر الوحدة بين الشرائح الاجتماعية، ذا أهمية كبيرة فى حياة المجتمع الإسلامى، فى كل زمان ومكان، وهذه المكافآت الإلهية للبشر قد ذكرها القرآن الكريم بحق الفرد والجماعة، فقال (تعالى) مستثنياً المعتصمين بالله من الشرائح المنافقة، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1].

وهكذا، يتحول الاعتصام بالله من خلال الفرد والجماعة، إلى قوة فى العقيدة، وتماسك بين شرائح الأمة، من أجل توحدها، وعدم تمزقها، وحتى تبقى قوية حصينة، بعقيدتها، وتوجهاتها، وعلاقتها بغيرها، مما يدعم حتمية استقلال الأمة بكيانها، وعدم التبعية للآخرين.

---

[1] النساء الآية (١٤٦).

ثالثاً: معايير العلاقات الإنسانية والاجتماعية فى ظلال الإسلام

١ـ المحافظة على حق الجار، وبيان ما له وما عليه.

٢ـ إكرام الضيف.

٣ـ الكلام الطيب، والصمت الجميل.

٤ـ معالم الاستئذان، والدخول على الآخرين.

٥ـ التناجى بالبر والتقوى.

٦ـ إلقاء السلام على الآخرين.

٧ـ حسن اختيار الأصدقاء.

٨ـ سلوك عباد الرحمن مع غير المسلمين.

٩ـ قبول الهدايا الخالية من الشبهات.

١٠ـ رفض الهدايا المقترنة بالشبهات.

١١ـ من آداب الزيارة والاستئذان.

١٢ـ العناية بأبناء الطريق.

١٣ـ تقدير أهل الخبرة والاختصاص.

١٤ـ توقير كبار السن.

١٥ـ مواساة الآخرين فى أحزانهم.

١٦ـ حُسن الاستماع إلى الآخرين.

١٧ـ حسن التعامل فى السفر.

١٨ـ محبة الأجداد للأحفاد.

١٩ـ العطاء بلا منٍّ ولا أذى.

٢٠ـ التواصي بالحق والصبر والمرحمة.

٢١ـ تجليات الإيثار.

٢٢ـ الوفاء بالعهود والوعود وسائر الحقوق.

٢٣ـ تجنب إيذاء الآخرين.

٢٤ـ الحرص على إلقاء التحية، والرد عليها.

٢٥ـ التسامح.

٢٦ـ الشجاعة في الحق.

٢٧ـ التعامل مع كبار السن بالمودة والعطف.

٢٨ـ الإحسان إلى ذوي القربى.

٢٩ـ الكرم والجود.

١ـ المحافظة على حق الجار، وبيان ما له وما عليه

تتجلى عناية الإسلام بالروابط الاجتماعية، التى تنمو فى ظلالها علاقات الحب والمودة بين الناس جميعاً، بدون تفرقة بين غنى وفقير، أو بين صحيح وعليل، أو بين رجل وامرأة، أو بين إنسان وجاره، حتى لو كان الجار لا يدين بالإسلام، فله حق الجوار، انطلاقاً من منهج الإسلام الذى يدين به عباد الرحمن.

١ـ حدود الجيرة وأشكالها:

لقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[١].

فالأمر بالإحسان إلى الجار القريب المسلم، وإلى الجار المجانب، وهو إما أن يكون مسلماً وإما أن يكون غير مسلم.

فالعلاقة بالجار ذات أبعاد إيمانية، حسب مقاييس هذه العلاقة، التى ينبغى أن تسمو دائماً عن الصغائر ـ وترقى إلى المنزلة الإنسانية، التى يقدرها، ويحرص عليها الدين الإسلامى.

وفى منظور هذه العلاقة، التى أبرزها الإسلام عقيدة وسلوكاً، وأكدها الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، فقال فيما يرويه ابن عمر وعائشة (رضى الله عنهما) قالا: قال رسول الله ﷺ: **«ما زال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»**[٢] وتتمثل هذه الوصية، فى حتمية الاعتناء والاحتفاء به، أما التوريث فلم يقع، ولا يبقى إلا أن يُنَزّل منزلة من يرث علماً وإحساناً وبراً.

---

[١] سورة النساء من الآية رقم (٣٦).

[٢] متفق عليه.

٢ـ حقـــوق الجـــوار فـــي الإســـلام:

العلاقة بين الجار وجاره في الإقامة والعمل والسفر تتسع، فتشمل الجار القريب المسلم، والجار المسلم، والجار غير المسلم، وكلٌّ لــه حقــوق، وعليــه واجبات، يجب على المسلمين أن يحرصوا عليها، ويلتزموا بها؛ لتبقى سلوكاً إيمانياً وحضارياً، يوطد روابط الحاضر بثوابت الماضي، الذي يجسده عباد الرحمن بسلوكياتهم مع الآخرين، وتبرز أشكال العلاقة بين الجار وجاره في ثلاث نواحٍ هي: كفُّ الأذى عنه، واحتمال الأذى منه ، وإسداء الخير والمعروف إليه، فعدم إيذاء الجار مقدم على غيره في ملامح الإيمان بالله واليوم الآخر، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن الله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[١].

فعلاقة الرجل بجاره، والمرأة بجارتها، تقتضي أموراً كثيرة، يأتي في مقدمتها حظر الإساءة إلى الآخر أو الأخرى؛ لأن الجارين يشكلان جزءاً من التركيبة الاجتماعية، التي يحافظ الإسلام على نقائها، وعدم تلوثها بالسلوكيات المنافية، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[٢]، أي لا يأمن جاره شروره وأضراره، فإيمان الرجل لا يكتمل، إذا ألحق الأذى بجاره، فتسوء العلاقة بينهما، وقد يتجاوز السوء حدود الاثنين إلى محيط الآخرين، الذين يرتبطون بنوع من العلاقة مع الجارين، فتشتعل الفتنة، وتتمزق بعض الكيانات الاجتماعية، التي يدعو الإسلام إلى نقائها وسموها وشفافيتها.

---

[١] متفق عليه واللفظ للبخاري (٦٠١٨).

[٢] رواه أحمد والبخاري ومسلم.

ونأتى إلى الشق الثانى من علاقة الجار بجاره، وهو احتمال الأذى منه بمعنى الصبر عليه؛ حتى يعود إلى صوابه ، وقد حدث فى مسيرة الدعوة الإسلامية، ما يؤكد أهمية الصبر على الجار السيئ، فى ضوء ما رواه أبو هريرة (رضى الله عنه) قال: **«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، فقال له: اذهب فاصبر، فأتاه مرتين أو ثلاثاً فقال له: اذهب فاطرح متاعك فى الطريق، ففعل، فجعل الناس يمرون، ويسألونه فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه .. فعل الله به، وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع فإنك لن ترى منى شيئاً تكرهه»**[1].

وهكذا، تعامل فريق من عباد الرحمن المخلصين، مع الموقف الذى تمثل أولاً فى الصبر على إيذاء الجار لجاره، ثم فى مقاومة السلوك الشائن، عن طريق استنكاره بالوسيلة المناسبة؛ لمقاومة المنكر، وقد قيل لرسول الله ﷺ: **«إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتؤذى جيرانها، فقال ﷺ: هى فى النار»**[2].

أما إسداء الخير والمعروف إلى الجار، فتشمله سلوكيات متعددة، تجعل من المسلم عنواناً لدينه، وقدوة لغيره، ودعوة صادقة إلى محبة الله ورسوله والناس جميعاً.

وقد قال ﷺ: **«أتدرون ما حق الجار؛ إن استعان بك أعنته، وان استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عَدْتَ عليه، وإن مَرِض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خيرٌ هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهةً فأهدِ له، فإن لم تفعل، فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك؛ ليغيظ بها ولَده، ولا تؤذه بقتار قدرك، إلا أن تغرف له منها، ثم قال: أتدرون ما حقُ الجار؟ والذى نفسى بيده، لا يبلغ حقَّ الجار إلا من رحمه الله»**[3].

---

(1) رواه أبو داوود وابن حبان والحاكم.

(2) رواه أحمد والحاكم (إحياء علوم الدين جـ ٢ صـ٢١٢).

(3) من إحياء علوم الدين جـ ٢ صـ٢١٣ ذكره الخرائطى فى مكارم الأخلاق، وابن عدى فى الكامل، وهو ضعيف.

٣ـ مستوى العلاقة بين الجار وجاره:

ينبغى أن تكون هذه العلاقة فى حدود الشرع، المحدد بالكتاب والسنة، وأفعال الصحابة والتابعين، الذى يمثلون القدوة لسائر المسلمين، فالسيدة عائشة (رضي الله عنها) قد قالت: **«قلت يا رسول الله: إن لى جارين، فإلى أيهما أهدى؟ قال: إلى أقربهما منك باباً»**[١].

إن حقوق الجار ذات أبعاد إيمانية، تمتد إلى حيز المساءلة، والمطالبة بهذه الحقوق يوم الحساب، فيقال: إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة، فيقول: يا رب، سَلْ هذا لِمَ منع معروفه، أو سدَّ بابه دونى، ثم إن العلاقة بين الجيران، ينبغى أن تكون مشفوعة بالمحبة والمودة، وليس بالمن والأذى، أو الرياء والتظاهر الأجوف، الذى يحبط الأعمال الصالحة، هدانا الله جميعاً إلى سواء السبيل.

---

[١] رواه البخارى (٦٠٢٠) جـ ١٠ صـ ٤٦١.

٢- إكرام الضيف

الكرم طبع عربى أصيل، وخلق إسلامى نبيل، تمتد آثاره إلى الناس جميعاً، سواء أكانوا مقيمين أم ضيوفاً وافدين، وهو سلوك حضارى يتجلى بأنواره فى العلاقات الاجتماعية الراقية، التى تذكرنا بما ينتهجه عباد الرحمن، استناداً إلى كتاب الله الكريم، وسنة رسوله ﷺ.

١- ملامح إكرام الضيف، واستقبال الزائر فى ضوء القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[1].

ومعنى (**حنيذ**): أى مشوى على الحجارة المحماة بالنار، حسب طريقة أهل ذلك الزمان.

وهؤلاء الرسل كانوا ملائكة فى صورة رجال، وألقَوْا التحية والسلام على خليل الرحمن ، فرد عليهم بمثل ما قالوا، لكنهم لم يأكلوا من الشواء المقدم لضيافتهم؛ لأنهم ليسوا رجالاً كما شاهدهم فى الواقع.

وقد عرَّفوه أنهم مرسلون إلى قوم لوط، وبشروا الخليل بغلام حليم، هو إسحاق عليه السلام، ويعقوب من بعده، ثم بشروه بهلاك قوم لوط بعد ذلك، وكانت البشارة لزوجته أيضاً فى الموقف ذاته.

وأسرع إبراهيم عليه السلام فى إكرام ضيوفه بالبشاشة، وحسن الاستقبال، وبتقديم الطعام الجيد، فلما امتنعوا عن الأكل تاه فيهم، ووَجِل منهم، وعرف الحقيقة، وهدأت نفسه، واستراح قلبه، واطمأن إلى رعاية الله له.

---

(١) سورة هود الآية رقم (٦٩) ، وانظر سورة الحجر آية رقم (٥١)، وسورة الصافات آية رقم (١١٢).

فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[١].

وإكرام الضيف يكون بحسن استقباله، وسرعة إعداد الطعام له، وتقديمه إليه، وأن يكون ذلك فى حدود طاقة المضيف، وقدرته من غير عنت ومشقة عليه، وعلى سائر أهل بيته.

ونذكر هنا مقولة لحاتم الأصم، وهى: «العجلة من الشيطان إلا فى خمسة فإنها من سنة رسول الله ﷺ: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب»[٢].

وقال بعض الصالحين من المتصوفين: «لا تُجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك، وأنه سلم إليك وديعة كانت لك عنده، ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه»[٣].

إن عباد الرحمن يتخذون من هذه الأخلاق سبيلاً؛ للتقرب إلى الله، ودعماً وتاكيداً للصلات الاجتماعية، التى تتكامل بها الأمة الإسلامية، بين الموسرين والمعسرين، أو بين المقتدرين والمعدمين، خاصة فى مجال الأطعمة والأشربة، وسائر متطلبات الحياة.

٢ـ أبرز الآداب الإسلامية فى الضيافة:

ذكر **أبو حامد الغزالى** – رحمه الله – أن للضيافة آداباً ينبغى الالتزام بها، والحرص عليها، وهى ترتبط بالمضيف، وبالضيف الذى استجاب للدعوة والحضور، وتقديم الطعام والأكل والانصراف، فإذا طبقنا تلك السمات على الحفلات المعاصرة، التى تقام فى بيوت الضيافة، لوجدنا كثيراً من السلوكيات، تحتاج إلى ضبط ومراجعة والتزام.

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى (٦٠١٨).

(٢) راجع إحياء علوم الدين جـ ٢ صـ ١٦ (طبع الحلبى).

(٣) السابق جـ ٢ صـ ١٤.

ولهذا يجب أن تكون الدعوة للأتقياء دون الأشرار، قال ﷺ: **«أكل طعامكم الأبرار»**[١]، وأن تبدأ الدعوة بالأقارب، وألا يقصد بها المباهاة والتفاخر، وألا توجه إلى من يشق عليه الحضور[٢]، وقال (عليه الصلاة والسلام): **«شرٌّ الطعام طعام الوليمة، يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء»**[٣].

ولا ينبغى الاعتقاد بأن طعام الوليمة شرٌّ وإثمٌ على الإطلاق، وإنما يلزم السوء بها، ما لو نُحِّى الفقراء عنها، فإذا دعوا إليها، وامتزج الناس ببعضهم أغنياء وفقراء، كانت الاستجابة محمودة، ولا شيئ فيها.

إما إجابة الدعوة فهى سنة مؤكدة، وقيل واجبة، ولا ترتبط الإجابة بنوع الطعام وجودته، فقد قال الرسول ﷺ: **«لو دُعيت إلى كُراع لأجبت، ولو أهدى إلىّ ذراعٍ لقبلت»**[٤].

ولا يصح أن يكون الهدف من قبول الدعوة قضاء شهوة البطن، ويجب أن يكون الدافع هو إدخال السرور على المضيف، ودفع سوء الظن عن المدعو فى أنه مغرور ومتكبر، كما ينبغى أن يكون الحضور فى تواضع، وبلا عجلة فى الذهاب، أو إطالة فى الإقامة؛ حتى تتحقق أهداف الضيافة.

وتتواصل آداب الضيافة فى تقديم الأطعمة، بحيث يُعجل بها، ويؤخر رفعها، أما الأكل فيكون باعتدال، وألا يتباهى به المضيف، ويكون الانصراف بإذن صاحب الدعوة، وأن يخرج الضيف شاكراً راضياً، داعياً بالخير والصلاح للمضيف.

---

(١) من حديث أنس بإسناد صحيح.

(٢) الإحياء جـ ٢ صـ ١٣.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة.

(٤) رواه البخارى من حديث أبى هريرة، والكراع هو مستدق الساق (الرجل) يذكر ويؤنث، أى أنه عظم بقايا لحم، أقل من المتوسط، وله من يرغبه.

٢ـ بعض المظاهر التي تتصل بالكرم والضيافة:

إن الشأن الآن ليس كما كان في عهود الرسول وأصحابه وتابعيه، إذ تشهد الحياة المعاصرة انصهار كل فرد في بوتقة حياته، فلم يعد لديه من الوقت، ولا من الإمكانات (أحياناً) ما يعينه على استضافة فرد، أو مجموعة أفراد في عدد من الأيام، وإن أقصى ما تقره السنة النبوية هو ثلاثة أيام، كما نصّ على ذلك رسولنا ﷺ حيث قال: **«الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فصدقة»**[١]، وذلك حتى لا تكون إقامة الضيف تأثيماً للمضيف، بسبب عدم قدرته على تقديم واجب الزيارة، ففي رواية لمسلم قال الرسول ﷺ: **«لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه، قالوا: يا رسول الله كيف يؤثمه؟ قال: يقيم عنده، ولا شيئ عنده يُقْريه به»**[٢]، ولا يصح أن يقلل المضيف من قيمة ما يقدمه للضيف، وكذلك لا يحتقر الضيف ما يقدم له، وأن يكون حريصاً على مراعاة أحوال مضيفه؛ لأن الهدف من كرم الضيافة وإطعام الزائر، هو تنمية العلاقات الحميمة والأخلاق الحميدة، وتجميع القلوب، وترضية النفوس، ونشر المحبة وزرع الألفة، والتقريب بين عباد الله المخلصين.

إن الإسلام دين، يرعى العلاقات الاجتماعية بين كافة الناس، حتى إن استقبال الشخص لضيوفه وزائريه من أفضل الخيرات، فقد روى عن عبدالله بن عمرو (رضى الله عنهما) قال: **«دخل على رسول الله ﷺ فقال: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار، قلت: بلى، قال: فلا تفعل، قُم ونَمْ، وصم وافطر، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً»**[٣].

---

[١] متفق عليه.

[٢] القرى: ما يقدم للضيف إكراماً له.

[٣] رواه البخارى ومسلم وغيرهما، واللفظ للبخارى، وقوله: (إن لزورك عليك حقاً)، أى وإن لزوارك وأضيافك عليك حقاً، يقال: زوْر أى سواء فيه الواحد والجمع، الترغيب جـ ٣ صـ ٢٤١.

إن الجود والكرم خاصة للضيف الزائر من ألزم الصفات، التي تميز المؤمنين من عباد الرحمن المخلصين، وإن من متطلبات الإيمان، أن يدخر المسلم لحساب حسناته ما يقدم للمحتاجين، الذين يجدون الحرج أو شيئاً منه عند السؤال، وطلب الحاجة، وكان حديث الرسول، الذى ينبه إلى أن المال الحقيقى للإنسان، هو ما يدفعه إنفاقاً فى سبيل البر، أما ما يحجبه ولا يتبرع به فليس له، وإنما هو لورثته من بعده، قال الرسول ﷺ: **«أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟؟ قالوا: يا رسول الله ما منّا أحد إلا مالُه أحبُّ إليه، قال: فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر»**[1]، وكل فرد من الناس محتاج لغيره كقول الشاعر:

الناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ   بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يشعروا خَدَمُ

٤ـ ألوان من كرم الضيافة:

كان طلاب العلم والباحثون عن الحقيقة يجوبون الصحراء، ويرحلون إلى الأقاليم البعيدة، فيحدث لهم من الضرورات ما يجعلهم كالغرباء، أو أبناء السبيل الذين يحتاجون إلى من يستضيفهم، ويتكرم معهم، خاصة أن الحياة آنذاك لم تكن بالكيفية التى نحياها فى الوقت الراهن، إذ يستطيع الإنسان فى أى وقت من ليل ونهار، أن يترجل عائداً إلى بلده، ولا يحمل أحداً مشقات الضيافة، خاصة أن كثيراً من الناس ممن يقيمون فى المدن، لا تتيسر للكثيرين منهم السعة المالية والمكانية، التى تشجعهم على استقبال الضيوف، حسب التقاليد العربية القديمة، لكن هذه الأخلاق الإسلامية، لم تُمْحَ من التطبيق الواقعى، ففى جامعة الأزهر مثلاً الألوف من الطلاب الوافدين من سائر الدول الأجنبية، خاصة تلك التى تقع فى جنوب أسيا، وهؤلاء يحتاجون لمن يكرمهم ويعينهم، ويأخذ بأيديهم إلى العلم والحياة.

---

(١) رواه البخارى.

إن كثيراً من المؤمنين الصادقين، يحرصون على استضافة هؤلاء الطلاب الباحثين، خاصة فى شهر رمضان، وتقديم الأموال والأطعمة والملابس لهم، ولذلك مردود طيب، لا تضيع آثاره فى هذه النفوس المؤمنة، المضاءة بالإيمان والتقوى، وحب هذه الجامعة الأزهرية العريقة، التى جاءوا إليها؛ رغبة فى العلم والمعرفة.

وقد تجلى كرم الضيافة فى حق عباد الرحمن من الأنصار، الذين استقبلوا الأسرى القرشيين، واستضافوهم بأخوة ومحبة ، فكانوا يقدمون لهم الخبز، وأطايب المأكولات، بينما عاش المستضيفون من الأنصار على التمر والماء، وما فاض من الأطعمة المعدة للضيوف الأسرى؛ امتثالاً والتزاماً بخلق الإيثار وإكرام الضيوف وعمل المعروف، والله الهادى إلى سواء السبيل.

٣ـ الكـــلام الطيـــب والصمـــت الجميـــل

تؤدى الكلمة الطيبة دوراً مهماً في العلاقات بين الناس؛ ذلك أن المـــرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تحدث انكشف أمره، وظهر معدنه، واتضحت قيمة مـــا نطق به؛ خيراً أو شراً.

وقد كان الرسول والصحابة والتابعون وسائر عباد الرحمن، يحرصون على الالتزام بالكلام الطيب، الذى يحضُّ على الخير، وينهى عن الشر، ويصلح بين الناس، فإذا لم يَقْدرِ المؤمن على توجيه أسلوبه، وضـــبط عباراتـــه، فـــإن الصمت الجميل يكون بديلاً محموداً، وسلوكاً طيبـــاً، فمـــا أحـــرى أن يتمـــسك به سائر المؤمنين.

١ـ أبعاد الكلام الطيب فى العلاقة بين عباد الله المخلصين:

قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة حُجة الإسلام فى علم الحـــديث (رضى الله عنه): **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن الله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت»**[١] والجزء الأخير من الحديث يتناول خلقاً حميداً، لمن يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو قول الخير، أو التزام الصمت، فمن كان ذلك صفة لـــه، صار كامل الإيمان، ومحبوباً من الله ورسوله.

والكلام الطيب يشمل أشياء كثيرة، أمر الله بها عباده المؤمنين، كقـــول الحق، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والحكم بالعدل، والـــصدق فـــى القول، وكان ابن مسعود (رضى الله عنه) يخاطب لسانه، فيقول له: **«يا لسان، قل خيراً تَغْنَمْ، واسكت عن شرٍّ تسلم من قبل أن تندم»**.

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى (٦٠١٨)، وقد روى الأربعة الجزء الأخير منه – (التاج الجامع للأصول جـ ٤ صـــ١٨٣، وفى رواية متفق عليها (فليقل خيراً أو ليسكت) إحياء علوم الدين جـ ٣ صـــ ١٠٦.

وعلى الإنسان أن يتكلم ولا يصمت، إذا رأى أن حقه في حاجة إلى بيان وإيضاح، قال ﷺ: **«إن لصاحب الحق مقالاً»**[1]، وأن يكون الحديث مناسباً للموقف، وموجزاً، وذا عبارات منتقاه، ولا يسبب أضراراً أو تعريضاً بالآخرين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2]، وقد شبه الله سبحانه وتعالى – وله المثل الأعلى – الكلمة الطيبة النافعة بالشجرة المثمرة المفيدة، **والكلمة الطيبة:** هى كلمة التوحيد، "وقيل هى كل كلمة حسنة: كالتسبيحة والتحميدة، والاستغفار، والتوبة، والدعوة"[3]، أما الشجرة الطيبة فقيل: إنها المؤمن، وقيل هى النخلة، التى كل شيئ فيها نافع مفيد، وقد رُوى عن النبى ﷺ فى حديث ابن عمر (رضى الله عنهما): **«إن من الشجرة شجرةً لا يسقط ورقها، وهى مِثْلُ المؤمن، خبرونى: ما هى؟ ثم قال: هى النخلة»**[4].

أما الكلمة الخبيثة فهى كلمة الشرك، وكل كلمة تُفَرّق بين الناس ولا يتحرى فيها العدل والإنصاف، وهى مثل الشجرة الخبيثة، التى ليس لها أصل راسخ، يشرب بعروقه من الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[5].

فالشجرة الخبيثة: كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل، فما أبعد الفرق بينها وبين النخلة، إيذاناً بإثبات الفوارق بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.

---

(1) متفق عليه من حديث ابى هريرة – الإحياء جـ ٣ صـ ١٤٨.

(2) سورة إبراهيم الآية رقم (٢٤ ، ٢٥).

(3) الكشاف للزمخشرى جـ ٢ صـ ٣٧٦.

(4) اخرجه مالك فى الموطأ عن القرطبى جـ ٩ صـ ٣٥٩ وخرَّجه أهل الصحيح، وزاد فيه بعضهم.

(5) سورة إبراهيم الآية رقم (٢٦).

٢ـ متى يكون الصمت واجباً؟ وكيف يكون جميلاً؟:

يكون الصمت مطلوباً ولازماً، إذا كان المقابل له هو الكلام السيئ، والانفعال الغاضب، والتطاول على الآخرين، أما إذا تحكم الإنسان في عباراته، وأحسن توجيهها، فإن ذلك مدعاة للكلام الطيب، إذ لا يصح أن يسكت المسلم أمام المنكر، أو يرى معروفاً يَسْهُلُ عليه أن يأمر به ولا يفعل، أو كان الكلام بمثابة شهادة تعين على حق، وتنصر مظلوماً.

ويكون الصمت الجميل مصحوباً بالهدوء، والرضا، وعدم التجهم، وتجنب الغمز واللمز، وكل إشارة تهين الآخرين، فالتزام الصمت أمام الأمور التى لا علاقة للمؤمن بها، أمر ثابت، يتيح لصاحب الحق أن يعبر عن مطلوباته؛ إيثاراً للسلامة، واقتناعاً بأهمية الصمت الجميل، الذى يحفظ أسرار الناس، ويقدِّرُ مشاعرهم، ويضبط أحوالهم، فعن بن عمر (رضى الله عنهما) عن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ صَمَتَ نجا»**[١]، وروى كذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[٢].

إن الصمت الجميل، يصون الإنسان من الوقوع فى شَرَك آفات اللسان، التى تزيد عن عشرين أمراً منكراً، مثل: الكذب، وخوض الإنسان فيما لا يعنيه، وإفشاء الأسرار، وازدراء المرء لنفسه بالكلام الساقط، الذى يضر ولا يفيد.

وعن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) قال: **«قلتُ يا رسول الله ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك، ولْيسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك»**[٣].

ومعنى قوله: ما النجاة، أى ما طريق النجاة؟

والمعنى احفظ لسانك، وكن دائماً حريصاً على الكلمة الطيبة، والسعى إلى المعاش الحلال، وإلى مصلحة أحد من العباد، واجعل إقامتك فى بيتك أساساً للراحة، وواجباً للأهل، أو أداء للعبادة فى بيت من بيوت الله، مع أهمية الندم والاستغفار من الأخطاء والآثام.

---

[١] رواه الترمذى (ابن حجر جـ ١٠ صـ ٤٦) كما رواه الطبرانى بسند جيد (الإحياء جـ ٣ صـ ١٠٥.

[٢] رواه الترمذى وأحمد والحاكم.

[٣] رواه الترمذى وقال: حسن (التاج الجامع للأصول جـ ٤ صـ ١٨٣، إحياء علوم الدين جـ ٣ صـ ١٠٥.

٤ـ معالم الاستئذان،
والدخول على الآخرين

يشكل الاستئذان فى الدخول على الآخرين بعضاً من آداب الإسلام، خاصة في هذا الخُلق الذى يُعد مَلْمحاً وسلوكاً حضارياً، ينتهجه عباد الرحمن، الذين استقرت بذور الإيمان فى أعماقهم، كما نَصَّ عليه التشريع الإسلامى النابع من القرآن الكريم، والسنة النبوية المكرمة، وتوافقت معه أخلاق الصحابة والتابعين.

١ـ مجموعة من المشاهد الأخلاقية للرسول وأصحابه فى حتمية الاستئذان لدخول البيوت وغيرها:

لقد قال القران الكريم فيما يخص الأمر بالاستئذان، عند دخول بيوت النبى ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ .... ﴾[١].

وقد كان المسلمون الأوائل تواقين لزيارة الرسول، والاستماع إليه، والتعبد بمجالسته، لكن ذلك كان يلحق به ضرراً نفسياً من سلوكيات بعض الأعراب، فى اقتحامهم بيته بلا إذن، والمناداة عليه من خلف منازل زوجاته بأصوات عالية. جافة غير مصحوبة بطلب الإذن فى الدخول والزيارة.

وذكر المفسرون أن هذه الآية تسمى آية الحجاب، ونزلت يوم زفاف زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ، وتجمَّع الصحابة بطريقة لا تتوافق مع المناسبة.

كان الأعراب يعيشون حياة جديدة، لم يستطيعوا فى البداية أن يتخلوا عن كثير من عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، التى ارتبطت بالمعيشة فى القرى والبوادى، وكان التغيير فى المشروع الإسلامى للحياة، غير قاصر على

---

[١] سورة الأحزاب الآية رقم (٥٣).

العبادات الدينية فى الأفعال والأقوال؛ وإنما اشتمل التحولُ العديدَ من السلوكيات الحضارية، المستمدة من روح الرسالة المحمدية وجوهرها، التى كانت تكليفاً إلهياً للرسول ﷺ؛ للوصول بها إلى الناس جميعاً.

وعرض القرآن الكريم لمنظومة العلاقة، التى تجمع الرسول ﷺ بأصحابه فى سائر جوانب الحياة، ومنها، استئذان فريق منهم لظروف ملحة خاصة بهم، وكان التكليف الإلهى للرسول ﷺ بالفصل فى الإذن، والتصرف فى ضوء اقتناعه بالموقف المصاحب للحالة، ومدى إمكانية الاستغناء عن المستأذن، أو البقاء والإسهام فى التبعة الباعثة على طلب الإذن، مثل المشاركة فى حفظ النظام، وتثبيت الإيمان والاستعداد للحروب وغيرها.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ويحتم النص القرآنى على الصحابة الأجلاء المعاصرين للمصطفى ﷺ عَدَمَ الانصراف على الإطلاق، دون أن يسمح لهم قائد الأمة فى التحرك بعد طلب الإذن؛ احتراماً للعلاقة التى تظلل الرسول وأصحابه.

وامتد الاستئذان إلى جماعة من المتكاسلين فى الدفاع عن المدينة، ومراكز القيادة والإدارة بها على عصر الرسول ﷺ، وذلك من فريق يعلن إيمانه فى الظاهر ويجاهر به، ويختزن فى أعماقه كثيراً من الكراهية، والجهل والمكر الخادع، وهؤلاء هم الذين شكلوا تحالفاً للنفاق، الذى ينسحب فى كثير من ساعات العُسْرة، أو يصطنع أزمات، لا مبرر لها، أو يمكر أهلُه على الرسول بطلبات كاذبة؛ للتخلف، بدعوى أن البيوت فى المدينة مهددةٌ بكشف الأستار، وأنها تمثل عورة[2] ينبغى البقاء للحفاظ عليها، وصيانة أستارها، وأسرارها، أو ينصرفون من الموقف بلا استئذان من الرسول، وبلا حاجة لذلك.

---

(1) سورة النور الآية رقم (٦٢).

(2) كما جاء فى سورة الأحزاب، الآية رقم (١٣).

قال تعـــالى: ﴿قَدْ يَعْـلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وكتب القرطبى عن هذا الموقف: كما جاء فى الآية المذكورة، بما فيـه من إيمان يتم الجهر به، ونفاق يسيطر على التحرك الشائن، والسلوك الـضال، قال: «**وذلك أن المنافقين كانوا يتلوذون**[2]، **ويخرجون عن الجماعة، ويتركون رسول الله ﷺ، فأمر الله جميعهم بألا يخرج أحد منهم؛ حتى يأذن له رسـول الله ﷺ، وبذلك يتبين إيمانه**»[3].

٢ـ آداب الاستئـذان لزيـارة الآخريـن:

يظن بعض الناس، أن التوجهات المعاصرة فى الزيارات المتبادلة بـين الناس وليدة القرون الأخيرة، خاصة فى البلاد الغربية، وبعـض البلـدان مـن الشرق الأقصى، ولكن كثيراً من هذه السلوكيات ذات مرجعية دينيـة أصـيلة، يؤكدها القرآن الكريم، والسنة النبوية، تلك التى تغيب بواعثها عن كثيـر مـن الناس، الذين تتهاوى بهم وسائل الاتصال الحميم بأصول التـشريع الإسـلامى القويم، وهى التى كان معظمها صادماً لعادات العرب فى ظلال الإسلام، وبـدأ الناس يتحولون شيئاً فشيئاً مع السلوكيات الحضارية للإسلام، فيما يتصل بحتمية مراعاة الآداب الخاصة بزيارة الآخرين فى بيوتهم، وجاء ذلك صريحاً في عدد من الأمور، التي كان عباد الرحمن متمسكين بها، وحريصين عليها:

١ – الدخول من الأبواب، ذلك أن اقتحام البيوت من الخلف، وبـلا اسـتئذان، لا يعبر عن روح ومعيار العلاقة التى تمثل آداب الإسلام فى الاستئذان، قـال تعـالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[4].

---

[1] سورة النور الآية رقم (٦٣).

[2] ينسحبون فى خفاء.

[3] تفسير القرطبى جـ ١٢ صـ ٣٢١.

[4] سورة البقرة الآية رقم (١٨٩).

٢- عدم دخول بيوت الآخرين إلا بالاستئذان والسلام على من فيها، على أن يعلن طالب الزيارة عن اسمه واسم من معه، إذ لا يكفى أن يقول مثلاً **(أنا)** أو يذكر كلاماً لا يكشف عن شخصيته، فإذا لم يُؤذن له بعد الطلب ثلاثاً، فليرجع من حيث أتى، أو إذا قيل له ذلك فليفعل؛ لأن للبيوت حرماتِها، وأن طلب الإذن واجبٌ؛ لخطورة هتك أسرار الآخرين، الذين ربما يكونون فى هيئة، أو وقت لا يسمح بالدخول للزيارة، تلك هى بعض آداب الإسلام، التى تعد ظلالاً وستاراً وحفاظاً على سلوكيات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[١]، وقد شُرِع الاستئذان، من أجل الحفاظ على أسرار أصحاب البيوت.

فعن سهل بن سعد (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»**[٢]، كما رُوى عن كَلْدة بن الحنبل (رضى الله عنه) قال: أتيت النبى ﷺ، ودخلت عليه، ولم أسلم، قال النبى ﷺ: **«ارجع فقل السلام عليكم، أأدخل»**[٣].

وغالب الأحوال أن يكون المعنى (كما فى الآية) موجهاً إلى تقديم الاستئذان على السلام، ما لم تكن هناك دواع ملحة لغير ذلك، ويُراعى ألا يقف طالب الإذن فى مواجهة باب الدخول مباشرة؛ لأن الهدف كما جاء فى حديث الرسول ﷺ حماية أهل البيوت من أنظار القادمين.

---

(١) سورة النور الآية رقم (٢٧)، وتستأنسوا أى تستعلموا بمعنى الاستعلام عن إرادة أهل البيت، فى دخول الزائر، أو عدم دخوله، والاستئناس أشمل من طلب الإذن.

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذى – رياض الصالحين والحديث (٨٧٣).

٣- إيقاف الزيارة وعدم تفعيلها، إذا لم يتم الإذنُ الصريحُ بالدخول، وعدم وجود أحد يصلح لاستقبال الزائرين، لأن هذا الأدب الإسلامي يصون العلاقات الاجتماعية، ويحفظ كيانها من التمزق، ويحوِّلُ الزيارة من مجرد جلسة فارغة، يحدث فيها ما لم يحسن ذكره إلى سلوك متحضر، يستشعر الزائر الأنس، والراحة من أهل البيت عند زيارته، ويكون ذلك هدفاً دينياً قويماً، تنمو به العلاقات، وتزداد الألفة، ويستشعر الضيف كأنه واحد من أهل البيت، يستظل بالحماية الدينية، والأخوة الإسلامية، التى تُعَدُّ هدفاً من أهداف الزيارة المسبوقة بطلب الإذن، وتحديد هوية الشخص، مما يعطى إشعاراً صريحاً لأهل البيت بدواعى الزيارة وأهدافها، وعليه يكون الإذن بالدخول، أو الرفض وطلب الرجوع.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1].

وقد روى عن أبى موسى الأشعرى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «**الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك**[2]**، وإلا فارجع**»[3].

وهكذا يبدو هذا الخلق الإسلامى متجسداً فى شخصية الرسول ﷺ، وفى حق أصحابه، رضوان الله عليهم أجمعين.

---

[1] سورة النور الآية رقم (٢٨).

[2] أذن لك: أى ادخل.

[3] متفق عليه.

٥ـ التناجـي بالـبر والتقـوى

تعرض سورة المجادلة من كتاب رب العالمين لمعالم التناجي بالبر والتقوى، سواء أكان ذلك لله سبحانه وتعالى، أم للرسول، أم لسائر البشر، لكن المناجاة – فى مفهومها العام – يمكن أن تنقلب إلى صورة مرفوضة شرعاً وعرفاً، وذلك إذا اقترنت بالإثم، والعدوان، ومعصية الرسول.

١ـ كيـف يكـون التناجـي بالـبر والتقـوى؟

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[١].

ومعنى **النجوى**: أى التحدث سراً مع الآخر، **والبر**: حسن الخلق، **والتقوى**: الخوف من عذاب الله.

وعليه يصير التناجى فى سبيل الإيمان، مرهوناً بحتمية الالتزام بحسن الخلق، ومراعاة الخوف من عذاب الله، ذلك الذى يحتم على المؤمن من عباد الرحمن أن يعمل على إرضاء الله (سبحانه وتعالى)، وإرضاء الرسول ﷺ، وسائر المتقين، الذين يُؤْمَن جانبهم، ولا يمثلون أذى، أو ضرراً لأحد من الناس، إذ ينبغى أن تكون النجوى مبنية على مراعاة حقوق الآخرين: كالحفاظ على أسرارهم، وعدم الطغيان عليهم؛ لأن الدعوة الإسلامية دعوة إنسانية عامة، تعرض لحقوق البشر وواجباتهم فى الدين والحياة.

أما فيما يتصل بالتناجى بين الناس، فإن الحظر مرتهن بالمناجاة بين اثنين دون ثالث، إلا إذا أذن لهما؛ مراعاة لمشاعره، وحتى لا يُظَن أن ما يتحدثان فيه موجه إليه، لكن تناجى اثنين، وإلى جوارهما أكثر من واحد، لا شئ

---

[١] سورة المجادلة الآية رقم (٩).

فيه، وقد رُوى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد»**[1].

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر؛ حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه»**[2].

إن هذا السلوك الإيمانى خلق إسلامى، تُراعى فيه العلاقات بين الناس؛ حتى تعم المحبة، وتزداد الألفة، وتنمحى الكراهية والبغضاء.

٢ـ المناجاة مع الله ورسوله:

ينبغى أن يبقى المتناجيان على علم وإدراك شامل، بأنهم تحت ملاحظة الله ومتابعته، وأنه – سبحانه – على علم بما يقولونه فى السر والعلن، ولذا يتحتم عليهم مراعاة رب العالمين، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[3].

فالله (سبحانه وتعالى) سامع سرهم ونجواهم، إذا كانوا اثنين أو ثلاثة، فالله معهم، ورقيب عليهم، وسميع لما يجرى على ألسنتهم، سواء أكان ذلك لخدمة الدين أم الدنيا، أم لأمر يخصهم، أم لسلوك ضد الآخرين، تلك هى معيارية الفهم والإدراك لقضية التناجى بين اثنين، أو أكثر من البشر، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾**[4].

---

[1] البخارى ومسلم.

[2] فى تفسير القرطبى جـ ١٧ صـ ٢٩٥ – وخرّجه مالك بالموطأ والمعنى أن التناجى بين الاثنين فى وجود الثالث غير جائز، إذ يتطلب الأمر أن يكون التناجى فى وجود جمع من الناس، وليس واحداً حتى لا يلحقه الحزن.

[3] سورة التوبة الآية رقم (٧٨).

[4] سورة المجادلة الآية رقم (٧).

فالمعنى أن الله مع كل عدد قلَّ أو كثُر، يعلم ما يقولونه سراً وجهراً، ولا تخفى عليه خافية ....، وقيل: معنى ذلك أن الله معهم بعلمه، حيث كانوا من غير زوال ولا انتقال، ونزل ذلك في قوم من المنافقين"[1] أو من اليهود.

ولقد حضَّ القرآن الكريم عباد الله المخلصين على تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول، تعظيماً لشأنه وتقديراً لرسالته، ونفعاً للفقراء والمحتاجين، وفصلاً وتمييزاً بين المؤمن الصادق، والمنافق المخادع، إذ أنها ليست موجهة إلى شخص الرسول، فهو ليس في حاجة إلى هذه الهبات، أو العطايا؛ وإنما تشريع ليحفظ للنبي حقه من التكريم والتبجيل، ويعود أثره على الدعوة والتبليغ، وخدمة العقيدة من عباد الله متحملاً أعباءها، وربما تكون إمكاناته لا تسعفه؛ للقيام بنشاطاته، فكان الحض على تقديم الصدقات؛ لأهداف سامية نبيلة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقد قيل إنها: «نزلت بسبب أن قوماً من المسلمين، كانوا يستخلون النبي ﷺ، ويناجونه، فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى، فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى؛ ليقطعهم عن استخلائه»[3].

وقيل: إنها نزلت بشأن المنافقين واليهود في مناجاتهم للرسول، واختلال ثقة الناس بهم، حول ما ينقلونه عنه ﷺ.

---

[1] انظر تفسير القرطبي جـ ١٧ صـ ٢٩٠.

[2] سورة المجادلة الآية رقم (١٢).

[3] تفسير القرطبي جـ ١٧ صـ ٣٠١.

فلما استثقل بعض الصحابة هذه الصدقة، نزل الوحى بالتخفيف منها؛ تعظيماً وتقديراً لرغبة عباد الرحمن فى الالتقاء بالرسول؛ حتى لا تكون هذه الصدقات حاجزة لإقبال الناس عليه، قال تعالى: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾[1].

وهذه الصدقة مستحبة، كلون من تكريم الرسول ﷺ.

٣ـ مظاهر الانحراف بالمناجاة إلى الإثم والعدوان:

تنحرف المناجاة بين اثنين أو أكثر إلى طريق معاكس، لما ينبغى أن تكون عليه النجوى، من برٍّ وتقوى وصدقة ومعروف، وإصلاح بين الناس، وأول مظاهر الانحراف فى تناجى اثنين وتجنيب الثالث، أن يكون التناجى موجهاً، أو معتمداً على الإثم والعدوان، ومعصية الرسول، وذلك ما ذكره الوحى القرآنى فى قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2].

وتكون المناجاة بالإثم والعدوان، أى بالكذب والظلم والبهتان، أما المناجاة فى معصية الرسول، فتكون الحرمة فيها بسبب الدعوة إلى مخالفته، والاتفاق على معارضته، بهدف التصدى للرسالة وإبطال الحق.

وقد كان ذلك شأن اليهود والمنافقين، الذين كانوا يعارضون رسول الله ويمكرون به، مما يؤكد توجيه النص القرآنى إليهم، ومن على شاكلتهم فى السنوات الأولى من عمر الدعوة الإسلامية بالمدينة، وهم خاضعون لغواية الشيطان، الذى يضلهم عن سواء السبيل، ويوجههم إلى إلحاق الإيذاء بعباد

---

[1] سورة المجادلة الآية رقم (١٣).

[2] سورة المجادلة الآية رقم (٩).

الرحمن، الذين كانوا يشكلون الشريحة العظمى فى بنية المجتمع الإسلامى، وكان الإخبار من الله بأن أتباع حزب الشيطان، لن يلحقوا ضرراً بفريق المؤمنين إلا بإذن الله، الذى يحكم بمشيئته على ما فى أعماق النفوس، التى تمتلئ إيماناً أو كراهية، وعلى ذلك يكون الفصل بين جماعات الإيمان، وأتباع الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

إن التناجى بالبر والتقوى خلق إسلامى حميد، وسلوك حضارى راق، يَدِينُ به المؤمنون فيما بينهم، وفى مناجاتهم لله ورسوله، فإذا انحرفت النجوى إلى ارتكاب الإثم والمعصية، فإن الدوافع لذلك واضحة التوجه والامتثال لدعوة الشيطان؛ الذى يهدف إلى الغواية والضلال، وذلك ما ينبغى التنبيه إليه والتحذير منه؛ حتى تبقى رسالة الإسلام فى التناجى بالبر والتقوى، واضحة المعالم والأهداف.

---

[1] سورة المجادلة الآية رقم (١٠).

٦- إلقاء السلام على الآخرين

يعطى الإسلام أهمية كبيرة للعلاقات الإنسانية بين المؤمنين، تلك التى يأتى منها، ويتجلى فيها إلقاء التحية والسلام على الآخرين، وحتمية الرد من المتلقى إلى المُلْقى بأفضل مما قيل له، إذ أن حرص المؤمن على السلام والتحية، يشيع جواً من الإيمان والتقوى بين عباد الرحمن.

١- دعوة الإسلام إلى إلقاء التحية على الآخرين:

إن صيغة التحية فى الإسلام هى: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تلك العبارة الموجزة التى تُحْدِث جواً من الهدوء والطمأنينة والسلام بين الناس، وتظلل العلاقة بينهم بظلال من الرحمات والبركات، فتهدأ معها النفوس، وتستقر القلوب، ويأتى الرد مكملاً ومتمماً لما قيل، خاصة أن المجيب بالرد يكون هادئاً وديعاً، بعد أن أثمرت فيه التحية ثمرات من الخشوع والورع والمحبة، قال تعالى: **﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾**[١].

والبدء بالسلام خلق حميد، وسلوك قويم، والرد فريضة محكمة، وعبادة هادفة، بالقول "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته".

وقد رَوى أبو هريرة (رضى الله عنه) - عن الرسول ﷺ- قال: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[٢]، فإفشاء السلام يزيد المحبة بين المتقين من عباد الرحمن المخلصين، وهم الذين قال الله تعالى فى حقهم: **﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾**[٣].

---

[١] سورة النساء الآية رقم (٨٦).

[٢] رواه مسلم وأبو داود، والترمذى، وابن ماجة.

[٣] سورة الفرقان الآية رقم (٦٣).

فهم يتعففون بألسنتهم عن العصيان، ويلهجون بكل ما ينشر المحبة والمودة بين الناس، فإذا خاطبهم الجاهلون الذين يجرى السوء على ألسنتهم، جاء ردهم أمناً وسلاماً، ويصل الحال بهذا الفريق من عباد الرحمن إلى الترقى لأعلى منازل الجنة، وهى التى عبر القرآن عنها بالغُرْفة[1]، التى يستحقونها على أخلاقهم، التى تيمزوا بها، وهى كما ذكر بعض المفسرين: «التواضع، والحِلْم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والنزاهة عن الشرك، والزنى، والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيئ، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله»[2].

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾[3].

وكان الرد على التحية والسلام مفروضاً؛ لأن ذلك حق للبادئ، فيكون التأخير فيه مذموماً ومعيباً.

فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) – أن رسول الله ﷺ – قال: **«حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»**[4].

ويزداد تأثير التحية والسلام والرد عليهما، بما كان يحدث بين أصحاب الرسول، أو بينه وبينهم من تصافح؛ لأن الأخذ باليد يقوى الإحساس فى القلب، ويزيد روابط الدفء، فعن قتادة قال: **«قلت لأنس بن مالك – رضى الله عنه – أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله، قال: نعم»**[5].

---

(1) **الغرفة: هى الدرجة الرفيعة، وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها.**

(2) **تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ٨٣.**

(3) **سورة الفرقان الآية رقم (٧٥).**

(4) **رواه البخارى ومسلم وأبو داود، والتشميت للعاطس: بأن يقول العاطس: "الحمد لله" فى أعقاب العطس، فيقول له الآخر: يرحمك الله.**

(5) **رواه البخارى والترمذى.**

والسلام هو تحية أهل الجنة، إذ لم يرد ما هو أفضل من هذه التحية، التى يسعد بها المؤمنون أينما كانوا، ويسعد بها أنبياء الله ورسله، يوم الممات ويوم البعث، وفى كل موقع في الدنيا والآخرة، كذلك يكون السلام من المؤمن لغيره الذى يعرفه، أو الذى لا يعرفه، ولأهل الكتاب الذين يُستشعر فيهم المحبة والمودة، وكذلك على غير المؤمنين الذين يُلْقى عليهم السلام بما يناسب الحالة التى هم عليها، وبحيث تحقق التحية هدفها الإنسانى المنشود.

فعن عبدالله بن عمر، أن رجلاً سأل النبى ﷺ: **«أى الإسلام خير؟ قال: تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»**[1].

ويكون إلقاء السلام بداية لمرحلة جديدة بين كل متخاصِمَيْن، على أن تكون الأفضلية للذى يبدأ منهما بالسلام، ذلك ما ذكره رسول الله، فى حديث عن أبى أيوب – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان، فيصدُّ هذا ويصد هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»**[2]، تلك هى أخلاق الإسلام، التى يتحلى بها عباد الرحمن عند التقائهم بالآخرين، فيلقون عليهم التحية، أو يردون عليهم بأحسن منها.

٢ـ آداب التحية، والسلام على الآخرين:

تخضع العلاقة بين عباد الرحمن لبعض المعايير الشرعية، التى يجب التمسك بها، والحفاظ عليها فى شأن التحية؛ حتى تحقق أهدافها من نشر المودة والمحبة، وإزالة البغضاء والكراهية من النفوس، ومن ذلك: إلقاء الرجل التحية، إذا دخل بيته، وشاهد أهله وأبناءه، وقد ذكر الرسول ﷺ فى أحاديثه النبوية، بعض الحالات المرتبطة بمن يلقى السلام، وبمن يرد عليه، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: **«يسلِّمُ الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والقليل على الكثير»**[3].

---

[1] حديث للبخارى رقم (٦٢٣٦).

[2] حديث للبخارى رقم (٦٢٣٧).

[3] متفق عليه، وفى رواية للبخارى "<u>والصغير على الكبير</u>".

والهدف من هذا التشريع، ضبط ميزان العلاقة بين الناس، على اختلاف درجاتهم وأوضاعهم، وحركة الحياة لديهم.

ويكون السلام ابتداء، وقبل الشروع في أحاديثَ أخرى، وكأن أي علاقة بين الناس، ينبغي أن تكون مدعومة بالتحية والسلام، والطمأنينة، والهدوء، ذلك أن بعض المؤمنين ينصرفون عما يجب أن يتحلَوْا به من آداب إسلامية، عند التقائهم بالآخرين، فيغفلون عما يجب أن يبدءوا به، وهو السلام وإلقاء التحية وبسط الوجه، والرد الحسن، وهدوء النفس، وطمأنينة القلب،، ثم تأتي الأحوال الأخرى بعد ذلك سهلة هيِّنة؛ لإشاعة الروح الإيمانية عند اللقاء وعند الافتراق.

٣ـ بعض السلوكيات المرفوضة في تحية الآخرين:

يخضع السلام والتحية للآخرين لما أورده القرآن والسنة، وأن أية مخالفة لما ورد فيهما، يعتبر ابتداعاً في العادات والعبادات، وقد ورد عن الرسول ﷺ بعض التحذيرات لهذه البدع والمخالفات، وذلك في حديث أنس، قال: **«قال رجل يا رسول الله: الرجل منا يلقى أخاه، أو صديقه، أينحني له؟، قال: لا، قال: أفيلتزمه، ويقبله؟، قال: لا، قال: أفيأخذ بيده، ويصافحه؟،قال: نعم»**[1].

وقد انتشرت عادة التقبيل بين الرجال في سائر المناسبات الاجتماعية والدينية، بما تحمل من أخطار صحية، وإن كان التقبيل من الرجل لأبنائه وأحفاده، ومن المرأة لهم كذلك لا شئ فيه، ودعا الإسلام إليه، أما ما يحدث من خروجات على الثابت من السنة، فليس له قيمة أو اعتبار في الإسلام، بل هو مخالفة صريحة، يحاسب المرء عليها، أما تحية العصاة، والمبتدعين، فينبغي أن يكون الموقف منهم مختلفاً، إذ لا يصح أن يُلقى أحد التحية والسلام على من يرتكب منكراً، أو يمارس اعتداء أو ظلماً على جماعة المؤمنين، كما يجوز إلقاء التحية بطريقة مختلفة مع غير المسلمين؛ لأن الهدف هو نشر المحبة والمودة والطمأنينة بين سائر البشر.

---

[1] رواه الترمذي بسند حسن.

٧ـ حســـن اختيـــار الأصدقـــاء

تخضع العلاقات الإنسانية بين عباد الرحمن لمجموعة مــن المعــايير الثابتة، التى يُعتمد عليها فى اختيار الأصدقاء، وإذا كان التقارب مع الآخرين مبنياً على التقوى والصراحة قولاً وفعلاً، فإنه سيبقى خالداً، ومثمراً للفرد والجماعة.

١ـ أسـس اختيـار الأصدقـــاء:

أعطى الإسلام عناية خاصة للعلاقات، التى تنشأ بين النــاس، إذ علـــى أساسها تنمو المحبة، وتزداد الألفة، أو تنهار العلاقة، وتموت الصداقة، ويكثــر الشقاق والنزاع، وهذا ما حذرت منه الشريعة الإسلامية بتأكيد أهمية التقــوى، والصدق، والمحبة فى الصلات المستحدثة مع الآخرين، فالمؤمن فى مخالطتــه للناس، يفاجأ فى بعض الأحوال بما لم يكن يتوقعه، ولذا وجب عليه الصبر على ما يلقاه منهم، كما أن التوازن فى العلاقة بالأصدقاء، أمر مشروع عند النظــر إلى مخالطتهم، والإقبال عليهم، أو مقاطعتهم، والانصراف عنهم، وأن الأخـــلاق الإسلامية تجعل الإقبال على الآخرين مقدماً على الابتعاد عنهم، ما دام الأساس هو التقوى، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

وفى مقابل هذه الآية، تأتى آية أخرى مقررة للعلاقة بين الظالمين، وإن كانت (أى هذه العلاقة) قصيرة العمر، سريعة الانهيار، فكثيــر مــن الأهــواء والرغبات الإنسانية، تتجاهل الإيمان والتقوى، فى طريق الوصول إلى الهــدف، وتحقيق الغاية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

فكل جماعة من البشر تتقارب فى الصفات، تكون مؤهَّلة؛ لنشوء صداقة حميمة، أو علاقة مشبوهة، ولذا وجب على المسلم أن ينظر بعين اليقظــة إلـــى

---

[١] سورة الزخرف الآية رقم (٦٧).

[٢] سورة الجاثية الآية رقم (١٩).

الصديق، الذى يميل إليه ويختاره، فلا ينخدع بما تحت يديه من منصب أو جاه، وذرية وأموال، مفضِّلاً ومُقدِّماً، أن يكون الإيمان والتقوى مظلة واقية للعلاقة المستحدثة، التى يكونان بها خير الأصحاب بعضهم لبعض.

قال رسول الله ﷺ: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم إلى من يخالل»**[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«المؤمنُ الذى يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»**[2].

فالإسلام دين يدعو إلى التواصل مع الآخرين، وحسن التعامل معهم، وإرشادهم إلى فعل الخير، وتحذيرهم من المعاصى والمنكرات.

فالتقوى هى المعيار الأول لاختيار المسلم لصديقه، ثم يأتى الحب النقى، الذى يُجمِّع بين القلوب، ويوحد بين النفوس.

ولابد أن تكون الصداقة مبنية على الصدق فى القول والفعل، والشعور بالمحبة نحو الأصدقاء، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يُطْبَع المؤمن على الخلال كُلِّها، إلا الخيانةَ والكذب»**[3].

٢ـ متطلبات الصداقة أى (واجبات الصداقة وحقوقها):

ينبغى أن يُحاسِب المؤمن نفسه، ويراجع تصرفاته، ويزن أموره مع أصدقائه، واضعاً نفسه مكان الآخرين عند الحكم على أى سلوك أو تصرف يدور حوله التساؤل؛ وصولاً إلى الحقيقة والصواب؛ لأن ما يجب على الصديق نحو أصدقائه مقدم على حقوقه عليهم، وكل ذلك خاضع لاعتبارات واضحة فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أحمد.

فعلى المؤمن أن يصبر على صديقه، ولا يتعجل المنفعة منه، أو التجاوب السريع معه، بحيث يكون الكرم أو التفضل دستوراً للعلاقة بين الأخلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾[1]، وعلى المؤمن أن يُخضع علاقته بصديقه للتوازن السلوكى، متحاشياً كثرة الزيارة، أو الانقطاع عنها، وذلك ما أقره الرسول ﷺ.

كما أن من متطلبات الصداقة: التناصح بين الصديقين فى السر والعلن، وقبول الهدايا والإثابة عليها، والحفاظ على أسرار الصديق، والعفو والتسامح معه، وتأصيل المحبة بمعرفة أحوال الصديق، وأبعاد شخصيته، وتوجهاته، والتبسط المعتدل معه بالأكل من طعامه، والسعى إلى زيارته.

فعن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ قال: **«لا تصاحبْ إلا مؤمناً، ولا يأكلْ طعامك إلا تقى»**[2]، ويحسن من الصديق أن يسترضى صديقه فى غير معصية الله، وأن يقلل من عتابه له؛ لأن كثرة النقد للأصدقاء يجفف نهر العلاقة بين الصديقين، قال الشاعر[3]:

إذا كنتَ فى كل الأمورِ معاتباً ... صديقكَ، لم تلق الذى لا تعاتبُه

وإن أنت لم تشربْ مِراراً على القَذَى ... ظَمئتَ، وأىُّ الناس تصفو مشاربه؟

فعشْ واحداً أو صل أخاك فإنه ... مقارفُ ذنبٍ، مرة ومجانبه[4].

وقال بعض الأدباء: «لا تصحب من الناس إلا مَنْ يكتم سرك، ويستر عليك، فيكون معك فى النوائب، ويؤثرك بالرغائب، وينشر حسنتك، ويطوى سيئتك، فإن لم تجده، فلا تصحب إلا نفسك»[5]، وقد كان ذلك شأن عباد الرحمن، منذ بداية الدعوة الإسلامية، وإلى ما شاء الله.

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (٢٣٧).

[2] رواه أبو داود والترمذى.

[3] هو الشاعر العباسى بشار بن برد.

[4] أدب الدنيا والدين صـ ٢١٩.

[5] من وصايا الرسول – طه العفيفى – صـ ٨٧٧.

٣- نمـوذج للصداقـة من بـين عبـاد الرحمـن:

يعد أبو بكر (عبدالله بن أبى قحافة) أول نموذج مسلم للصداقة الحقـة، التى جمعته برسول الله، وبسائر الصحابة والتابعين، فكان (رضـى الله عنـه) مشهوراً بالصدق فى الجاهلية، ولُقِّب بالصديق؛ لأنه صدَّق رسول الله ﷺ، فيما جاء به عن ربه، وكان أول المسلمين من الرجال، وأسلم على يديه الكثيـرون، وهاجر مع الرسول إلى المدينة، وأعتق بعض الصحابة، الذين اعتنقوا الإسلام، ونزل فيه قول الله تعالى: **﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾**[1].

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: **«لـو كنـت متنخذاً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً، ولكنْ أخى وصاحبى»**[2]، وقد تأصل لقبه بالصديق بعد حادث الإسراء والمعراج، إذ جاء إليه جماعة مـن أهـل مكـة، يخبرونه بما قاله محمد، ثم سألوه: أأنت مصدقه بعد ذلك؟ قال أبو بكـر كلمتـه الخالدة: "إن كان قال ذلك فقد صدق! وأصدقه فى أبعد من ذلك".

إن اختيار الأصدقاء ليس أمراً هيناً؛ وإنمـا يخـضع لمجموعـة مـن الاعتبارات، تأتى التقوى فى مقدمتها، بحيث لا يغفل الصديقان عنهـا، ويجـب عليهما التمسك بحقوق الصداقة ومتطلباتها، وليكن فيما كان بين الرسول وأبـى بكر نموذجاً، وقدوة، يسير على نهجها سائر عباد الرحمن فى كل زمان ومكان.

---

(١) سورة التوبة الآية رقم (٤٠).

(٢) رواه البخارى.

٨ـ سلوك عباد الرحمن مع غير المسلمين

لقد التقت في المجتمع الإسلامي منذ بداية الدعوة المحمدية جنسيات مختلفة، واشتمل على أهل ديانات وعقائد متباينة، فمنهم من آمن، ومنهم من بقى على عقيدته، كواحد من أهل الكتب السماوية، ومنهم من عصى واستمر، على كفره وعناده، ولذا جاء معيار التعامل الإسلامي مع هؤلاء وهؤلاء، حسب مقتضيات الأحوال.

١ـ أهل الكتاب، وملامح التعامل معهم:

ترجع المخلوقات الإنسانية إلى أب واحد، هو آدم عليه السلام، فلا تمييز لأحد على آخر، من حيث الجنس، أو اللون، أو النوع، وأن التفضيل للإنسان فى الإسلام، يكون بالإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].

وأهل الكتاب: هم النصارى واليهود، وأى فريق آخر يؤمن بكتاب مُنَزَّل على واحد من رسل الله تعالى، هذه المكونات الإنسانية ضمها المجتمع الجديد فى المدينة بعد الهجرة، وكان التطبيق المنهجى للرسالة المحمدية، محكوماً بكلام الله سبحانه وتعالى، وبالسنة النبوية المتمثلة في أقوال الرسول، وأفعاله وصفاته وتقريراته، وما خرج عن هذه الرؤية العامة فى الإسلام، وسارت فيه جماعة أو أكثر، فإنهم لا يمثلون الدين، ولا يعبرون عنه بسلوكهم المعوجّ الضال، وأن الذى يوجه النظر إليه، ويكون محلاً للأخذ والاعتبار، هو سلوكيات الرسول وأصحابه وتابعيه، الذين يمثلون المشروع الإسلامى للحياة، ويمثلون أيضاً الكوكبة المضيئة، الذين يكونون موضعاً للنظر والاقتداء.

---

[١] سورة الحجرات الآية رقم (١٣).

لقد أعطى القرآن الكريم أهمية كبيرة لمنهاج العلاقة، الذى يحتكم إليه المؤمنون الصادقون من عباد الرحمن فى تعاملاتهم مع أهل الكتاب، وتأسس هذا المنهج على توحيد الكلمة، وجمع الرأى، والخطاب بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1].

هذه الكلمة السوية، التى تجعل ميزان العلاقة محكوماً بالمساواة، وعدم التمييز، وإذا ما تحول الأمر إلى حوار ونقاش، وجدال هادف، فينبغى أن يكون بالتى هى أحسن؛ إذ لا قيمة ولا تأثير للتجاوز، ورفع الأصوات، أملاً فى تحقيق انتصار لا قيمة له، فضلاً عن إساءته للطرف الثانى، وهم أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2].

ويتجلى حسن التعامل مع أهل الكتاب فى عدم الإساءة إليهم، واحترام عقائدهم، والتعاون الإيجابى فى كل ممارسات الحياة: كالبيع والشراء لهم ومنهم، ما دام كل ذلك خاضعاً للعدالة والإنصاف، قال رسول الله ﷺ: **«من آذى ذمياً، فأنا خصمه يوم القيامة»**[3].

كما يشمل حسن التعامل، مشاركتهم فى تناول أطعمتهم غير المحرمة، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[4].

ويدخل ضمن البر والتقوى معهم، جواز الإهداء إليهم، وقبول الهدايا منهم، ومراعاة مشاعرهم، والتلطف معهم، حتى لو بكلمة مهذبة: كتشميت العاطس، والمشاركة فى جنائزهم، وأفراحهم، ومناسباتهم التى يحتفلون بها.

وقد صح عن البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قام لجنازة يهودى، ولما سئل، قال: **«أليست نفساً؟»**.

---

[1] سورة آل عمران الآية رقم (٦٤).

[2] سورة العنكبوت الآية رقم (٤٦).

[3] رواه مسلم.

[4] سورة المائدة الآية رقم (٥).

٢ـ أهل الكتاب مختلفون في مستوى الإيمان، والعلاقة بالآخرين:

ذكر القرآن الكريم: أن أهل الكتاب مختلفـون فـي درجـات الأمانـة والتقوى، بل إن منهم من تجاوز مرحلة الإيمان إلى ممارسات خاطئـة، كـأن يكفروا بالله، ويخرجوا على متطلبات العقيدة، التى يدينون بها، ولذا يأتى معيار التعامل الإسلامى معهم فى ضوء الهوية، والتوجه الذى يعتنقه كل فريق مـنهم، هذا التقسيم الذى يتقدمه المؤمنون الصادقون منهم، وذلك ما ذكره القرآن الكريم فى قوله تعـالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾[1].

فهذا الفريق المؤمن منهم، الذى لم يقاتل المـسلمين، أو يـشارك فـى إخراجهم من وطنهم، يستحق أن يبادله عباد الرحمن حبـاً بحـب، وإخلاصـاً بإخلاص، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[2].

وتعالج هذه الآية، بعض الجوانب المهمة فى منظومة العلاقة بين المؤمنين من عباد الرحمن، وغير المؤمنين بالإسلام من أهل الكتاب، تلك المنظومة التى يخضع المؤمن فيها إلى ممارسة البر والعدل والإحسان، وحسن الجوار مع أهل الكتاب، وكان ذلك شأن المنهج الإسلامى، منذ بدأ القرآن يُتلـى فـى الأرض، وأعلنت حوادث الأيام عن الدين الجديد، الذى أخذت أنواره تُشِعّ وتـضئ فـى أرض مكة المكرمة، وكان هذا أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب.

ونأتى إلى فريق ثان، يتسم بنوع من الضلال والانحراف، بل والكفـر أيضاً، وذلك شأن بعض أتباع الديانات الأخرى، حتى لو كانت خارجـة علـى الشرع الإلهى الحكيم.

---

[1] سورة آل عمران الآية رقم (٧٥).

[2] سورة الممتحنة الآية رقم (٨).

وقد ذكر القرآن هذا الفريق الذى يسعى إلى إضلال الآخرين، وإن كان الأمر –فى حقيقته- يكشف أن الإضلال لا ينعكس أثره إلا عليهم، قال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1]

أو يصدون عن سبيل الله، وكان اقتحام الإيمان بالقلوب، يلحق بهم ضرراً، وهم بعيدون فى غمرة هذا السلوك عن سبيل الله، وأنوار الإيمان، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2].

أو يلحقون ضرراً، وتطاولاً، وأذى كبيراً إلى جماعة المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾[3].

وقد حدد القرآن الكريم معالم العلاقة بهؤلاء فى نص واضح مباشر، عن حتمية التعامل معهم، حسب مقدار حبهم، وعدم إيذائهم لجماعة المسلمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4].

ولكن ينبغى ممارسة الدعوة الهادئة، والحوار الهادف فى إثناء هؤلاء عن الغلو والتشدد، والتحريف لكلام الله، بخطاب دينى متجدد، يهدف إلى مقاومة أى تجاوز من هذا الفريق.

---

[1] سورة آل عمران الآية رقم (٦٩).

[2] سورة آل عمران الآية رقم (٩٩).

[3] سورة آل عمران الآية رقم (١٨٦).

[4] سورة الممتحنة الآية رقم (٩).

٣ـ نماذج سلوكية تُبرزُ معالم المنهج الإسلامي مع غير المسلمين:

لا يقتصر بيان غير المسلمين على أهل الكتاب؛ وإنما يشمل كل من كفر بالله، ولم يتبع نبياً أو رسولاً، ولا يدين بمنهج سماوى صحيح، وهؤلاء الذين يصنفون فى الفقه الإسلامى، على أنهم أهل شرك وضلال، ومع أنهم كذلك، فالمنهج الإسلامى الذى يتبعه ويسير عليه عباد الرحمن، يعطى أهل الإشراك حقوقهم فى حسن الجوار، وحسن التعامل، وتأمين الأنفس، والأموال، والإسراع لنجدتهم وتأمينهم والدفاع عنهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[١].

والمعنى أن الشخص القادم إلى المجتمع الإسلامى، أو الذى أقام فيه، لابد من تأمينه والحفاظ عليه، ما دام لم يمارس ألواناً من الطقوس المعادية للإسلام، والتى لا يرضى بها عباد الرحمن، وهنا يكون النزاع والشقاق.

وقد استعان الرسول ﷺ بعبد الله بن أريقط، فى إرشاده وتعريفه على مسالك الوصول إلى المدينة فى حادث الهجرة، وتحمل الرسول كثيراً من ألاعيب اليهود بالمدينة وما حولها، فلما اشتد خطرهم وتهديدهم للدين الإسلامى، ودار الهجرة، اضطرَّ إلى إخراجهم من ديارهم؛ تأميناً وصيانة للمجتمع الإسلامى الجديد.

---

[١] سورة التوبة الآية رقم (٦).

٩ـ قبول الهدايا الخالية من الشبهات

يتجه الأتقياء من عباد الله المتقين إلى قبول الهدايا، ما دامت بعيدة عن الشبهات، والمحرمات، وذلك بهدف التقريب بين النفوس، والتأليف بين القلوب، دون النظر إلى ما بين المُهدِى والمهدَى إليه، من اختلاف في العلاقات والمعتقدات، فالنظرة الإسلامية تأخذ فى اعتبارها، الارتقاء بالعلاقات الإنسانية إلى أعلى المستويات.

١ـ الهدية والأحوال التى تكون عليها:

إن الهدية هى أى شئ قليل أو كثير، صغير أو كبير، مادى أو معنوى، تُقَّدم للآخرين، بهدف زيادة المحبة، ونشر الألفة، والقضاء على أى حقد أو كراهية، يمكن أن تتسرب إلى من ينظر إلى ما فى أيدى الآخرين.

إن هذا التوصيف الأخلاقى نوع من الإيثار الراقى، والتوجه الحضارى، الذى أقرته الشريعة الإسلامية، سلوكاً، يُعَد علامة وملمحاً من خصائص عباد الرحمن، الذين لا تقتصر نظراتهم على الأهداف الخاصة؛ وإنما تنبعث توجهاتهم من النظرة العامة إلى الإنسانية، وسائر مشمولات الحياة.

قال رسول الله ﷺ : **«تصافحوا يذهب الغِلُّ، وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء»**[١].

فالهدف – كما هو واضح – فى الحديث المذكور، زيادة المحبة بين الناس، واقتلاع جذور البغضاء من القلوب، المهيأة لاستقبال المعصية، واستقرارها فى أعماق النفس البشرية، ومن الخير أيضاً ألا يردُّ المُهدَى إليه هدية تأتيه من الآخرين، بصرف النظر عن مقدراها وقيمتها، ما دامت خالية من الشبهة أو الحرمة.

---

(١) رواه مالك فى الموطأ عن عطاء الخُرسانى – وراجع تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ١٩٩.

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ، قال: **«لو دُعيت إلى ذراعٍ، أو كُراعٍ[1] لأجبتُ، ولو أهدِي إلى ذراع أو كراع لقبلت»**[2].

وقد تكون الهدية سهلة يسيرة، لا تكلف قليلاً أو كثيراً من المال، أو الوقت، أو الجهد، ولكنها تسمو بقيمتها، وتأثيرها فى المُهدَى إليه، وذلك إذا كانت نصيحة خالصة صادقة لوجه الله تعالى.

فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ، قال: **«ما أهدى المرءُ المسلم لأخيه هدية، أفضل من كلمة حكمةٍ، يزيده الله بها هُدى، أو يرده بها عن رَدَى»**[3].

٢ـ من أضواء الهدى النبوى فى قبول الهدايا:

كان الرسول ﷺ يقبل الهدية، ويأكل منها إذا كانت صالحة، لكنه لم يكن يقبل شيئاً من الصدقات؛ إذ أن دفعها كان موجهاً لخدمة العقيدة، ونشر الدين، ومعاونة المحتاجين من منظور ثابت فى الوحى القرآنى، وقد جاءت إليه ﷺ هدايا من بعض الملوك، والحكام، فقبلها، أو اختار منها ما يناسبه هو وأصحابه، ثم ردَّ ما لا يحتاجه منها.

فعن على – رضى الله عنه – قال: **«أهْدَى كِسْرى لرسول الله ﷺ، فقبل منه، وأهدى له قيصر فقبل، وأهدت له الملوك، فقبل منها»**[4].

وقد تمثلت هدية النجاشى له ﷺ فى الصداق، الذى دفعه إلى أم حبيبة بنت أبى سفيان؛ ليكون هدية للرسول ﷺ، الذى وكل عنه خالد بن سعيد فى العقد على أم المؤمنين حبيبة، التى كانت فى الحبشة مهاجرة؛ وذلك لتكون زوجة

---

(١) الكراع: ما دون الركبة من الساق.

(٢) الحديث من البخارى رقم (٥٢٦٨) – فتح البارى جـ ٥ صـ ٢٣٦.

(٣) رواه البيهقى وأبو نعيم من كتاب (أحاديث الصباح) للشيخين محمود شلتوت، ومحمد المدنى.

(٤) رواه أحمد والترمذى.

للرسول (عليه الصلاة والسلام)، الذى كان فى المدينة المنورة، فضلاً عن هدايا نساء وجوارى النجاشي إلى أم المؤمنين بمناسبة زواجها.

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: **«كان النبى ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»**[1] ومعنى يثيب عليها: أى يعطى المهدى شيئاً مساوياً لها؛ تعبيراً عن رد الجميل، وزيادة المحبة، وزرع بذور القدوة لأصحابه وتابعيه.

وذكرت كتب السيرة تفصيلات عدة عن هدايا المقوقس (حاكم الأقباط فى مصر) إلى الرسول ﷺ، فضلاً عما لازمها من رسالة رقيقة مهذبة، وصلت إلى الرسول ﷺ مع مبعوثه العائد إليه من مصر.

ومن الواضح فى سائر حياة المؤمنين، والمؤمنات الزاهدات فى مسيرة الدعوة، أن اختلاف العقدية بين الناس، لم يكن له دخل فى قبول الهدية أو رفضها؛ لأن الباعث على الهدية فى الأساس هو المحبة، والمودة، بل إنها تكون فى بعض الأحوال، أوجب مع أهل الأديان الأخرى؛ لأن ذلك يعطى صورة إيجابية مثمرة عن سماحة التشريع الإسلامى.

وجاء فى تفسير القرطبى: **«أن أكثر أهل التأويل احتجوا بأن أسماء بنت أبى بكر سألت النبى ﷺ: هل تصلُ أمها حين قَدِمَتْ عليها مشركة، قال: نعم»**[2].

قال تعالى: **«لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ»**[3].

---

(1) رواه ابن ماجة.

(2) خرجه البخارى ومسلم (تفسير القرطبى جـ ١٨ صـ ٥٩).

(3) سورة الممتحنة الآية ٨.

١٠- رفض الهدايا المقترنة بالشبهات*

إن الأصل فى الهدية هو الاستحسان والقبول، ولكن بعض السلوكيات المقترنة بها، تبعث على الشك فى الدوافع إليها، وربما يصل الأمر إلى اختلاطها بالمحرمات، مما يجعل الرفض لها، خلقاً إسلامياً حميداً.

١- أحوال الهدية بين سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ:

لقد تحدثت سورة النمل عن مرحلة من زمن النبوة لسيدنا سليمان (عليه السلام)، وأفادت أن بلقيس ملكة سبأ باليمن قد جاءتها رسالة من سليمان (عليه السلام) يدعوها إلى عبادة الله، وتوحيده، حيث كانت على غير الإيمان والإسلام.

وذكر القرآن ذلك على لسان الهدهد، قال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١]، وقال: ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[٢].

فاجتمعت بقومها على الفور، واستشارتهم فى سائر الأمر، وأخذت التفويض منهم بالتصرف فى النزاع، وشرحت أحوال الملوك فى عصرها، ورأت ان ترسل هدية؛ لتكون تهدئة لنفس سليمان وقومه، وانتظاراً لما سيسفر عنه هذا التوجه فى استمالته وتهدئته، وكانت تجهل حقيقة أمره، واستقرت على أن قبوله للهدية إعلان عن حاله، فإذا قبلها فهو ملك طامع، وإن رفضها فهو نبى قانع، قال تعالى على لسانها: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[٣].

وذكر المفسرون[٤]: أن الهدية لم تكن شيئاً بسيطاً، وإنما اشتملت على مئات الغلمان، والجوارى، والأموال، وكميات من التحف الذهبية والفضية،

---

* نشر فى جريدة صوت الأزهر بالعددين (٥١٣ ، ٥١٤) فى ٢٤ يوليو ٢٠٠٩م وفى ٣١ يوليو ٢٠٠٩م.

[١] سورة النمل الآية رقم (٢٤).

[٢] سورة النمل الآية رقم (٤٣).

[٣] سورة النمل الآية رقم (٣٥).

[٤] منهم الزمخشرى فى الكشاف جـ٣ صـ ١٤٧.

وأشياء أخرى كثيرة، وجعلت الملكة رجلين من أشراف قومها، على رأس الموكب المحمل بالهدية، وأكثر الناس الكلام في بيان مشتملاتها، وطريق سيرها، وكيفية الوصول بها إلى سليمان.

وكان سلوك بلقيس، تعبيراً عما تُحْدثه الهدايا في تليين القلوب، وإعلان الود، ومنع القتال الذى صار وشيكاً، وأصبَحت سبأ مملكة مهددة بالغزو والاحتلال، حسب اعتقاد الملكة، التى غَلَّبت العقل على العاطفة، ولما وصلت رسلها بهديتها الضخمة إلى سليمان (عليه السلام) أنكر عليهم اتجاههم نحو إغرائه بالمال.. أو تحويله عن دعوتهم للإسلام، وقد رفض الهدية، وردها، وأعلن إصراره ووعيده، وحتمية الدعوة إلى الإيمان، قال تعالى على لسانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[1].

فهو ليس فى حاجة إلى المال القادم إليه مع رسل بلقيس، رافضاً هذا السلوك، ومعللاً ذلك بقوله لهم: إن ما آتاه الله من المال والقربات، والدرجات خير مما آتاهم[2]، وجاء فى تفسير البيضاوى، قوله على لسان سليمان فى هذا الموقف: « فلا حاجة لى إلى هديتكم، ولا وقع لها عندى ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾؛ لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فتفرحون بما يُهدى إليكم؛ حباً لزيادة أموالكم؛ أو بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم»[3].

وانتهت إلى هنا محاولة بلقيس، مع نبى الله سليمان بن داود فى شأن الهدية ونتائجها، وانتقلت إلى أسلوب آخر نحو تهدئة الأمور، فقررت الذهاب بنفسها للتفاوض، إلى أن تمخضت الأحداث عن إيمانها بالله، ودخولها فى الإسلام، قال تعالى على لسانها: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[4].

---

[1] سورة النمل الآية رقم (٣٦).

[2] انظر: غرائب القرآن جـ ٨ صـ ٤٨٤.

[3] تفسير البيضاوى جـ ٤ صـ ١٩٤.

[4] سورة النمل الآية رقم (٤٤).

وقد قيل: إن سليمان تزوجها، وقيل أيضاً: إنها عادت إلى اليمن؛ لتنشر الإسلام بين قومها، الذين تربوا على الشرك، والسجود لغير الله، وذكر القرطبي هذا الأمر، فقال: «وليس هذا من الباب الذى تقرر فى الشريعة عن قبول الهدية بسبيل؛ وإنما هى رِشْوة، وبيع الحق بالباطل، وهى الرشوة التى لا تحل... وأما الهدية المطلقة للتحبب، والتواصل، فإنها جائزة من كل أحد، وعلى كل حال»[١]

٢ـ نموذج آخر لرفض الهدية:

إن الهدية ليست مقبولة على الإطلاق، إذ أنها ترفض، ولا تقبل، إذا كان الهدف أو الباعث عليها، هو حصول المُهدى على ما ليس حقاً خالصاً له، وبذلك تصير رشوة محرمة، أو أن تقدم إلى مسئول صغير أو كبير؛ بسبب وضعه الوظيفى، الذى يجعله يتحكم فى طلبات الآخرين ومستحقاتهم، فعندئذ تكون الهدية لا للشخص؛ وإنما لوظيفته التى لا ينبغى أن يحصل بسببها على شئ غير مقرر له.

أخبر أبو حميد الساعدى، قال: استعمل النبى ﷺ رجلاً من بنى أسد، يقال له: «ابن الأتبية»[٢] على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلىّ، فقام الرسول ﷺ على المنبر ... فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال العامل أبعثه فيأتى فيقول: هذا لك وهذا لى، فهلاً جلس فى بيت أبيه وأمه، فينظر أيُهدى له أم لا؟، والذى نفسى بيده لا يأتى بشئ، إلا جاء به يوم القيامة، يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعرٌ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه – ألا هل بلغت؟ ثلاثاً»[٣].

---

[١] تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ١٩٨.

[٢] ورد فى بعض أبواب البخارى، والقصة منسوبة إلى من اسمه "ابن اللتبية".

[٣] من البخارى (٧١٧٤) (فتح البارى) – جـ ١٣ صـ ١٧٥، والرُغاء: صوت البعير، والخُوار: صوت العجل، وغيره من الحيوانات، واليَعَار: صوت المعز.

وقد قال الرسول ﷺ: **«هدايا العمال غلول»**[1] أما ما عدا ذلك، فالهدية مقبولة، ولا شئ فيها.

إن الهدية عمل إيجابى، وتشريع إسلامى، لا ينبغى صرفه عن أهدافه، التى شُرع لها، فإذا تلوث هذا السلوك بالمحرمات، فهو منكر ينبغى مقاومته، والنهى عنه، وتحذير الناس من نتائجه الوخيمة، وقانا الله منها - إنه على كل شئ قدير، وهى الهادى إلى صراطه المستقيم.

---

(1) أخرجه أحمد وأبو عوانة.

١١ـ من آداب الزيارة والاستئذان

تهدف الأخلاق الإسلامية إلى صيانة الإنسان، وحمايته من الغيّ والضلال، وتقدم حياةُ الصحابة والتابعين، وسائرُ عباد الرحمن دلائلَ قوية، ونماذجَ عملية على التحول بالأقوال النظرية إلى دائرة الأفعال الإيجابية، والسلوكيات الحضارية فى الاستئذان؛ لزيارة الآخرين.

١ـ الاستئذان لدخول البيوت من كل الأشخاص، وفي سائر الأحوال:

لقد كان الحظر على دخول البيوت بلا استئذان، نابعاً من حتمية مراعاة الأخلاق الإسلامية، وغض البصر عن التسلط، والتعقب لأسرار الآخرين، فإذا كانت المنازل غير مسكونة، بمعنى لا يوجد أحد بها، وكانت من الأماكن التى تختلف عن البيوت، وتُسَخّر لمنافع عامة غير السكنى، مثل بيوت الضيافة، والفنادق، والأماكن الحكومية، التى يلج إليها كافة البشر، فهذه لا يشترط الاستئذان لها، وليس معنى ذلك أن تهدر المبادئ، ويتحقق الطغيان على خواص الآخرين، كأن تكون هذه الأماكن فى حاجة إلى صيانة أمنية، تقتضى مراعاة القواعد المنظمة للدخول، وقضاء المصالح، سواء أكان ذلك فى الأندية الرياضية والثقافية، وما شابهها، أم فى غيرها التى لا تختص بفرد أو مجموعة من الأفراد، لهم خصوصيات محددة.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[١].

وتحديد معنى قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، كما قال بعض العلماء: «المراد البيوت العامرة التى تقصد لمنافع عامة، غير السكنى: كالحمامات، والحوانيت، والبيوت التى لا تُخَص بسكنى أحد: كالرباطات، والفنادق، والخانات، فهذه وأمثالها، لا حرج من دخولها بغير إذن»[٢].

---

[١] سورة النور الآية رقم (٢٩)، ومتاع لكم: أى منفعة.

[٢] تفسير آيات الأحكام لمحمد على الصابونى جـ ٢ صـ ١٢٨.

وليس المعنى فى هذا الأدب الرفيع، أن يقتصر المسلم على التعامل به، مع إخوانه من المسلمين، ولكنه سلوك إيمانى، وتوجه حضارى يتحتم الأخذ به، والحرص عليه مع غير المسلمين؛ إذ لا يصح دخولُ بيوت أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى إلا بعد الاستئذان بطرق الأبواب، أو بأية وسيلة أخرى تتناسب مع الموقف، أو الحالة؛ وذلك للزيارة وقضاء المصالح.

ويستأذن المؤمن على أمه وأبيه، والزوج على زوجته، والزوجة على زوجها، والأولاد على آبائهم، والآباء على كبار الأبناء، والمرأة على المرأة، كما يكون الاستئذان للدخول على غير المبصرين؛ حماية لحقوقهم فى ستر الأبدان، وصيانة العورات.

وعن زيد بن أسلم، أن رجلاً سأل النبى ﷺ: **«أأستأذن على أمى؟ قال: نعم، قال: أتحب أن تراها عريانة؟»**[1].

أى أن الإذن واجب عند الدخول على سائر المحارم، ولا يتطلب الاستئذان فى حالات الضرورة القصوى، وذلك مثل: التعرض للحريق، أو اللصوص، أو أية أخطار أخرى، تتطلب السرعة فى المعونة والإنقاذ؛ خاصة النساء والأطفال، والمرضى، الذين يعجزون فى الدفاع عن أنفسهم، فتكون الاستغاثة للنجدة والمساعدة.

<u>٢ـ حكم الخدم والجوارى والأطفال فى الاستئذان للدخول على الآخرين:</u>

إن من دواعى الاستئذان فى الدخول على الآخرين، هو حفظ أستار الناس، وصون عوراتهم، وعدم إيذائهم بالدخول عليهم فجأة، وبلا إذن وتنبيه، لكن ذلك ليس شاملاً لكل الناس وفى كل الأوقات، إذ يباح للفتيات الصغيرات، ومن فى حكمهن بحسب طبيعة السن، مثل جوارى الزمن القديم، والأطفال الذين يوظف بعضهم فى خدمة الكبار من الرجال والنساء، لكن ذلك ليس شاملاً على

---

[1] ورد فى مصنف ابن أبى شيبة، واللفظ له، وورد فى الموطأ بألفاظ أخرى.

الإطلاق، إذ يُمْنع هؤلاء من الدخول على الآخرين فى ثلاثة أوقات، حددها القرآن الكريم فى سورة النور، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ[1] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾[2].

تلك هى العورات الثلاث، التى يحظر على الأطفال ومن فى حكمهم اقتحامُها، والدخولُ خلالها إلى البيوت العامرة بالساكنين.

وهذه الآية من كتاب الله تعالى، كانت تعبيراً عما يتمناه عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وينشده، ونزلت استجابة وموافقة لما فى عمقه الإيمانى الصادق.

وقد جاء فى تفسير القرطبى: «يروى أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار، يقال له مُدْلَج إلى عمر بن الخطاب ظهيرةً ليدعوه، فوجده نائماً، قد أغلق عليه الباب، فدقّ عليه الغلام الباب، فناداه ودخل، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شيئ، فقال عمر: وَدِدْتُ أن الله نهى أبناءنا، ونساءنا، وخدمنا، عن الدخول علينا فى هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ، فوجد هذه الآية قد أُنزِلت، فخرّ ساجداً شكراً لله»[3].

فهذا التوافق بين ما فى قلب عمر، وما نزل على الرسول من الوحى الإلهى، يؤكد أن المسلمين الأوائل كانوا فى حالة من الشفافية والاستشراف، تجعلهم فى ظل مقولة صافية صادقة وهى: **«إن لله عباداً إذا أرادوا أراد»**.

---

[1] أى الأطفال، ولكنهم إذا وصلوا إلى مرحلة البلوغ وجب عليهم طلب الإذن، لغيرهم قال تعالى: «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ»، سورة النور الآية رقم (٥٩).

[2] سورة النور الآية رقم (٥٨).

[3] تفسير القرطبى جـ ١٢ صـ ٣٠٤.

وقد كانت الآية المذكورة واحدة من الآيات التى تحدث عنها عبدالله بن عباس قال: «ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهـــن»: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ﴾[١].

والآية التى نزلت فى ســورة النســاء: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[٢].

والآية التى فى سورة الحجــرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣].

ذلك هو خلق الاستئذان عند دخول البيوت الآهلة بالسكان، وهــو أدب يتحتم أن يلتزم به المؤمنون، ويتوسعوا فيه من مجرد الاستئذان للزيـــارة إلـــى أبعاد أخرى، تشمل سائر الحياة.

---

[١] سورة النور الآية رقم (٥٨).

[٢] سورة النساء الآية رقم (٨).

[٣] سورة الحجرات الآية رقم (١٣).

١٢ـ العناية بأبناء الطريق

أعطى الإسلام الطفل عناية متميزة، تتناول سائر أحواله، منذ أن كان جنيناً فى رحم الغيب، إلى أن صار شاباً يافعاً، يتحمل مسئولية نفسه، وفى ظلال ذلك، تتعرض حياة بعض الصبية لمؤثرات متعددة، تنحرف بها عن نظام الأسرة فى الإسلام، متخذة من الطريق مقراً ومستودعاً للانحراف، وهنا يكون التدخل الإيجابى لعباد الرحمن.

١ـ من هم أبناء الطريق؟

إن أبناء الطريق، أو أبناء الشوراع فى عصرنا الحاضر، يشكلون قضية اجتماعية خطيرة، ربما تخمد نيرانها لبعض الوقت، لكنها لا تلبث أن تنفجر، وتتفاقم، فتأتى بالوبال، وسوء العاقبة على كثير من الناس، الذين لا يملكون إلا الحسرة، أو الدمعة التى يذرفونها على القيم والمبادئ والأخلاق.

وقد أطلق القرآن على إحدى شرائح أبناء الطريق مصطلح "ابن **السبيل**"، وهو المسافر الذى انقطع عن أهله وماله، وصار فى حاجة إلى معونة عباد الرحمن، باعتبار أنه أحد المستحقين للزكاة، حسب آية التوبة، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

وينضم إلى هؤلاء: اليتيم الذى مات أبوه، وربما ماتت أمه، والطفل الذى انتهت العلاقة الزوجية بين أبويه، وابتدأ كل واحد منهما مشروعاً جديداً للحياة.

ويضاف لهذه التركيبة الاجتماعية: الصغير الذى نشأ فى بيئة سيئة مع وجود أبيه وأمه، أو أحدهما، فيجد فى الشارع ما يفعله بلا حارس ولا رقيب، وإن من أخطر أبناء الطريق، الأطفال غير الشرعيين، الذين اتخذوا من الشوارع

---

[١] سورة التوبة الآية رقم (٦٠).

المظلمة، ومن الخرابات المهجورة سكناً، ينطلقون منه إلى اقتراف كل ما يحلو لهم، تحت غواية رفقاء السوء، حيث تنتشر السرقة، والغصب، والاغتصاب، والمخدرات، وبعض الفواحش المنكرة، ويعيشون فى عالم مختلف، يكون البقاء فيه للأقوى، ويكبر الأطفال، وينمو الإجرام، مما يستدعى اليقظة المؤمنة؛ لمقاومة المنكر، بالسعى إلى إصلاح ما أفسده المنحرفون، صغاراً وكباراً.

٢ـ عناية الإسلام بالطفل:

لقد اعتنى الإسلام عناية فائقة بالأسرة، وهى الأب والأم والأبناء، وتمثل ذلك: فى حتمية التوافق والتكافؤ بين الأبوين فى بداية الزواج، وضرورة الحرص على تنشئة الطفل، وفق النظرية الإسلامية، منذ بداية الحمل، والوضع، والإرضاع، والحضانة، والنفقة، وحسن الاختيار للأسماء، والعطف على الصغير من كل المحيطين به، خاصة والده، تلك الوصايا التى ذكرها القرآن فى حق ابن السبيل، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[١].

وأعطى الإسلام أهمية واضحة لحسن القدوة، التى تُستقى أساساً من الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[٢].

ويجب الحرص فى التعامل مع أبناء الطريق على نسبة الصغير إلى أبويه؛ حتى لا تختلط الأنساب، وتضيع الحقوق، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[٣].

---

[١] سورة النساء الآية رقم (٣٦).

[٢] سورة الأحزاب الآية رقم (٢١).

[٣] سورة الأحزاب الآية رقم (٨).

ولا ينبغي على الموسرين من عباد الرحمن، أن يغفلوا عن رعاية ابناء السبيل، إذ يجبُ عليهم أن يوجهوا جزءاً من أموالهم؛ لرعاية هذه الشريحة الاجتماعية بهدف صيانتها، ووقايتها من كل مظاهر الانحراف والتشرد والإفساد فى الأرض، وأن يساعدوا فى تجفيف المنابع، التى تسهم فى زيادة أعداد الضالين والعابثين من أبناء الطريق، بما يمثلونه من خطورة اجتماعية، تتعارض مع سماحة الإسلام، ولعل أحق من تجب له الرعاية من هذه الفئة، هو اليتيم، الذى أوصى القرآن الكريم به سيدنا محمداً ﷺ، فقال عزوجل: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[1].

وأوجب الإسلام المحافظة على مال اليتيم، إلى أن يبلغ سنَّ الرشد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[2].

٣ـ مواقف سلوكية من الرسول وأصحابه فى حق الطفل:

إن المشروع الإسلامى للحياة ليس قابلاً للتجزئة، ولا للعمل ببعضه، وطرح ما عداه، إذ يجب أن يحيا الأطفال، ويمارسوا أنشطتهم بحرية، وبلا قسوة عليهم، أو حرمان لهم من الترويح عن النفس، وممارسة الرياضة البدنية، والاستمتاع بمباهج الحياة.

ويأتى ذلك ابتداءً من الأم؛ فهى منبع الحنان والعطف والمحبة، التى تُغذِّى بها الطفل فى سنواته الأولى، فإذا ما تخلت عن هذه الرسالة، وانصرفت إلى متطلباتها الخاصة، متجاهلة حقوق الصغير، فإن الطريق أمامه سيصير ممهداً للسير فيه؛ حتى يصل إلى تجمعات أبناء الطريق.

---

[1] سورة الضحى الآية رقم (٩).

[2] سورة الأنعام الآية رقم (١٥٢).

وقد أكد الرسول ﷺ حق الأم في حضانة الطفل، وليس لأحد أن يسلب منها هذا الحق، ما دامت مؤهلة له، وحريصة عليه، فقد روى أن امرأة جاءت للنبى ﷺ، وقالت: يا رسول الله، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وإن أباه طلقنى، وأراد أن ينتزعه منى، فقال لها الرسول ﷺ: **«أنت أحقُّ به مالم تتزوجى»**[1].

وليس بالضرورة أن من يتجمع بالشارع من الأطفال يكونون سيئين، إذ يلتقى الصبية لمدة زمنية، يُروِّحون فيها عن أنفسهم بالكلام البرئ، والتصرفات البسيطة، ولا خطورة فى ذلك، وقد مر الرسول ﷺ على جماعة من الأطفال، يتسابقون فى الرمى بالسهام، ففرح بهم، وقال لهم: **«ارمُوا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا، وأنا مع بنى فلان، فأمسك الصبيان عن الرمى، فقال لهم: ما لكم قد توقفتم، فقالوا: يا رسول الله، كيف نرمى وأنت مع فَريق منا دون فريق؟ فقال لهم: ارموا وأنا معكم كلكم»**[2].

إن القوانين والمواثيق الدولية الخاصة بالطفل فى البيت أو فى الشارع، لا قيمة لها إذا لم يتم تفعيلها بشكل جيد، ومن وسائل نجاحها، أن يشارك فيها عباد الرحمن أينما كانوا، بما لديهم من عطاءات متعددة، يمكن أن يوجهوا جزءاً منها؛ لرعاية من يُسمَّوْن بأبناء الطريق، الذين يعيشون بعيداً عن البيت فى حيواتهم الخاصة، حيث يزرعون فيها الشر، الذى يكتوى به الوالدان، وسائر الشرائح الاجتماعية، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

[1] رواه أحمد بن حنبل.

[2] رواه البخارى.

١٣- تقديــر أهــل الخــبرة والاختصــاص

ارتبطت حياة الرسول ﷺ، وأصحابه، منذ بداية الدعوة الإسلامية، بعدد من المهن، والحرف المطلوبة للمجتمع آنذاك، وأوجب الإسلام ضرورة اللجـوء إلى أهل الخبرة والاختصاص - دون غيرهم - بهدف الوصول إلـى الحقيقـة، وبحيث لا يفصل أحد فى أمر، من غير أن يكون على دراية به، حتى لا تختلط الأمور على سائر الناس.

وللكثيرين من المؤمنين توجهات خالدة فى تقدير أهل الذكر والمعرفـة، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[١]، **والخبير**: اسم من أسماء الله تعالى، وقد ورد فى القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة، والمراد منه فى هذه الآية: العارف من البشر، صاحب الخبرة التى يسأل بها عن الله وأسمائه وصفاته، فيجيب بما لديه من علوم ومعارف.

١- حديث القرآن والسنة عن أهل الخبرة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢]، والخطاب لرسول الله[٣] حيـث يأتيه الخبر من الله (سبحانه وتعالى)، إذ أنه الخبير بالحقيقة، دون سائر الخبراء من البشر.

وتقتضى الخبرة والتخصص، أن يسعى الناس إلى أصـحابها بالسـؤال للمعرفة، وطلب الإجابة؛ حتى إن عدداً كبيراً من الآيات القرآنيـة بـدأ بقولـه سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾[٤].

وكان الناس يسألون رسول الله فى أمور دينهم ودنياهم، ويستفتُون أهل العلم - رضى الله عنهم - فى عهد النبى وبعده، عما يحتاجون إلـى معرفتـه، وبيان الحكم فيه.

---

(١) سورة الفرقان الآية رقم (٥٩).

(٢) سورة فاطر الآية رقم (١٤).

(٣) أو أى سامع.

(٤) مثل ما جاء فى سورة البقرة ١٨٩ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، وسورة المائدة ٤ ، وغيرهما.

قال عزَّ من قائل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والمعنى فى الآية: اسألوا المؤمنين من أهل الكتاب، أو علماء الأخبار؛ لتعرفوا منهم الحقيقة، أو الأمر المشتبه فيه، وإن كان مصطلح أهل الذكر - يتجاوز فى عموم - إطلاقه ما سبق بيانه؛ ليصل بأبعاده إلى كل عارف، وعالم، ومتذكر لما يجهله غيره، فيكون الاحتياج إليه بالسؤال لطلب العلم، ودفع الاشتباه.

وإذا كان العلم مطلباً إنسانياً لكل مؤمن، فإن التخصص الدقيق يحتم الرجوع إلى العارفين بالأمر المراد معرفته، وبيان أحكامه، وأسراره.

٢ـ الاستعانة بأهل الخبرة:

ولقد استعان الرسول ﷺ بأهل الخبرة والمعرفة فى سائر أحواله، مقدماً القدوة للمسلمين، فى وجوب الرجوع للعارفين والمتخصصين[2]، وتجلى ذلك فى اختياره لزيد بن ثابت، الذى كان مترجماً للرسول، ومختصاً بالكتابة له ﷺ، ولما توفى زيد، قال أبو هريرة: «اليوم مات حَبْرُ هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل فى ابن عباس منه خَلَفاً»[3]، كما كَتَب القرآن فى عهد أبى بكر، وعثمان (رضى الله عنهما)، وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنه يأتينى "كتب" من الناس، ولا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيعُ أن تتعلم كتاب السريانية؟، قلت: نعم، فتعلمتها فى سبع عشرة»**[4].

والقضاة المقدمون عند رسول الله ﷺ ثلاثة هم: عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، ومعاذ بن جبل (رضى الله عنهم).

---

[1] سورة النحل الآية رقم (٤٣)، وسورة الأنبياء الآية رقم (٧).

[2] يراجع كتاب الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ ، من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية – لأبى الحسن القزاعى التلمسانى.

[3] أسد الغابة جـ ٢ صـ ٢٧٩.

[4] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير وراجع الطبقات لابن سعد جـ ٢ صـ ٥٠٠.

وكان الرسول رائداً فى مجال الطب، الذى قدم الكثير منه للناس تحت مسمى "**الطب النبوى**"، وأقر بعظيم الخبرة لطبيب العرب المشهور (**الحارث بن كَلَدَة**)، إلى غير ذلك من المجالات المختلفة.

وتجلى توقيره لسائر أهل الخبرة والاختصاص، فقال ﷺ: «**انزلوا الناس منازلهم**»[1]، وبحيث لا يترك الناس العلماء والعارفين فى سائر المجالات، إلى من لا يملكون غير الإعلان عن معرفتهم المدعاة.

لقد أذن الله تعالى للرسول بالهجرة، واختيار الرفيق، الذى كان أبا بكر – رضى الله عنه – وأعدّا العدة لكل متطلبات السفر، بما فيها من الزاد والراحلتين؛ ووقع الاختيار على عبدالله بن أريقط؛ ليكون دليلاً فى الصحراء للرسول ﷺ، وأبى بكر فى مسيرة الهجرة، ذلك الرجل الذى كان آنذاك على دين قومه[2].

ولم يكشف الرسول بفطنته كل أسرار الهجرة؛ وإنما كان التكليف مرتهناً بكل موقف يتطلبه الرحيل، فقد حدد لابن أريقط – مثلاً – مكاناً يثبت فيه بالراحلتين حتى يلتقيا به، ولم يكن المكان يبعد كثيراً عن جبل ثور، لكن ثقة الرسول بابن أريقط لم تهتز، ما دام الرجل عارفاً بطرق الصحراء وأسرارها، وله العديد من التجارب الموفقة فى هذا الشأن.

أما فيما يتصل بالأذان للصلاة، فكان الرسول وأصحابه يبحثون عن وسيلة ينادون الناس بها، وبينما هم مشغولون بالأمر، أتى عبدالله بن زيد بن ثعلبة، رسول الله ﷺ، فقال له: «يا رسول الله إنى طاف بى هذه الليلة طائف: مر بى رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً فى يده، فقلت له: يا عبدالله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال:

---

[1] رواه أبو داود.

[2] راجع: الإصابة جـ ٤ صـ ٣٥.

أفلا أدلك على خيرٍ من ذلك؟. قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر .... إلى آخر الأذان المعروف، فلما أخبر بها رسول الله ﷺ، قال: **«إنها لرؤيا حق إن شاء الله»** وعند تفعيل هذه الرؤيا، وتنفيذها فى الواقع، لم يكلف الرسول ﷺ عبدالله بن زيد بالأذان؛ وإنما اختار مؤذناً خبيراً، هو "**بلال بن رباح**" الذى كان أندى صوتاً، وأصلح من ينهض بهذه التبعة.

ويروى أن عمر بن الخطاب جاء إلى الرسول، وأخبره بأنه رأى مثل تلك الرؤيا، فقال الرسول ﷺ **«فلله الحمد على ذلك»**[1]، وكان ابن أم مكتوم مؤذناً ثانياً للرسول ﷺ.

وهكذا، تتجلى عناية الإسلام منهجاً وتطبيقاً فى الاعتراف بأهل الخبرة والموهبة، وحسن تقديرهم وتقديمهم على غيرهم في التخصص الذى تميزوا به عمن سواهم، والله ولى التوفيق.

---

[1] انظر: السيرة النبوية لابن هشام – جـ ٢ صـ ٣٢٣.

١٤ـ توقيـــر كبـــار الســـن

تخضع مسيرة الإنسان فى الحياة إلى عدة مراحل زمنية، كل واحدة منها ذات متطلبات خاصة، وفى مرحلة الضعف والشيخوخة، يزداد احتياج الكبير فى السن إلى الآخرين، الذين يجب عليهم توقيره وتقديره، وتفعيل ذلك بالسلوكيات الإيجابية، التى حضّ الإسلام عليها، وذلك شأن عباد الرحمن، منذ أن بدأت الدعوة المحمدية الخالدة فى الذيوع والانتشار.

١ـ أحـوال كبـار السـن، واحتياجاتهـم:

إن مسيرة الحياة تؤذن بانتقال الإنسان من طور إلى آخر؛ حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة وقد ذكر القرآن الكريم هذه المراحل المتدرجة فى العمر الإنسانى، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[(١)].

والمعول عليه فى بيان المقياس الحقيقى لكبر السن هو استعداد الشخص، وقدرته الصحية على أداء واجباته فى الحياة، التى لا يصح تهميش دوره فيهما، إذ يجب على سائر أفراد المجتمع الإسلامى معاملة كبار السن، وفق الأخلاق الإسلامية الرائدة.

ومن مظاهر كبر السن – غالباً – تحول شَعْر الإنسان إلى البياض، وهى مرحلة الشيبة، التى تضعف فيها صحة الكثيرين، خاصة من انتقلوا إلى ما يسمى مرحلة الشيخوخة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[(٢)].

---

(١) سورة غافر الآية رقم (٦٧).

(٢) سورة الروم الآية رقم (٥٤).

وأطلق القرآن الكريم على مرحلة كبر السن، والزيادة فى العمر، بالتنكيس فى الخلق، أى بين الناس على الأرض، قال تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[١].

كما عبر عمن وصل إلى مرحلة الضعف المرتبط بكبر السن بأنه فى أرذل العمر، قال عزوجل: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٢].

ومعنى ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أى أردأ العمر، الذى يصير فيه عقل الإنسان كعقل الطفل غالباً، من حيث احتياجه للآخرين، وضعف القوة الجسمانية، والرغبة فى الحديث عن الماضى، والتأثر السريع بالأفراح والأحزان، وغير ذلك من الصفات الإنسانية المتعلقة بهذه المرحلة، حيث يتعذر على المرء اعتماده على نفسه، فينتظر العون من الآخرين، خاصة الأقارب، الذين ربما يكون لديهم من القيم والمبادئ الإسلامية، ما يحفزهم على أداء الواجب المنوط بهم، تجاه ذويهم من كبار السن، أو يتقاعسون عن ذلك، فيكون التأثير سيئاً على الكبير فى السن، الذى يرى أنه فى حاجة أكبر إلى التقدير، نظير ما قدم فى سنوات عمره من واجبات ومهام.

ويصل الإنسان إلى مرحلة العقل والحكمة فى سن الأربعين، التى بُعث فيها رسول الله ﷺ، وإذا ما وصل إلى الستين فينبغى عليه مراجعة تصرفاته، وتقييم علاقاته مع الآخرين، ثم يزداد العمر، وتشتد الحاجة إلى العطف والحنان، إذ أن كل معونة مادية أو معنوية، تنقل كبير السن من أمواج اليأس إلى شواطئ

---

[١] سورة يس الآية رقم (٦٨).

[٢] سورة النحل الآية رقم (٧٠).

الأمان، وقد رَوى عثمان بن عفان أن النبى ﷺ، قال: **«العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته، ومحا سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وشفعه الله تعالى فى أهل بيته، وكتب فى السماء أسيرُ الله فى أرضه»**[1].

إذن فكِبرُ السن ليس له مدة زمنية معينة، ويرتبط غالباً بمستوى صحة المسن، ومدى احتياجه إلى الآخرين، وإذا أدى ما عليه من واجبات نحو الله والناس، ولم يقصر فى شؤون دينه ودنياه، فإنه جدير بالإجلال والتقدير من الناس جميعاً.

٢ـ دعوة الإسلام إلى توقير كبار السن:

أوجب الإسلام توقير كبار السن فى ظل مجموعة من الأخلاق، التى دعا إليها القرآن الكريم، والسنة النبوية، إذ يجب أن يصل هذا التوقير والاحترام إلى أقصى مداه مع الأبوين، فإن لهما من الحقوق أكثر من غيرهم.

وقد صور القرآن ذلك تصويراً بليغاً ومؤثراً، فقال تعالى: **﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾**[2].

وشَرَعَ كلام رب العالمين مقياساً لعلاقة الأبناء بالآباء والأمهات، الذين بلغوا درجة من كبر السن، تجعلهم فى حاجة إلى الرحمة واللين، وأقر منهاجاً لأسلوب الخطاب، الذى لا يجب أن يصل فيه الابن إلى رفع الصوت على أبيه،

---

(١) رواه أحمد – عن تفسير ابن كثير لسورة الأحقاف.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم (٢٣ ، ٢٤).

أو أمه، أو التلفظ ببعض الكلام غير الملائم لطبيعة العلاقة بينهما ككلمة "**أُفٍّ**"، التى لو وُجد باللغة ما هو أقل منها فى مستوى التأثير، لذكرها القرآن الكريم، كما يخضع مستوى العلاقة بين الصغار والكبار لما ذكره رسول الله ﷺ، فقال: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»**[١].

ويتجلى تقدير الأبناء لآبائهم فى العصر الحاضر، من خلال نظامين للرعاية، وذلك بالطريقة المباشرة، حيث يحيا الآباء مع الأبناء، أو إلى جوارهم، وتحت مرمى أبصارهم، أو أن يعجز الأبناء عن ذلك لظروفهم الحقيقية أو المدعاة، فيرسلون الأب أو الأم، أو هما معاً إلى دور رعاية المسنين، التى يعيش فيها الأبوان حياة، تبعد كثيراً عن نظام معيشتهم فى بيئتهم الطبيعية، تلك الدور التى تحل كثيراً من المشكلات المستعصية لكبار السن، ومهما تلقوا فيها من تقدير واحترام، فإن الكبار يفتقدون فيها أشياء كثيرة، لعل فى مقدمتها الحالة النفسية والروحية، دون إغفال للتقصير المادى، خاصة إذا كان المسنون أصحاب تاريخ وتجارب بالحياة، ثم آلت أحوالهم إلى انتظار العطف والرعاية من الأهل والأقارب والمجتمع.

وكان رسول الله ﷺ يعوذ بالله من عواقب كبر السن، وأن يُرد إلى أرذل العمر، فعن أنس بن مالك (رضى الله عنه)، قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ ويقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من الكسل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الهَرَم، وأعوذ بك من البخل»**، وفى حديث سعد بن أبى وقاص: **«وأعوذ بك أن أردَّ إلى أرذل العمر»**[٢].

ورضى الله عن كل عبد من عباد الرحمن، الذين أحسنوا إلى كبار السن من الأقارب وغيرهم، والله ولى التوفيق.

---

[١] رواه أبو داود والترمذى.

[٢] رواه أبو داود والترمذى.

١٥- مواســاة الآخريــن فــى أحزانهــم

لا تستمر حياة الإنسان على حالة واحدة، وإنما تتقلب تبعاً لما يلحق بها من متغيرات: كالفرح، والسرور، والهموم، والأحزان.

والمؤمن محتاج إلى من يشاركه فى أحزانه بخاصة؛ حتى تُمحى آثارها من أعماق القلوب.

وقد كانت حياة الرسول وأصحابه قدوة لمن جــاء بعــدهم مــن عبــاد الرحمن، الذين يحرصون على العمل بالقرآن والسنة، والسير فى أنوار اليقين.

١- تــداول الأيــام بــين النــاس بالأفــراح والأحــزان:

لا تسير الحياة على وتيرة واحدة، وإنما تتقلب وتتغير، ويتداولها الناس بأيامها ولياليها، وفق مقدرات الخالق المدبر، الذى إليه يرجع الأمر كله؛ وجاءت دعوة الإسلام بمنهجها الهادف إلى تقوية الروابط الاجتماعية، وتحقيق التكافــل فى كل أشكاله، ومن ذلك: سعى المؤمن إلى مواساة الآخرين فــى مــصائبهم، وتخفيف آلامهم، وربما يكون ذلك أكثر أهمية، وأعظم تأثيراً من المجــاملات، وعمل الواجبات للمناسبات السارة.....

فالمسلم عندما يمرض، أو يموت عزيزٌ عليه، أو يفتقد شيئاً غاليــاً فــى القيمة المادية أو المعنوية، أو يقع رهينة لِهَمٍ شديد، قد تختلف أسبابه، وتتفــاوت مظاهره، ويجد نفسه محاصراً بحزنه، مشغولاً بمصيبته، ثم يَهُب إليه من يخفف عنه لوعته، ويواسيه فى كربته، فإنه يتجاوز محنته بفضل تكاتف الآخرين معه، والتفافهم حوله بعاطفة إيمانية خالدة، حض عليها الإسلام، وطبقهــا الــصحابة بسلوكياتهم الرائدة على المستوى الشخصى، أو وفق متطلبات القبيلة، أو حسب التوجيه الصادر من الرسول ﷺ، الذى يشمل الناس جميعاً.

وتحدث القرآن الكريم عن الحزن فى مواقف متعددة، منها: دعوة الرسول لأبى بكر الصديق بعدم الحزن، عندما كانا فى غار "ثور" أثناء الهجرة، ووضح تأثير الحزن على نبى الله يعقوب فى مسيرة ابنه يوسف، فقال تعالى فى حق والده: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١].

وقد ذكر الرسول ﷺ ما لحق بالأشعريين، وهم قبيلة أبى موسى – رضى الله عنه – وما كان منهم من معالجة لأزمة فى الطعام بشكل إيجابى، كتعبير حىّ عن المساواة فى اقتسام الطعام، ورفع الكرب عن المكروبين، فعن أبى موسى – رضى الله عنه – قال: قال النبى ﷺ: **«إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو، أو قَلَّ طعام عيالهم فى المدينة، جمعُوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم منى، وأنا منهم»**[٢].

٢ـ أحوال المواساة فى الأحزان:

يعد المرض ابتلاء من الله (سبحانه وتعالى) للإنسان، الذى يتحتم عليه أن يرضى بقضاء الله، وأن يسعى للتداوى، وألا ييأس من رحمة الله، وأن يتحصن بالصبر الجميل، وعلى الآخرين من عباد الله الصالحين، أن يهبُّوا بقدر ما يستطيعون إلى زيارته؛ للتخفيف عنه، وبعث روح الأمل فيه، من حيث الشفاء.

وقد عرضت الأحاديث النبوية لخُلُق زيارة المرضى؛ لأن مشاطرتهم فى ابتلائهم سلوك حميد، دعا الإسلام إليه، قال ﷺ: **«أطعموا الجائع، وعُودوا المريض، وفكُّوا العانى الأسير»**[٣].

ويستحب للمسلم فى زيارته للمريض أن يدعو له بالشفاء، وأن يوصيه بالصبر، وألا يطيل فى الزيارة، وأن يقول له ما يُطيِّبُ به نفسه، وقد روى عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا عاد مريضاً، قال له: **«لا بأس طهُور إن شاء الله»**[٤].

---

[١] سورة يوسف الآية رقم (٨٤).

[٢] رواه أبو داود والترمذى.

[٣] رواه البخارى (٥٦٤٩).

[٤] رواه البخارى.

وعلى المسلم أن يقتدى برسول الله فى هذا الأدب الأخلاقى القويم، بل إن عيادة المريض ليست تفضلاً من المسلم السليم، وإنما هى حق للمسلم على أخيه، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: **«حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام ، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»**[1].

وعلى المسلم أن يواسى المكروبين فى أحزانهم بشكل إيجابى مؤثر، فإذا كان الحزن بسبب الموت، فعليه واجب العزاء، الذى قد يكون مشاركة فى تشييع الجنازة، وحضور فعاليات العزاء، الذى يمتد شرعاً إلى ثلاثة أيام، ويكون لجميع أهل الميت، وإذا كان صاحب المصيبة غائباً، فعلى جماعة المسلمين أن تشاطره مصيبته بعد حضوره.

وقد جاء فى حديث لرسول الله ﷺ عن حق الجار على الجار، قال: **« ...... وإن مرض عدته، وإن مات تَبِعْتَ جنازته، وإن أصابه خيرٌ هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته ...... »**[2].

وتتعدد صور المواساة فى الأحزان، ومنها المساعدات المادية، كتقديم الأطعمة لأهل الميت، واستكمال النواقص الخاصة بالجنازة، وبسائر متطلبات الحياة، وكان ذلك شأن الرسول وأصحابه، عليهم رضوان الله ورحماته.

٢ـ بعض السلوكيات الخالدة فى سيرة الرسول وأصحابه:

كانت حياة الرسول ﷺ قدوة للآخرين، فى حسن تعامله مع المصائب والأحزان، وتجلى ذلك فى **مواقف متعددة:**

أولها: أن إحدى بنات النبى ﷺ أرسلت إليه تدعوه وتخبره أن صبياً لها، أو ابناً فى الموت، فقال للرسول[3] والعائد إليها: **«ارجع إليها فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شئ عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر، ولتحتسب ...... »**[4].

---

(١) متفق عليه.

(٢) من إحياء علوم الدين جـ ٢ صـ ٢١٣.

(٣) الموفد من قبل ابنته.

(٤) متفق عليه.

فالدموع التى تتساقط من عينىّ أهل المصائب، ذكرها رسـول الله ﷺ، وقال عنها: **« هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »**[١].

ثانيها: ما كان من أمر الرسول ﷺ فى حزنه على استشهاد جعفـر بـن أبـى طالب، الذى كان أشبه الناس برسول الله خُلقاً، وخَلقاً، وقد استشهد فـى غزوة مؤتة فى السنة الثامنة من الهجرة، وكانت راية القيادة فى يد زيد ابن حارثة، فلما استشهد أخذها جعفر، فلما استشهد تناولها عبـدالله بـن رواحة، رضى الله عنهم جميعاً، حيث كان استشهادهم صدمة شديدة على الرسول والمسلمين، وكان حزن الرسول على جعفر بخاصة لا حدود له، فقد كان أباً للمساكين، الذين جمعهم الحزن فى بكاء أبيهم، ولُقب جعفـر بالطيار، إذ روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت جعفـراً يطير فى الجنة مع الملائكة »**[٢].

وذهب الرسول إلى بيت جعفر، وشد من أزرهـم، واحتـوى أبنـاءه، وَدَمَعتْ عيناه، وعرفت زوجته بالخبر، وصاحت من الحزن، فرجع ﷺ، وقـال لأصحابه رضوان الله عليهم: **«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامـاً، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم»**[٣].

فصناعة الطعام لأهل الميت خلق إسلامى، وصورة إيجابية للمواساة فى الأحزان، وهذه بعض معايير التعزية، والمواساة فى الإسلام، وليس منها بالقطع: لطم الخدود، وشق الملابس، وتعذيب الذات، وتجاوز حدود التعامل مع الأحزان، التى أوضحها رسول الله ﷺ، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه الترمذى باب مناقب جعفر بن أبى طالب.

[٣] السابـق.

١٦ـ حسن الاستماع إلى الآخرين

يتجلى تقدير المسلم للآخرين فى العديد من الأحوال، التى يتطلب الالتزام بها ، والحرص على أدائها ، بما يتواكب مع صحيح الإيمان، مثل: حسن الاستماع إلى المتحدثين، وذلك بعدم مقاطعتهم والتشويش عليهم؛ حتى يتُموا كلامهم فى أدب والتزام، حسب متطلبات الموقف، ومقتضى الحال، ثم يكون الردُ المهذب بتقدير واحترام.

١ـ وجوب الاستماع إلى الآخرين:

لقد كان من أصحاب رسول الله ﷺ من يقرأ القرآن ويتغنى به، ويستمع الصحابة إليه فى خشوع وإنصات، ووضُح ذلك فيما كان يحدث فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم، وفى سائر مجالس الرسول ﷺ، حيث كان يتلو لأصحابه ما نُزّل عليه، وجاء الأمر الإلهى بحتمية الاستماع والإنصات إلى القرآن الكريم، عندما يُتْلى ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]، إذ يجب الاستماع إلى كلام رب العالمين من خلال القارئ له، سواءٌ أكان بلسان رسول الله ﷺ، أم بلسان أحد من أصحابه فى عصره، أم من التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

وقد يراد من القرآن فى الآية المذكورة، الصلاة التى يُقرأ القرآن فيها سراً وعلانيةً ، ليلاً أو نهاراً ، فى الأرض أو فى السماء.

وكان نزول القرآن وإبلاغه لأهل مكة فى بداية الدعوة مشكلة تؤرقهم ، إذ عجزوا عن مواجهة الوحى وتحديه ، فُغلبوا على أمرهم ، وانهزموا أمام قدراتهم المحدودة فى مواجهة النص القرآنى الكريم، إلا بالتشويش على القارئ ، ومعارضته بكلام لا يُفهم، أو بتصفيق وتخليط فى الكلام ؛ حتى لا يصل الوحى

---

[1] سورة الأعراف الآية رقم ٢٠٤.

إلى الأسماع، وتتلقاه القلوب والعقول، وذكر القرآن ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[1].

كما يتحتم الاستماع إلى من يتحدثون عن الدعوة الإسلامية ؛ لتنبيه الغافلين عنها ، وذلك بشرح الأحاديث النبوية، وهداية الضالين عن الحق ، وإرشاد الراغبين فى الإسلام ، وتجلى ذلك فيما رواه ابن مسعود (رضى الله عنه) ، قال: قال لى النبى ﷺ: **«اقرأ علىّ القرآن فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أُنزل، قال: إنى أحب أن أسمعه من غيرى»**[2].

٢ـ حسن الاستماع إلي الآخرين:

لقد جاءت الرسالة الإسلامية ؛ ليصل بلاغها إلى الناس جميعاً بلسان عربى مبين ، ولابُد فى هذا البلاغ من وجود قارئ أو متحدث، ووجود مستمع إليه، وراغب فيما يقول، إذ لا يصلح أن يتحدث اثنان فى وقت واحد، ولا أن يظلا صامتَيْن بلا حديث، وعلى من يتحدث أن يكون كلامه موجهاً إلى قوم يفهمونه ولا يكرهونه، وعلى استعداد لقبول كلامه والاقتناع به، وعلى المستمع أن ينصت إليه، ولا يقاطعه بلغوٍ أو صياحٍ، أو مجادلة لا قيمة لها؛ حتى ينتهى الحديث، وله بعد ذلك أن يعقب مؤيداً أو معارضاً بأسلوب راقٍ، وأدب حكيم ، خاصة بين العلماء والمفكرين.

ويتحتم أن يقف المستمع على حقيقة ما يقال له، ولغيره من المستمعين، ويجب عليه أن يحرص على إنصات الناس للمتحدثين، بمعنى أن يأمرهم بالإنصات والسماع، كما نص على ذلك رسول الله ﷺ، فعن جرير بن عبدالله (رضى الله عنه) قال: **«قال لى رسول الله فى حجة الوداع: استنصتْ الناس»**[3]، ثم قال: **«لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»**[4].

---

[1] سورة فصلت الآية رقم ٢٦.

[2] متفق عليه، وروى بأكثر من رواية، وفى بعضها إضافات.

[3] أأمرهم بالإنصات والسماع.

[4] متفق عليه.

ومن الملاحظ أن الخُلق المتميز الذى يحرص عليه وينتبه له المؤمنون، يتمثل فى حتمية الاستماع للآخرين، خاصة القراء والمجودين للقرآن الكريم، لكنَّ خللاً سلوكياً يظهر أحياناً أثناء قراءة القرآن، والذى تعلو فيه الأصوات، مُعلنة عن الإعجاب لما يتلى، وتزداد الضوضاء التى لا تتوافق مع كلام الله تعالى.

ومن المؤسف أن بعض القراء يرضون بذلك، ويعتبرونه دليلاً على تميزهم، كما يمتد هذا الصخب أثناء الحديث عن الموت والحياة، وسائر الموجودات والمغيبات.

ويجب مراعاة أدب الحوار، وإتاحة الفرصة للمتحدث، أن يعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله، أو إساءة إلى شخصه ، فعند تواصل الحوار بين شخص وآخر، أو مجموعة وآخرى، يتعين على كل فرد أو جماعة، الاستماع إلى الطرف الآخر بهدوء والتزام، ومن أقوال بعض الفقهاء الحكماء فى هذا الأمر: «**رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه**»[1].

٣ـ أدب الاستماع إلى الآخرين:

لا يكون الاستماع إلى الآخرين مباحاً ومقبولاً على الإطلاق، ولكن يتحتم على المستمع أن يكون على وعى وإدراك، من خلال ما يصل إلى أسماعه، فلا يصح على أية حال أن يجلس المسلم فى مكان، يُستهزأ فيه بكلام رب العالمين.

وجاء ذلك مباشراً فى عصر البعثة المحمدية ، عندما كان المشركون يُكَذِّبون ما جاء به الرسول ﷺ، فيكْفرُون، ويستهزئون به، وكان أمر الله صريحاً مباشراً، فى توجيه المؤمنين إلى الانصراف عن هؤلاء المعاندين،

---

[1] انظر كتاب (*أدب الحوار فى الإسلام*) دكتور/ محمد سيد طنطاوى، صـــ ٢٧ ، ٢٨.

والمستهزئين بآيات الله تعالى ، إلا إذا تحولوا وخاضوا فى حديث آخر ، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[1].

كما لا يجوز ولا يصح الاستماع إلى الغناء الفاحش، والكلام الضال، والكذب والافتراء، وكل المحرمات، خاصة أعراض الناس، بل يجب حسن التوجيه، والحوار الهادف، والدعوة بالحسنى لكل من لا يعى، ولا يستوعب متطلبات العقيدة الصحيحة، وذلك بالنهى عن الإساءة إليها، وتشويه صورتها، وصورة نبى الحكمة، ورسول الدعوة الإسلامية فى كل زمان ومكان.

---

[1] سورة النساء الآية رقم: ١٤٠.

١٧ـ حسن التعامل فى السفر

إن مشتملات السفر من بدء الإعداد له إلى نهاية العودة منه، تمثل فى المشروع الإسلامى للحياة، صورة حضارية رائعة، تأتى فى جانب منها علاقة المسلم بإخوانه، الذين يراقبونه، سواءٌ أكانوا من عباد الرحمن المخلصين، أم من سائر البشر، الذين يمكن أن تتعدد عقائدهم وتوجهاتهم، ذلك أن الآداب التى يجب على المسلم أن يلتزم بها، تشمل الناس جميعاً.

١ـ الواجب على المسلم مراعاته عند السفر:

يحتاج المسلم إلى السفر، ففيه حركة ومخالطة، داخل الوطن أو خارجه، **وبه فوائد متعددة، منها:** طلب العلم، وآداء الحج والعمرة، والتجارة، والتعرف على مواقع الجمال فى آيات الله بالأرض والسماء، وقد يضطر إليه الإنسان، عندما تسوء أحواله فى المكان الذى يعيش فيه، فيرحل إلى مكان يجد فيه تحقيق ما يسعى إليه.

وقال الشاعر عن بعض فوائد السفر:

تغربْ عن الأوطانِ فى طلبِ العُلاَ ... وسافرْ ففى الأسفارِ خمسُ فوائدِ

تفرُّجُ همٍّ، واكتسابُ معيشةٍ ... وعِلْمٌ، وآدابٌ، وصحبةُ ماجدِ

وللسفر مشقات ومتاعب، تحتاج إلى صبر وتحمل، لا يقدر عليها إلا القليلون من الناس.

وفيما يخص المرأة، لا يجوز لها السفر إذا افتقدت الأمن، والقدرة على التحمل، وبشرط حدده رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً، إلا ومعها أبوها، أو أخوها، أو زوجها، أو ابنها، أو ذو مَحْرم منها»**[١].

---

[١] رواه البخارى ، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجة.

ويلزم من المُسلم أن يحسن اختيار رفقاء السفر، وألا يُسافر منفـرداً إلا عند الضرورة القصوى، وأن يحرص على الأدعية، التى رويت عن رسول الله ﷺ، تلك الأخلاق التى كانت محل عناية واهتمام من السلف الصالح، فى عهـد الصحابة والتابعين، التزاماً بما ذكره، وحدده رسول الله ﷺ، فيما رواه ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أن الناس يعلمـون مـن الوحدة**[1] **ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده»**[2].

ويعد السفر اختباراً حقيقياً للالتزام الأخلاقى، الذى يجعـل الحريـصين عليه، والمتمسكين به فى درجة من القرب الإيمانى بالله سبحانه وتعالى.

ودعوة المسافر من الدعوات المستجابة، للحالة التى يكون عليها، لقـول رسول الله ﷺ: **«ثلاث دعوات مستجابات لا شك فـيهن: دعـوة المظلـوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»**[3].

ويلزم عند بداية السفر مع جماعة، اختيارُ أحدهم؛ ليكون بمثابـة أميـر عليهم، يتوجهون بعلمه، ويلتزمون برأيه؛ حتى يكون السفر هادئاً، بلا خروجات تمزِّق الرفقاء، وتصرِفُهم عن المتطلبات، التى يسعون إليها، وذلك ما نص عليه رسول الله ﷺ، فعن أبى سعيد، وأبى هريرة – رضى الله عنهما – أنهما قـالا: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خرج ثلاثة فى سفر، فليؤمروا أحدهم»**[4].

٢ـ أخلاق المسلم مع رفقاء السفر:

يتطلب السفر من المسلم، أن يحسن التعامل مع رفقائه، فتكـون أفعالـه وأقواله معتدلة متزنة، ذلك أن الارتحال إلى مسافة طويلة، يجعل النفس الإنسانية فى حالات اختبارية عسيرة، إذ أن جملة المسافرين لهم طبائع مختلفة، وبعـض

---

[1] أى الانفراد فى السفر.

[2] رواه البخارى ، والترمذى، وابن قتيبة فى صحيحه.

[3] رواه الترمذى بسند حسن.

[4] رواه أبو داود بإسناد حسن.

العادات المنفرة، وما على المؤمن إلا أن يلتزم بالأخلاق الحميدة، ويأتى فى مقدمتها: الصبر، والصدق، والنصيحة، والإيثار، وحسن المعاملة فى ضوء ما نصت عليه الشريعة الإسلامية السمحاء، التى أباحت للمسافر الجمع والقصر، فى الصلاة، والإفطار فى أيام شهر الصوم، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1].

كما يجب على المسلم مراعاة الرفقاء، خاصة كبار السن، والأطفال، والنساء، الذين يحتاجون إلى من يعينهم، ويأخذ بأيديهم، ويترفق معهم فى أدب ومودة، وهدوء واعتدال، وأن يحرص على الالتزام بآداب السفر، وأن يكون قدوة للآخرين، فلا يأتى من التصرفات ما ينفرهم منه، ويصرفهم عنه.

٣- بعض النماذج السلوكية لعباد الرحمن أثناء السفر:

إن كثرة الأسفار، وتنوع وسائلها فى العصر الحديث، تحتم ضرورة الالتزام بالآداب الإسلامية، فى سائر الأحوال الخاصة بالسفر.

وتعد هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة، نموذجاً عملياً على حسن الرفقة بين الأصدقاء، خلال التنقل لمسافات بعيدة، بدءاً من الإعداد للرحيل إلى نهاية الرحلة، والوصول إلى محل الإقامة فى المدينة المنورة، وذلك ما كان يحرص عليه الرسول فى سفره للسرايا والغزوات، وتجلى ذلك مع أصحابه فى غزوة بدر، ثم فى فتح مكة، الذى كان فى شهر رمضان، خاصة عندما يَسَّر على أصحابه بين الصوم، أو الإفطار، والقضاء بعده.

وقد عرض رسول الله ﷺ لعلاقة المسلم برفقائه فى السفر، من حتمية مراعاة مشاعرهم، وإيجابية التعامل معهم، ومقاومة كل سلوك، لا يتوافق مع حقوق الجماعة، وذلك فى حديث نبوى خالد، رواه النعمان بن بشير – رضى الله

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (١٨٤).

عنهما – أن النبى ﷺ، قال: **«مثل القائم على حدود الله والواقع منها، كمثل قوم استهموا[1] على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقَوْا من الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم. فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً، ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونجوا جميعاً»**[2].

وقد التزم الصحابة بمنهج رسول الله ﷺ، فيما يختص بالعلاقة بين المسافرين لمسافات تطول أو تقصر، كما سار على نفس المنهج الصفوة من عباد الرحمن، الذين تتواصل أجيالهم عاماً بعد آخر؛ تأكيداً على حتمية الانتقال بالآداب الإسلامية، من النطاق القولى إلى الحيز الفعلى لرسالة الإسلام الخالدة.

---

[1] استهموا: أجروا القرعة.

[2] رواه البخارى، والترمذى، وابن حنبل، واللفظ البخارى.

١٨ـ محبة الأجداد للأحفاد*

١ـ الاهتمام بالأحفاد:

يهتم عباد الرحمن اهتماماً كبيراً بمن حولهم من البشر، خاصة أقرب الناس إليهم، مثل: الأم، والأب، والزوجة، والأبناء، ويزداد هذا الاهتمام، فيصل إلى الجيل الثانى من أولاد الأولاد وهم الأحفاد، الذين يمثلون التواصل الحميم من جيل لآخر، فى ظلال العلاقات الإسلامية الحميدة بين الأصول والفروع، وإلى أبعد من ذلك فى مسيرة الحياة، تلك التى يسترجع فيها كل من الرجل والمرأة مع (الحفيد) جزءاً من تاريخه، الذى يعود به إلى سنوات طويلة، يوم أن كان والد الحفيد، صغيراً، ممتلئاً بالطهر والنقاء، والمحبة والصفاء، ثم كبر وتزوج، وصار له ابن صغير، وهو الحفيد الذى يعد امتداداً للجد، هذا الذى يسعده أن تنبت شجرة حياته، ثم تزهر وتثمر، وتُظلل كل مَنْ حولها بالمودة والعطف والحنان، من خلال المنظومة الأخلاقية، التى تتميز بها صفوة الصفوة من عباد الرحمن.

٢ـ حديث القرآن عن الأحفاد:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الأحفاد، وهم من ثمرات العلاقات الحميمة، التى يجب أن تتحقق بين الأزواج والزوجات؛ وذلك لدواع مختلفة، منها: ما يترتب على الزواج من الأولاد والأحفاد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[1].

والمعنى المراد من كلمة البنين واضح، ولا خلاف فيه، أما كلمة الحفدة، فلها دلالات متعددة، أقربها أنهم أولاد الأولاد، وذلك ظاهر فى الآية، حيث تمخض الزواج عن بنين وحفدة، فالبنين أولاد الرجل، والحفدة: أولاد ولده،

---

* نُشر فى جريدة صوت الأزهر لأول مرة بالعدد ٥٠٩ فى ١٦ يونيو ٢٠٠٩م ثم تكرر نشره بذات الجريدة فيما بعد.

(١) سورة النحل الآية رقم (٧٢).

ويكون البيان فى الآية هو: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾، وهؤلاء ينهضون بالمعاونة والخدمة للزوجين الكبيرين، تلك الرسالة الإنسانية للذرية، التى يُناط بها خدمة الأبوين، اللذين تحولا إلى جدَّين، يمتلئان بالحب والمودة لأحفادهم، وقيل: إن المراد من الحفدة: البنات، ويكون المعنى: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبناتاً، أو المراد منه: الخدم والأعوان، أو أقارب المرأة (الأصهار) مثل: أبيها وأخيها.

وتكاد كتب التفسير تجمع على أن المعنى الأول هو الأقرب للقبول، فى ضوء إيحاءات النص القرآنى؛ وما استقر لدى العرب القدماء، الذين يرون أن الأحفاد هم أولاد الأولاد، دون البنات، **ولذلك قال الشاعر**:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ولكن عناية الرسول ﷺ، وحبه للحسن والحسين ابنَىْ فاطمة الزهراء، وعلى بن أبى طالب، يجعل معنى الحفيد لا يقتصر على أبناء الأولاد، وإنما على أبناء البنات أيضاً.

٣ـ نماذج سلوكية من محبة الرسول وأصحابه لأحفادهم:

تخضع محبة الأحفاد للفطرة الإنسانية، التى طبع الله (سبحانه وتعالى) الناس عليها، وتسجل أحداث السيرة ما كان من عبدالمطلب جد النبى عند ولادة حفيده محمد ﷺ، فقد أسرع إلى بيت "آمنة بنت وهب" أرملة ابنه عبدالله، ورفع حفيده محمداً، وقبَّله، وقال: سنسميه محمداً؛ ليكون محموداً فى الأرض والسماء، **وقال فيه**:

الحمد لله الذى أعطانى ... هذا الغلام الطيب الأردان[1]

وجاء أيضاً فى السيرة: أن عبدالمطلب "التقى" حليمة السعدية" مرضعة الرسول، يوصيها به وصايا، تدل على مقدار حبه لحفيده، وشدة تعلقه به، فخاطبها قائلاً: "إن محمداً يا حليمة، أحبُّ إلىّ من أولادى جميعاً، فهو ابن عبدالله الحبيب".

---

(١) الأردان: الملابس مثل القميص ونحوه، أو أنواع محددة منها.

وكان والد أبى بكر كثير الورود على حفدته؛ للسؤال عنهم، والعطف عليهم، ومتابعة أحوالهم، وذلك بعد أن خرج الصديق مهاجراً مع رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، أما سيرة الرسول، فكانت حافلة بالكثير من الأحداث، التى أخذ بها، وتعلّم منها التابعون، ومِنْ قبلهم الصحابة، وهم السابقون السابقون، الذين شاهدوا رسول الله، وهو يعامل حفيديه بشكل مختلف، عما دَرَجَتْ عليه البيئة العربية.

وذكرت كتب السيرة كثيراً من الأحداث، التى تدلل على عمق محبة الرسول لهما، تلك التى أنيرت بها صحائف التاريخ؛ لتكون ضياءً ونوراً للبشر جميعاً، وقدوة للأجداد الذين يغيب عن الكثيرين منهم صورة الإسلام الحضارية، منذ بدايات البعثة المحمدية، فيما يتصل بالعلاقة بين الأجداد والأحفاد، ومن ذلك: ما كان من الأعرابى، الذى وفد على النبى ﷺ، فرآه يُقِّبلُ الحسن والحسين، فاستغرب ذلك، وقال: إنكم تقبلون أولادكم، ولا نقبلهم فقال الرسول ﷺ: **«وما أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»**(1).

وأبرزت المرويات النبوية صفة خُلُقية فى الإسلام، وهى محبة الأحفاد، بصورة متميزة، وواضحة، فقد أطال الرسول ﷺ السجود فى صلاته ذات مرة، فقال له أحد الصحابة: يا رسول الله إنك سجدت سجدة أطلْتَها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك فقال: **«كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجّله؛ حتى يقضىَ حاجتَه»**(2)، وقيل: إن ذلك الابن هو الحسن أو الحسين.

---

(1) رواه البخارى واللفظ له، كما ورد فى صحيح ابن حبان باختلاف طفيف باللفظ.

(2) رواه أحمد فى مسنده، كما ورد فى السنن الكبرى للنسائى.

ولا تتوقف المحبة عند هذا الحد، بل تصل إلى أبعد من ذلك، فقد كان الحسن والحسين، يسمعان صوت جدهما بالمسجد يخطب، فيسعيان إليه، ويخترقان الصفوف، ويتعثران، فتسبقه ﷺ شفقته عليهما، فينزل من المنبر، ويأخذ بأيديهما ويقول: "صدق الله إذ قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[1]، نظرت إليهما يمشيان، ويسقطان، فلم أصبر حتى قطعتُ حديثى ورفعتهما".

وهكذا تتواصل دلائل محبة الرسول لحفيديه بهذه الأحوال المتغيرة، إلى أن يزداد التحامه بهما، وضمه لهما؛ تدليلاً على خوفه عليهما، وإبرازاً للعلاقة الحميمة، التى تتجلى فى مكنوناته، تجاه هذين الولدين (رضى الله عنهما)، وهذا الحسن بن أسامة بن زيد يقول: أخبرنى أسامة بن زيد قال: **«طرقت رسول الله ﷺ ليلة لبعض الحاجة، فخرج وهو مشتمل على شئ لا أدرى ما هو، فلما فرغت من حاجتى، قلت "ما هذا الذى أنت مشتمل عليه؟ فكشفه، فإذا بالحسن والحسين على وركيه فقال: هذان أبنائى، وأبناء ابنتى، اللهم إنك تعلم أنى أحبهما فأحبهما، اللهم إنك تعلم أنى أحبهما فأحبهما»**[2].

تلك هى وصايات الرسول لأصحابه وتابعيه وسائر المسلمين، التى تأتى تعبيراً عن الاستجابة للطبائع الإنسانية، التى تتجلى فى سنته ﷺ بالقول والفعل والتقرير والصفة، التى يجب مراعاتها، ليس فى حق المؤمنين خاصة، ولكن مع سائر الناس فى دنيا البشر، والله يرزقنا الهداية إلى صراطه المستقيم.

---

[1] سورة التغابن الآية رقم (١٥).

[2] رواه البخارى.

١٩ـ العطــاء بــلا منٍّ ولا أذى

لا يجب أن يقتصر دور المسلم على الإنفاق فى سـبيل الله، أو إعطــاء الصدقات إلى من يستحقها؛ وإنما يتحتم أن يكـون ذلـك مـصحوباً بـالأخلاق الحميدة، التى يتحلى بها عباد الرحمن، حيث لا يأتى منهم الإعجـاب بـالنفس، والغرور بالفعل والقول، وما يترتب على ذلك من المن والأذى.

١ـ المنّ، وبيانـه فـى حـق الله تعالـى:

لقد حَضَّ الإسلام على تقوية الروابط الاجتماعية بين النــاس جميعــاً، وحرَّم كل ما يؤدى إلى إحداث الوقيعة بين المؤمنين، حتى لو كان ذلك متمخضاً عن مجموعة من الكلمات؛ التى يمتن بها المسلم على إخوانه، وسائر من تكــرم إليهم، أو تفضل عليهم بتقديم العون لهم، سواء أكان ذلك من قبيــل الواجبــات والعطاءات الإنسانية، أم كان على سبيل الصدقة أو الزكاة، التى تقدم منه إلــى من يستحقها من البشر.

والمن فى أساسه هو العطاء، ويكون حديثاً، أو تذكيراً بما تم تقديمــه، وهو عمل محمود كالمِنَح والهبات، ويتحقق ذلك فى علاقة الله بعبــاده؛ حتــى يتذكروا ما أنعم الله عليهم به، فيشكروه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[١].

وتتعدد إكرامات الله تعالى من خلال المن على رسله، وسائر عباده، قال عزوجل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[٢].

وجاء المن بمعنى العفو البشرى، والتسامح الإنسانى، المقابل لدفع الفدية فى حق أسرى الحروب، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٣]، وهكذا يكون المن فى الجانب الحسن منه، فى حق الله تعالى على عباده.

---

[١] سورة آل عمران الآية رقم (١٦٤).

[٢] سورة إبراهيم الآية رقم (١١).

[٣] سورة محمد الآية رقم (٤).

٢- ارتباط المن بالأذى، وأضرار ذلك فى العلاقة بين البشر:

يكون المن فى الجانب السيئ منه، مرتبطاً بتعداد النعم علـى مـن تَـمَّ الإنعام عليهم، وليس ذلك من شأن عباد الرحمن، حيث يتحـول الحـديث عـن العطاء إلى إيذاء نفسى، يجرح المشاعر، ويسبب الضيق والحرج لمن قُدم إليهم المعروف بالقول أو بالفعل، وعند ذلك كان الإيذاء مرتبطاً بالعطاء، خاصـة إذا كان متمثلاً فى الصدقات، إذ كيف يعطى المسلم زكاة أمواله الواجبة، أو صدقاته التطوعية المستحسنة، ثم يشفعها بالمن والافتخار على ما صنعه، تلك عـادات نهى الإسلام عنها، وحض على حتمية تجنبها، قال تعالى فى حق عباد الـرحمن: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾[١].

وتتواصل آيات القرآن فى سورة البقرة عن حتمية الإخلاص فى دفـع الصدقة، وعدم إلحاقها بالأذى، المتمثل فى المن بالعطاء؛ لأن ذلك لـيس مـن أخلاق الإسلام، ولا من سلوك عباد الله المتقين.

وقد روى أبو ذر – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ أنه قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله عزوجل يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب اليم: المنّان بما أعطى، والمُسْبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**[٢].

وقد وضح من هذا الحديث، مدى ما يستحقه المـانح أو المعطـى مـن عقاب شديد، بسبب إهانته لمن أعطاهم بالكلام السيئ، والتعريض الذى أهدر به كرامة الآخرين، وهذا هو الأذى الفاحش، الذى يترتب على إخراج الصدقة، أو بتقديم العون أياً كان شكله ومقداره، وهو ما حذر منه الرسول ﷺ فيمـا روى عنه أنه قال: **«إياكم والامتنان بالمعروف، فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر»** ثم تلا ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[٣].

---

[١] سورة البقرة الآية رقم (٢٦٢).

[٢] رواه النسائى، ومسلم، وأبو داود، ومعنى المنان بما أعطى: أى الذى يمـن بعطائـه، والمـسبل إزاره: اى الذى يطيل ثوبه كبراً وفخراً، والمنفق سلعته: أى المروّج للسلعة بالأيمان الكاذبة.

[٣] سورة البقرة الآية رقم (٢٦٤).

ويعد ذلك أحد الشروط لقبول الله سبحانه وتعالى للمعروف من الناس، إذ أن ما يترتب على الإعطاء من أضرار، يفوق بكثير ما يترتب عليه من أفضال

قال الشاعر:

أفسدتَ بالمنِّ ما أسديتَ من حَسَنٍ ليس الكريمُ إذا أسدى بمنان[1]

٣- أضرار المن على المتحدث به:

لا يقتصر المن بالعطاء، وهو إحدى الكبائر، على من كان الحديث موجهاً إليه؛ وإنما يدل فى ذات الحال، على ما تنحدر إليه النفس الإنسانية من إعجاب وغرور، حيث لا يتوافق مع الأخلاق الإسلامية، التى يوصف بها عباد الرحمن، وذلك ما أشار إليه القرطبى – قدس الله سره: "المن غالباً يقع من البخيل والمعجب، فالبخيل تعظم فى نفسه العطية، وإن كانت حقيرة فى نفسها، والمعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنه منعم بماله على المُعْطَى، وإن كان أفضل منه فى نفس الأمر، وموجب ذلك كله، الجهل ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه، ولو نظر مصيره، لعلم أن المنة للآخذ؛ لما يترتب له من الفوائد"[2].

كما أن المن يحجب كلمة الشكر، التى كان المعطى يستحقها من الفقير أو المحتاج، إذ لم يعد وارداً بعد أن سمع ما سمع، أو علم ما علم، أن يأتى الشكر على لسانه إلى مَنْ عرَّض به، وأساء إليه بالكلمات السامة، والعبارات الجارحة، فضلاً عن إحباط أجره من الله، وعدم استحقاقه، بعد أن أضاعه بكلامه، ولو أنه حقق النظر فى ذلك، لعلم أن الفقير قد صار محسناً إليه، بقبوله ما هو حق لله، وطهارة لمال المتصدق، الذى يجب عليه شكرُ ربه، على ما أنعم به عليه، وقد وجب أن تكون العلاقة خالصة لله، ومبنية على الشكر، وغير موجهة إلى الفقير، وتقليل شأنه، وليس ذلك من شأن عباد الرحمن، الذين يحرصون على رضى الله (سبحانه وتعالى)، وعدم إلحاق الضرر والأذى بالأخرين، والله يهدينا إلى صراطه المستقيم.

---

[1] من كتاب أدب الدنيا والدين – للماوردى – صـ ٢٥١.

[2] نقلاً عن فتح البارى جـ ٣ صـ ٣٥٠.

٢٠ـ التواصي بالحق والصبر والمرحمة

تتعدد جوانب التواصى فى القرآن الكريم، وفى السنة النبوية بما يتناسب مع الدافع إليه، سواء أكان من الموصى أم من الموصى إليه.

ويأخذ التواصى شكلاً متميزاً ومتجلياً، فى أخلاق عباد الرحمن، حيث يوصى الواحد الآخر بالحق، والخير، وسائر الأخلاق الإسلامية، هذا الذى يرتبط بتواصٍ آخر، يسمو بالأخوة إلى مرتبة علياً من المحبة والتقدير.

١ـ الوصية والتواصى فى القرآن والسنة:

إن للوصية أحوالاً متعددة، ومن معانيها: أداء النصيحة للآخرين، أو الوعد بالعطاء المادى أو المعنوى فى الحياة، أو لما بعد الموت، وتكون من الله (سبحانه وتعالى) إلى الخلق فى صورة تكليف إلهى فى العبادات، أو المعاملات الخاصة بالبشر، وتكون فى مجال الدعوة من رسول الله ﷺ إلى الأمة الإسلامية، وتزداد وتتواصل الدعوة إلى عباد الله فى عصره وإلى نهاية الحياة، وتكون الوصية من إنسان إلى آخر بشكل عام، أو فى مجال الدعوة إلى الخير وهو كثير، أو إلى جهة اعتبارية، تُناط بها أعمال البر والمعروف.

أما التواصى فيحمل معنى الوصية، ولكنه يكون بين اثنين وأكثر، فهو نوع من التبادل الإيجابى فى الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، والصفات النبيلة، وبحيث يوصى كل واحد الآخر، وغالباً ما يكون ذلك فى الخير، إذن فمعنى تواصى الناس: أى أوصى بعضهم بعضاً، ووصاه بالشئ أى: رغّب إليه فى أن يفعله ويلتزم به، كما تُلتزم الوصية فى بعض أحوال الميراث، التى تتقدم عليه، فيما يخص بعض الأقارب، فيمن ليس لهم أنصبة، مقررة فى الشرع؛ للتنفيذ بعد الوفاة.

ومما ورد فى القرآن الكريم عن الوصية من الله تعالى إلى عباده، قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[1]، كما تكون منه (سبحانه وتعالى) إلى

---

[1] سورة العنكبوت الآية رقم ٨.

سائر الأنبياء والرسل، فقال تعـالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1].

وتكون الوصية من إنسان إلى آخر فى الحياة أو بعد الممات، ويكثر ذلك، فى آيات الذكر الحكيم بخصوص الميراث، وحقوق اليتامى وسائر الضعفاء من الورثة وغيرهم، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾[2].

إن التعبير بالوصية يؤكد حتمية الالتزام بما جاء فيها، وعدم الخـروج عليها، أما فيما يتعلق بالسنة، فقد نقل الرسول ﷺ إلى أصـحابه كثيـراً مـن الوصايا، التى اختار التعبير فيها بلفظ "أوصانى" وغيرها مـن تـصريفات هـذه الكلمة، مثل قوله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»[3].

٢ـ أحـوال التواصـى:

ورد فى القرآن الكريم التواصى بالخير، فى شأن ثلاث صفات أو أخلاق من أخلاق القرآن الكريم، وهى: الحق، والصبر، والرحمة، وهى من أخص ما يلتزم به عبادُ الرحمن، وقد وردت هذه الصفات فى موضعين بالقرآن الكـريم، حيث ورد فى ذكر الحق، ثم ورد ذكر الصبر، مكرراً فى موضعين، ثم كانـت الصفة الثالثة وهى الرحمة، والتى عبر القرآن عنها بالمرحمة، ومجموع ما ورد فى هذين الموضعين، قول الحـق سـبحانه وتعـالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[5].

---

[1] سورة الشورى الآية رقم ١٣.
[2] سورة النساء الآية رقم ١١.
[3] رواه أحمد فى مسنده جـ ١٩ صـ ٤١٢ ، والبيهقى.
[4] سورة العصر الآية رقم ٣.
[5] سورة البلد الآية رقم ١٧.

وقد أعطى القرآن الكريم هذه الأخلاق عناية خاصة، فكرر لفظ "وتواصوا" مع كل خُلق على حدة، دلالة على شدة الارتباط بينهما، ولأهميتهما القصوى فى حياة المؤمنين، وخاصة عباد الرحمن، الذين يمتثلون للأمر الإلهى بشأن الأخلاق الحميدة، وليكونوا قدوة ونماذج هادية للبشر. ففى سورة العصر، بدأت الوصاية بالحق، الذى يحتاج الالتزام به إلى الصبر، وهى آى الحق ضد الباطل، ولا يوصى به إنسان إلا إذا كان عليماً به، وحريصاً عليه.

والحق هو الأمر الثابت الذى لا يتسرب الشك إليه، ومن معانيه: أنه اسم من أسماء الله تعالى، وهو بمعنى التوحيد، والقرآن الكريم هو الحق. وهكذا تتسع الكلمة؛ لتشمل أموراً كثيرة تتعلق بالمسلم، من خلال عبادته لربه، وإيمانه بدعوة الإسلام، وتفعيل رسالته فى الحياة، فيوصى بما لديه من المعارف الإيمانية، والحقوق الثابتة، متوجهاً بها إلى سائر عباد الله المتقين.

ولذلك كانت البداية فى الوصاية به فى سورة العصر، أما الصبر فهو سبب للفضائل، ودلالة على قوة العزيمة، ومحاصرة النفس، وحسنُ التعامل مع المكروه بتحمله، وعدم اليأس من إمكانية التحول به إلى الفرَج، والانفلات من مراحل الضعف، والخزلان، والتراجع.

وللصبر مجالات واسعة فيكون فى الابتعاد عن المعاصى، والاستمرار فى الطاعات، وعلى كل من يبتلى الله به عباده من المكاره والمصائب، التى لا يقدر على حملها والتصدى لها إلا الأقوياء بالله، الذين تأهلت نفوسهم على الرضا بالقضاء، والصبر على الإيذاء، ولذلك تكررت هذه الصفة القرآنية فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وكانت دعوة إسلامية محمدية، تجلت لصورة كاشفة خلال الممارسة الفعلية؛ لنشر الدين الجديد فى مكة والمدينة من حياة الرسول ﷺ، ومن الواجب على أمة الإسلام، التمسك بهذا الخلق، والدعوة إليه، والتوصية به. والخلق الثالث: هو التواصى بالمرحمة، ذلك أن دعوة الإسلام قد بدأت فى جانبها الإنسانى بالعطف، والتراحم على الفقراء والمساكين، وسائر ذوى الحاجات، ممن هم فى حاجة ماسة إلى عطف الآخرين عليهم، هؤلاء الذين يتأهلون؛ ليكونوا من أصحاب الميمنة، وهم أهل الجنة والنعيم.

ويكون التواصى بين المؤمنين ابتداءً، من خلال القرآن الكريم في الدعوة إلى هذه الأخلاق الحميدة، التى يتميز بها عباد الرحمن.

وقد ورد التواصى فى الضلال والمنكر فى موقف واحد بالقرآن الكريم، وذلك بين الطغاة المشركين، حيث كان يوصى الواحد منهم الآخر، بأن يؤذى رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾(١).

وقالوا إنه تخفيف على سيدنا محمد بإخباره بأن ما جاء به قومه، ليس بدعاً مختصاً بهم، ولكنه شأن الأمم السابقة عندما يأتى إليهم رسول، فيقولون عنه: ساحرٌ مجنون.

٣ـ بعض السلوكيات الخالدة في مسيرة الدعوة الإسلامية:

ترصد السيرة الذاتية، وتاريخ الصحابة وسائر التابعين من عباد الرحمن، العديد من الأحوال، التى تتجلى فيها الأخلاق الحميدة، والتى تأتى انطلاقاً من حرص المسلم على أخيه، فيحب له ما يحب لنفسه، ويدعوه إلى الخير، ويحضه عليه، وينهاه عن الشر، ويكرِّهه فيه، فمن معانى التواصى: الإخلاص فى النصيحة للآخرين، وقد ذكر الطبرانى من طريق عماد بن سلمة، عن ثابت عن عبدالله، حصين، قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا، إلا على أن يقرأ أحدهم على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يسلم أحدهم على الآخر، وكان الواحد من الصحابة عند افتراقه عن أخيه، يطلب منه النصيحة، قبل أن يفترق بهما المجلس، فيقول له: أوصنى، فيقول الآخر: أوصيك بتقوى الله سبحانه وتعالى.

تلك هى بعض أخلاق الإسلام التى يجب العمل بها، والدعوة إليها، فى كل زمان ومكان، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) سورة الذاريات الآية رقم ٥٢-٥٣.

٢١ـ تجليـــات الإيثـــار

يُعد المسلمون فى المدينة بعد الهجرة، من أفضل النماذج الإنسانية التى التزمت بالإيثار، وتقدير الآخرين وتقديمهم على أنفسهم، بما يملكون من قـدرة مادية ومعنوية، لا يضنون بها، وإنما يدفعونها إلى الآخرين، حتى لو كانوا هـم أنفسهم محتاجين إليها، فى صورة حضارية فريدة.

١ـ معنى الإيثار وتأثيره على وحدة الأمة:

معنى **الإيثار:** هو أن يقدم الإنسان الآخرين على نفسه، كـأن يفـضلهم ويعطيهم ما قد يحتاجون إليه، سالكاً هذا التوجه، الذى يمحق الأنانية والأثـرة، مراعياً احتياجاتهم ومفضلاً لهم قبل أن ينظر لرغباته واحتياجاته، فأساسُ معنى الإيثار هو: التفضيل، وقد وردت الكلمة فى حق سيدنا يوسف (عليه الـسلام) إذ خاطبه الله (سبحانه وتعالى) بلسان إخوتـه، فقـال تعـالى: ﴿ **قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ** ﴾[1].

وجاءت الكلمة بالمعنى نفسه فى أكثر من موضع بالذكر الحكـيم، كمـا وردت فى سورة الحشر بحق الأنصار، فقال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[2] وفى ظلال الإيثار، تتكشف سلبيات الحياة بما فيها من نماذج رديئة للأثرة، وهى إمساك الإنسان للخير عن أخيه، بما هو فى حاجة شديدة إليه

ويأتى الإيثار فى بعض صوره عن اختيار الطاعة لله، والتمسك بها فى مواجهة الانحراف، والشطط، والاستجابة لشهوات النفس، التى قد تأمر بالسوء، لكنها ربما تلوم نفسها، فتمطئن إلى عفو الله وكرمه، أى أن يؤثر الإنسانُ طاعة الله والعمل بها متحاشياً غضبه ومقته (سبحانه وتعـالى) ، دون أن يـضع أى

---

[1] سورة يوسف الآية رقم ٩١.

[2] سورة الحشر الآية رقم ٩ ، ومعنى خصاصة: أى فقر.

اعتبار لغضب البشر، تلك المعادلة الإيمانية، التى يبنغى للمؤمن أن يراعى فيها متطلبات الإيمان، وإرضاء الله، كما تتحقق بهـا أيـضاً، مـؤازرة المـؤمنين المحتاجين للعون والمساعدة؛ إنقاذاً لمعاناتهم واحتياجاتهم، التى لا تخالف شريعة الإسلام، فتقديم الإنسان للآخرين على نفسه، لا يقتصر على المال أو غيره من حظوظ الدنيا، بل يصير مسلكاً إيمانياً يشمل الدنيا والآخرة، وقليل من يتـصف بهذا الخلق الإسلامى الراقى، الذى تمحى فيه الأنانية وتقديس الـذات، وعبـادة الهوى بالصدق فى النصيحة للآخرين، ووضعهم فى اعتبارات المسلم وتقديراته، مراعياً احتياجاتهم قبل أن يفكر فى نفسه، وفى سائر شؤونه المادية والمعنويـة، فيجوع ليشبع الآخرون، ويظمأ ليرتوى العطشى، بل قد يموت فى سبيل السعى إلى إحياء عباد الله.

٢ـ آيـة الإيثـار فى سـورة الحشـر:

جاء الحديث عن الإيثار فى مقام التصدق بالمال وتفـضيل المـؤمنين، ومحبتهم، وذلك فى الآية التاسعة من سورة الحشر، التى قال الله (تبارك وتعالى) فيهـا: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وكان ورود هذه الآية بعد حديث القـرآن عن المهاجرين، الذين أخرجوا من ديارهم، تاركين أموالهم، باحثين عن نـصر الله لهم، أما آية الأنصار، فقد كشفت عما يتميزون به مـن محبـة وإخـلاص للمهاجرين، وكان التعبير عن الإيثار فى قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وقد روى الترمذى عن أبى هريرة: «**أن رجلاً بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نومى الـصبية، وأطفـئ السراج، وقربى للضيف ما عندك، فنزلت هذه الآية**» [2].

---

[1] سورة الحشر الآية رقم ٩ ، ومعنى خصاصة: آى فقر.

[2] الجامع لأحكام القرآن جزء ١٨ صـ ٢٤.

وقد أضيفت إلى هذا الحديث الموجز، تفصيلات أخرى فى مرويات عن رسول الله ﷺ تؤكد كلها قيمة الإيثار، وتُعلى من شأنه، خاصة عما كان يحدث بين صفوة عباد الرحمن من المهاجرين والأنصار، فى المدينة المنورة، بعد وصول الرسول وأصحابه إليها.

٣ـ نماذج سلوكية بشأن الإيثار:

لقد كان الإيثار أبرز الصفات التى وضحت فى حياة الأنصار، وهم فى مرحلة التحول الكبير من الحروب، والعصيان، والقتل، والإبادة، والطغيان، إلى تقديم الآخرين، وتفضيلهم على أنفسهم حيث استقبلوهم وفتحوا لهم البيوت، وقدموا لهم الزاد والقوت، ودعوهم لمقاسمتهم الأموال والتجارة والمزارع والمراعى، إلى أن استقامت الأحوال، واعتدلت مسيرة الحياة، وأصبحوا جميعاً قوة متماسكة تساند الدعوة، وتصون الديار، وتحفظ العِرْض، وتزرع المحبة فى القلوب.

وتذكر السيرة النبوية أن الرسول ﷺ لما غنم أموال بنى النضير، دعا الأنصار لملاقاته، وشكرهم على سلوكياتهم مع المهاجرين، حيث أنزلوهم فى منازلهم، وأشركوهم فى أموالهم، وقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن شئتم قسمت للمهاجرين من درياكم وأموالكم، وشاركتموهم فى هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم درياكم وأموالكم، ولم تقسم لكم من الغنيمة شيئاً**».

فقال الأنصار: «بل تقسم لإخواننا من ديارنا وأموالنا، ونؤثرهم بالغنيمة» فنزلت الآية. فهذا الموقف الجماعى، الذى شمل الأنصار فى عصر المبعث النبوى، كان علامة فارقة وبارزة فى مسيرة الدعوة، خاصة ما اتصل منها بالأنصار، الذين صاروا مع إخوانهم المهاجرين قوة معضدة للرسول، ودافعة للإسلام إلى الأمام بخطوات راسخة، وأقدام ثابتة صارت فيما بعد دستوراً عاماً، وخلقاً تتوحد به الأمة فى مواجهة التردى والفساد.

وانتقل الإيثار من الأنصار في حق إخوانهم المهاجرين إلى الرسول ﷺ الذى كان المسلمون يقدمون حمايتهم له على دفاعهم وصيانتهم لأنفسهم، وتجلى ذلك بصورة فريدة، عندما كان البطل الأوحد فيها هو على بن أبى طالب، الذى نام على فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة؛ ليموه على المتربصين بالرسول ﷺ ولا يعلم متى تتخطفه الأيدى؛ لترقى به في غياهب المجهول، وكان حبه - مع حداثة سنه - لرسول الله يغلب حبَّه لنفسه، وحرصه على حياته، والمواقف كثيرة فى مسيرة الدعوة الإسلامية تشمل عباد الرحمن من الرجال، والنساء، ومن الصحابة، والتابعين، وهذه عائشة (الصديقة بنت الصديق) تقدم فى حياة أمير المؤمنين وخليفتهم عمر بن الخطاب، إيثاراً مختلفاً فى قوته، وعظمته، وسموه، ورفعته عن أى إيثار آخر.

ذلك أنه لما طُعن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال لابنه عبدالله: **«يا عبد الله بن عمر: اذهب إلى أم المؤمنين، فقل لها: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبى[1]، فقالت: كنت أريده لنفسى فلأؤثرنه على نفسى، فلما عاد عبدالله، قال له أبوه: ما لديك؟ فأجاب: أذنت لك يا أمير المؤمنين».**

إن الإيثار سلوك إيمانى رفيع، تمحى فيه أنانية الإنسان وذاتيته، فى سبيل محبة الآخرين وتقديرهم، والحرص عليهم، وكانت سلوكيات الرسول، وأصحابه من المهاجرين والأنصار كثيرة ومعبرة فى عصر البعثة، ثم تواصلت المسيرة مع عباد الرحمن، الذين تتجلى فيهم عظمة الإيمان، والالتزام بالقرآن الكريم، وبالسيرة النبوية الخالدة.

---

[1] يقصد النبى ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه.

٢٢- الوفاء بالعهود والوعود وسائر الحقوق

الوفاء: خلق إسلامى قويم، يحرص عليه، ويلتزم به الصادقون من عباد الرحمن، الذين يرون الحياة تطبيقاً سلوكياً، للأخلاق الفاضلة، وخاصة الوفاء الذى تتعدد أحواله المادية والمعنوية، والتى يتميز بها إنسان عن آخر.

١- معنى الوفاء فى ضوء القرآن والسنة:

معنى الوفاء هو: التزام من الإنسان بما عليه من حقوق لله ولرسوله وللمؤمنين، وتتعدد صوره وأحواله، وأعلاها ما كان فى حق الله (سبحانه وتعالى) حيث قال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[١]، وهو صفة من صفات أنبياء الله ورسله، فقال تعالى فى حق خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[٢].

وتحدث القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة عن خلق الوفاء، ذلك أنه صفة المؤمنين الأخيار الذين يوظفون عقولهم، ويوجهون إدراكاتهم إلى الالتزام بعهد الله، وحتمية الوفاء به، وعدم الوقوع فى شرك الشيطان، والخضوع له، بالمخالفة لما عاهد الله عليه الخلق منذ بداية وجودهم فى الحياة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[٣].

ولقد كانت حياة الرسول ﷺ مدرسة لأصحابه، تعلموا فيها صدق الوعد، والوفاء بالعهد، وحفظ الحق، وصيانة النفس، من ضلالات الشيطان، فتحولوا بعقائدهم من النطاق النظرى إلى الحيز السلوكي؛ تعبيراً صحيحاً عن خلق الوفاء، الذى يتجلى فى أمور حياتية كثيرة.

---

[١] سورة الزمر الآية رقم (٧٠).
[٢] سورة النجم الآية رقم (٣٧).
[٣] سورة الرعد الآية رقم (١٩ – ٢٠).

٢- أنواع الوفاء (صوره وأحواله):

يتجلى الوفاء في أعلى صوره، وأسمى درجاته، من خلال الالتزام بعهد الله (تبارك وتعالى)، والعمل بما ذكره الرسول ﷺ؛ ليعمل الناس به، دون أن يقتصروا فيه على القول دون الفعل، كما يكون الوفاء فيما نصت عليه السنة في كافة أحوالها، والوفاء بالعهد من أفضل الأخلاق، التي يتحلى بها المؤمنون، الذين عُدوا من عباد الرحمن المتقين الذين قال الله في حقهم: ﴿**وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ**﴾[١]، ويكون الوفاء التزاماً بما فرضه المؤمن على نفسه من طاعات، مثل النذر، الذى يلتزم الوفاء به، قال تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا**﴾[٢].

ويجب على المؤمن أن يفي بما وعد به الآخرين، كالدَّين الذى يقترضه الإنسان إلى أجل محدد، فلا ينبغي تجاوزه، وإلا احتسبت هذه المخالفة نفاقاً، لا يليق أن يخترق عقيدة المؤمن الذى حُمل بأمانة التكاليف، وتحتم عليه أن يلتزم بها، ولا يتخلى عنها، وإلا كان موصوفاً بعلامة من علامات النفاق، كما قال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث إذا حَدَّث كذب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[٣].

ومن أنواع الوفاء التى لا يقدر عليها إلا الأقوياء بالعقيدة، الذين يثقون فى ذات الله (سبحانه وتعالى)، ولا ينهزمون أمام أطماع الدنيا وزخرفها وإغراءاتها، ويتجلى ذلك في الوفاء بالكيل والميزان، ذلك الأمر الذى تلقاه المؤمنون، فعملوا به، وحرصوا عليه، قال تعالى: ﴿**أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ**﴾[٤].

---

[١] سورة البقرة الآية رقم ١٧٧.

[٢] سورة الإنسان الآية رقم ٧.

[٣] رواه مسلم، والترمذى، والنسائى.

[٤] سورة الشعراء الآية رقم ١٨١-١٨٢.

وُيَعُدُّ الوفاء بالعقود المبرمة بين البشر من أوجب الصفات، أو الحالات التى ينبغى عليها كل مسلم أن يلتزم بها؛ لأنها خاضعة – فى معظم أحوالهـــا – للأموال والأعمال المترتبة عليها، إذ يعد الوفاء بما تم التعاقد عليه سمة مميـــزة لكل راغب فى تنقية سلوكه من كل ما يلوثه ويسئ إليه، قـــال تعـــالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾**[1]، وقد أبان الرسول ﷺ ذلك بقوله: **«المسلمون عند شروطهم»**[2]. تلك هى بعض تجليات الوفاء الإنسانى التى يجب الالتـــزام بها، وعدم التخلى عنها، ومن أجل ما ينبغى للمسلم أن يحرص عليه، هو الوفاء لبعض البشر، الذين كانوا ملء السمع والبصر، ثم توارت مظاهر البهجة عندهم، والاحتياج إليهم، وصاروا بعيدين عن الأضواء وانصرف الناس عنهم، فصاروا لا يولونهم أية أهمية، فيشعرون بالأسى والحسرة، ويندبون حظوظهم، وغـــدر الناس بهم، وعندما تأتيهم كلمة أو تصرف، يرد إلـــيهم اعتبـــارهم، يـــشعرون بالبهجة والسرور، ويتحدثون بالخير عمن أحسن إليهم، ولو بتصرف بسيط، ينم عن الوفاء، ولا يكلف شيئاً، ذلك الذى يعد فى عرف البشر وفاءً ما بعده وفاء.

٣ـ نماذج سلوكية معبرة عن صفة الوفاء فى حق عباد الرحمن:

يعد الوفاء للزوجة نموذجاً للوفاء المقدس السامى، الذى تجلى بوضـــوح فى حفظ الرسول ﷺ بعهد زوجته أم المؤمنين السيدة خديجة –رضى الله عنها وأرضاها– فقد عاشت مع رسول الله ﷺ مواسية له بما لها، ومنجبة لبناته، ثـــم توفيت فى عام، عانى الرسول ﷺ فيه من آثار الحزن كثيراً، وعنـــدما كانـــت تذكر سيرتها، لم يكن يتحدث عنها إلا بالخير والثناء والاعتـــراف بمـــا قدمتـــه للإسلام، كما امتد وفاء الرسول ﷺ إلى حاضنته أم أيمن، ومرضـــعته حليمـــة السعدية، وغيرهن من البشر رجالاً ونساءً، الذين كان سلوك الرسول معهم قدوة

---

[1] سورة المائدة الآية رقم (١).

[2] رواه البخارى، وفى رواية المؤمنون عند شروطهم.

راقية متحضرة، سار على نهجها الكثيرون من الصحابة والتابعين، ولا زالت مسيرة الإسلام تكشف كل يوم عن أنماط جديدة من عباد الرحمن، الذين يفيئون بتصرفاتهم الأنوار في طرائق الإيمان.

وكم كان رسول الله ﷺ حافظاً لما عاهد عليه أهل مكة في صلح الحديبية، مع أنهم لم يلتزموا بشيئ، وبقي ﷺ نموذجاً للحفاظ على العهود، التي أبرمها، والوفاء بالحقوق والواجبات مع المؤمنين وغيرهم، ولم ينس ما كان من أبي بكر الصديق، فكان يتحدث عنه، ويثني عليه، ويذكر أفضاله ومواقفه، التي بقيت خالدة في صحائف التاريخ.

٢٣ـ تجنب إيـذاء الآخريـن

وضع الإسلام حدوداً فاصلة بين ما يصح قوله وفعله فى شأن الآخرين وما لا يصح، وفى ظلال ذلك، يحرص عباد الرحمن على متطلبات الإيمان، بالعمل الصالح وعدم إيذاء المؤمنين.

١ـ حديث القرآن والسنة عن الإيذاء:

إن معنى **الأذى** هو: الضرر، ويكون بالقول، والفعل، أو بهما معاً، وذلك ما يتنافى مع حقوق الأخوّة، التى وضع الإسلام معياراً لها، بحيث يتحقق بها الالتزام السلوكى، مما يسهم فى تثبيت دعائم الإيمان، وأفظع ما يكون الإيذاء، عندما يوجه إلى الله وروسوله، إذ جاء النهى عنه صريحاً مباشراً، لا يحتمل التأويل، قال تعالى فى النهى عن إيذاء الله ورسوله: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾[1].

وقد ذكَرت الآية هؤلاء المتجاوزين لحدود الأدب مع الله ورسوله، باستحقاقهم للعنة فى الدنيا والآخرة، وعقابهم بالعذاب المهين، بعد محاسبتهم على ما اقترفوا من ذنوب وآثام، سواء أكانوا مشركين بالله ورسوله، أم مهينين للعقيدة، والزعم بتعدد الآلهة، أو أن يكونوا قد خلَعُوا أزياء الإيمان، وألحقوا الأذى بالشريعة الإسلامية، فى عصر البعثة المحمدية، أو بعدها فى زمن لاحق إلى أن تقوم الساعة.

وقد جاء فى سورة الأحزاب بعد الآية السابقة، التحذير من فعل الأذى بالمؤمنين والمؤمنات، بلا سبب يستحقون عليه ما لحق بهم، فقال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾[2].

---

[1] سورة الأحزاب الآية رقم (٥٧).

[2] سورة الأحزاب الآية رقم (٥٨).

٢ـ صور الإيذاء للمؤمنين والمؤمنات:

تتعدد صور الأذى بالمؤمنين والمؤمنات: فمنه ما يكون إيذاء فطرياً طبيعياً، يتوافق مع الخِلْقة الإنسانية، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى**﴾[١].

ويكون الأيذاء قولاً وفعلاً، بأحوال شتى، تختلف من عصر إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، لكن كثيراً من الأذى ثابت، لا يتغير ولا يتبدل، وقد اشتمل حديث الرسول ﷺ لهذا الأمر، بشكل عام، إذ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَنْ هجر ما نهى الله عنه**»[٢]، ويشتد تأثير الأذى على من لحق بهم، وذلك في حق الأقارب والجيران، الذين كانوا ينتظرون المودة، والرحمة، والتسامح، وحفظ الحقوق، ومراعاة الأحاسيس والتوجه الإيماني، فإذا ما انقلب الحال، وتحول القريب أو الجار إلى عكس ما كان متوقعاً منه، فيزداد الشعور بالأسى، وتتحول العلاقة الإنسانية إلى الأسوأ، مع أن متطلبات الأحوال تقتضي التراحم، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن الله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**»[٣]، وتتشد مضار الأذى، إذا تحدث المنفق إلى من تصدق عليه بالقليل أو الكثير، إذ يصحب ذلك التقليل من قدر الآخذ، وإشعاره بأنه دون الآخرين؛ لاحتياجه لمن يتصدق عليه، ويتحول الأذى اللفظي إلى تجريح لا يتوافق مع معيار العلاقة، التي تسود أفراد الأمة، موسرين ومعسرين، أقوياء ومستضعفين؛ لأن التعبير باستحقاق النفقة، والمن بالإعطاء، قد حذر التشريع

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

الإسلامى منه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[1]، وتحدث رسول الله ﷺ عن بعض ألوان الأذى، التى لا ينبغى للمسلم أن يتفوه بها فى حق الآخرين؛ لأنها تتنافى مع أصول المحبة والرحمة والتعاطف، تلك التى ينبغى أن تتظلل بها علاقة المسلم بغيره من الناس، فعن أنس (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: **«لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»**[2]، وقد رُوى هذا الحديث بروايات أخرى، تزيد وتنقص فى هذه الأحوال، التى حذَّر الرسول ﷺ منها، إذ ينبغى على المسلم أن يكون نوراً وضياء للآخرين، وليس شراً مستطيراً، يَهْدم ولا يَبْنى، ويُفرِّق ولا يجمع، وذلك مما ينعكس أثره على البنية المسلمة، والهيكل التنظيمى فى المجتمع، ومن صور الإيذاء أيضاً احتقار الآخرين والسخرية منهم، والتقليل من شأنهم، والتعالى عليهم، وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك، فقال ﷺ: **«بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه»**[3]، والاحتقار: هو درجة من الشر المستطير، وإهدار لحقوق الأخوة، التى رفع الإسلام شأنها، ونهى عن أى طغيان عليها؛ لأهمية مراعاتها؛ حتى تقوى الأمة، وتزيد الألفة بين أفراد المجتمع.

٣ـ الإيذاء العام لأفراد المجتمع، وضرورة النهى عنه:

لا يقتصر الأذى على توجيهه إلى فرد واحد، وإنما يمتد إلى جماعة صغيرة، أو يكون من جماعة لأخرى، وبذلك تزداد آثاره السيئة بزيادة أعداد

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٦٤)، والمن: تعدد النعمة على المُنْعمَ عليه، والمراد من الإنفاق فى سبيل الله أى فى الجهاد، والتقرب إلى الله.

(٢) متفق عليه، ومعنى تدابروا أى تعادوا وتقاطعوا، وجاء ذلك بسبب حديث الشخص عن أخيه من وراء ظهره، ومنه قطع الله دابرهم أى أفناهم.

(٣) رواه مسلم.

المتضررين منه، ولننظر إلى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾[1].

ويتمثل الأذى بجماعة المسلمين، فى إعاقة الناس عن السير فى الطرق العامة، بوضع المتاريس بلا سبب موجب، أو إلقاء القاذورات، والحيوانات النافقة، وفى ظلال ذلك، ينبغى مقاومة الأذى بالحسنى، دون إشعال لنيران الكراهية، مع التعامل مع هذه السلوكيات الضارة، بالهدوء والصبر الإيجابى الحكيم، وذلك شأن عباد الله المتقين، فقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه يصبرون على الأذى، ويوجهون المتجاوزين بالكلمة الحسنى، والموعظة الرشيدة، مما يسهم فى القضاء على المنكر، فى حدود القدرة والاستطاعة، وذلك شأن عباد الرحمن، الذين يمثلون مشاعل للهداية والإنارة للناس جميعاً.

---

[1] سورة الحجرات الآية رقم (١١).

٢٤ـ الحرص على إلقاء التحية، والرد عليها

يهدف الإسلام إلى نشر الهدوء والطمأنينة والأمن والسكينة بين النـاس جميعاً، ويتجلى ذلك تطبيقاً عند التقاء المؤمنين بعضهم ببعض، أو عند اجتماعاتهم وسائر تحركاتهم، فتكون المبادرة بالتحية الإسلامية، المشفوعة بالمودة والإيمان، ويجب بعدها الرد الحسن، وبأفضل ما قيل فى الابتداء.

١ـ دعـوة الإسـلام إلى إلقـاء التحيـة:

لقد تعددت ألوان الخطاب القرآنى، فى شأن الدعوة إلى إلقاء التحية على الآخرين، التى جاءت بأسلوب الأمر القرآنى الموجه إلى الرسول ﷺ، وسـائر عباد الرحمن المتقين، كما جاء الأمر نفسه فى البيان النبوى إلى سائر المؤمنين الصادقين، الذين يمثلون موضع الريادة والقدوة الحسنة إلـى النـاس جميعـاً، قـال تعـالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا** ﴾[١]، فإلقاء التحية والرد عليها سلوك إيجابى مزدوج، ينهض المسلم بـه أولاً؛ ليشيع البهجة والمودة والرحمة بين المتقابلين، كاشفاً لأى سـلوك معـوج شائن، يمكن أن يشمل الناس عند الالتقاء.

فقد روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف**»[٢]، وقد ورد الأمر بإلقاء السلام، مقترناً بالإطعام فى كثير من الهدى النبوى؛ لما فى الإطعام وإرواء الظمأ، من أثر إيجابى فى نشر الهدوء والطمأنينة بين النفوس، عندما تتعانق فى إبراز معالم الـصورة المثلـى للمجتمع المسلم، بما فيها من محبة ومودة وإيمان.

---

[١] سورة النساء الآية رقم (٨٦).

[٢] متفق عليه، ومعنى أى الإسلام خير: أى أكثر ثواباً عند الله تعالى.

وفي ذلك، روى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أو لا أدلكم على شيئ إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»**[1]، فالهدف من هذه الصنائع الإيمانية واضح في توثيق عُرى المحبة بين القلوب، التي ربما تكون متباعدة، فيكون السلام المظلل بالإيمان، دافعاً وحافزاً قوياً؛ لإنبات المحبة في القلوب، واقتلاع بذور الشر من النفوس، وزيادة أواصر الألفة والقربى بين عباد الرحمن، وغيرهم من سائر البشر، وقد ورد الأمر القرآني بإلقاء التحية على أهل بيت المسلم، وسائر أقاربه، ممن يحل له الأكل من طعامهم، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[2]، وتلك هي التحية الطيبة، التي ينبغي أن تكون منهاجاً للمسلم عند التقائه بسائر عباد الله المتقين.

٢- أساليب إلقاء التحية والرد عليها:

لقد وضع الإسلام للتحية بين عباده أعظم شعار، وأصدق دلالة، وهو "السلام عليكم" تلك الجملة الإخبارية التي تتضمن الدعاء بالسلامة من المسلم إلى مَنْ ألقى عليه هذه البشارة بالسلام، الذي جعله القرآن، تحية للمؤمنين، يوم لقائهم بربهم جلَّت قدرته، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[3]، ويتجلى الدعاء بالسلام في التحية بين المؤمنين، فعندما يشرع المسلم في التلفظ بها، ويستكمل نطقها، يتضح البيان بها في الدعاء منه، بأن يكتب الله للإنسان – المستقبل لها – السلامة في بدنه وعمله وماله وسائر أهله، مما يشيع جواً من

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة النور الآية رقم (٦١).

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم (٤٤).

العَبق الإيمانى عند اللقاء، وعليه فيلزم ممن ألقيت عليه التحية، أن يحسن تقديرها، ويجيب عليها بأحسن مما سمع، وإلا فيكون الرد بمثل ما قيل له، وذلك ما جاء الأمر به فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[١].

وقد تحدث العلماء عن كيفية السلام، والرد عليه، على النحو التالى: إذا قال **الأول** (فرداً أو جماعة) السلام عليك، يقول الآخر (فرداً أو جماعة) وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال الأول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يقول الآخر: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال الأول هذه العبارة للتحية، بما فيها من ألفاظ السلام والرحمة والبركة لم يكن أمام الآخر إلا أن يرد التحية بمثل ما قيلت له، مشتملة على الأمور الثلاثة المذكورة، ويترتب على إلقاء التحية بالسلام، أن يأمن الملقى على نفسه، فلا يوصف بغير الإيمان ولا يستحق إلا الإكرام والاحترام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[٢]، ويكون البدء بالسلام عند اللقاء، الذى يمكن الاكتفاء به، ويجوز أن يقترن ببعض الأفعال الأخرى مثل: المصافحة: وهى وضع اليد فى اليد عند المقابلة، مع اقترانها بالمحبة والإشعار بالبهجة والألفة، وقد كانت سلوكا إيجابياً مثمراً بين أصحاب النبى ﷺ، وهم الأخيار من عباد الله المتقين.

وقد رَوى البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال: **«ما من مُسلمَين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا»**[٣]، ومن السنة على من أُلقيت عليه تحية الإسلام، القيام لأهل الفضل؛ لما لديهم من علم، وشرف، وصلاح، وتقوى، فهذا يحفز الناس على الاتصاف بأوصافهم، التى هى محل للتأسى

---

[١] سورة النساء الآية رقم (٨٦).

[٢] سورة النساء الآية رقم (٩٤).

[٣] رواه أبو داود والترمذى بسند حسن.

والاقتداء، بشرط ألا يكون ذلك استجابة لرغبة منهم، فى ضوء ما روى عن رسول الله ﷺ إذ قال: **«من أحب أن يَمْثُلَ له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار»**[1]، وعليه، فإن ما يَتّبع السلام من المصافحة، والقيام لأهل الفضل، والمعانقة، وتقبيل اليد، تخضع للباعث عليه من الطرفين، فإن كان الهدف إجلالاً وتقديراً، فنعم الصنيع ذاك، وإن استهدف التصرف سوى ذلك فمنهيّ عنه، وغير مقبول على الإطلاق، وكثير ما كان الرسول ﷺ يقول لأصحابه، أو يقولون له عند اللقاء بعض الجمل الدعائية المصاحبة للسلام، مثل: (مرحباً بك، فداك أبى وأمى ، ولبيك وسعديك، وحفظك الله، وأضحك الله سِنّك، وغيرها، مما روى عن رسول الله ﷺ، إذ ينبغى فى كل الأحوال، أن يُقابل الشخص بما يستحقه من تقدير وإجلال، وأى زيادة أو نقصان فى الاستحقاق للتحية، لا تثمر خيراً، وربما أنبأت عن شر مستطير، يحرق حبال الوصال بين المؤمنين، فقال ﷺ: **«أنزلوا الناس منازلهم»**[2].

٣ـ بعض الصور المرفوضة فى التحية والرد عليها:

تحدث العلماء عن بعض المعايير التى يجب مراعاتها عند إلقاء التحية والرد عليها، مثل: سلام الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، وقد كان الرسول ﷺ يسلم على الصغار، ويرشدهم إلى الهداية، ويكون السلام بين الرجال والنساء، ما لم يكن ذلك مقترناً بقصد سيئ، إذ أن الهدف من إلقاء التحية، هو نشر المحبة والوئام، ومن الصور المرفوضة، التحول بالتحية إلى إذلال النفوس وإهانتها أمام غرض دنيوى زائل، وكذلك ما نشاهده فى الحياة المعاصرة من التقبيل بين الرجال، أو إظهار الضعف والهوان بالانحناء، الذى يتنافى مع هيئة المسلم وهيبته.

---

[1] رواه أبو داود والترمذى بسند حسن.

[2] رواه أبو داود ومسلم ، ومعنى أنزلوا الناس منازلهم، كما ذكر فى هامش التاج: أى راعوا أقدارهم ومراتبهم، وتفضيل بعضهم على بعض فى القيام والمجلس.

فعن أنس (رضي الله عنه)،قال: قال رجل: **«يا رسول الله: الرجلُ منا يلقى أخاه أوصديقه، أينحنى له؟ قال: لا**[1]**، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قـــال: لا**[2]**، قال: إفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم**[3]**».**

وقد كشف الحديث عن بعض السلوكيات الشائنة، التى لا تعبر عن جمال الإسلام وجلاله وروعته، وكماله، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

(1) كما يفعل بعض الناس فى التحية.

(2) قال محقق كتاب (التاج الجامع للأصول) فى هامشه إن التقبيل لا يكون إلا لخواص الأصحاب بعـد الغيـاب لزمن طويل، أو لتهنئة بعيد ونحوه.

(3) رواه الترمذى بسند حسن

٢٥ـ التسامح

يكشف تاريخ الصحابة والتابعين، عن تميزهم فى العبادة، والتأمل فى بديع صنع الله، وأن تصرفاتهم الخاضعة لدعوة الإسلام، تدلل على محبة عميقة لدينهم، وتواصل حميم مع الآخرين فى كل تصاريف الحياة... فى البيع والشراء، وفى سائر المعاملات، فيما بينهم، أو من خلال علاقاتهم مع أهل الأديان الأخرى.

١ـ الإسلام دين التسامح والمحبة:

يرتبط التسامح منذ بداية الإسلام بحرية العقيدة، وعدم الإكراه، وقد عُرضت الدعوة المحمدية على أهل مكة، بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يتأثر الرافضون للدين فى بداية عصر المبعث بمخالفتهم للرسول، وتصديهم له، وملاحقة رجاله، خاصة أن هؤلاء كانوا ضعافاً، وأن آيات القرآن الكريم كانت متتالية النزول على الرسول فى مكة، ثم فى المدينة، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وجاء ذلك مرتبطاً بخلق التسامح، وعدم رفض الرأى الآخر والأدب فى الحوار، خاصة فى المعاملات التى ترتبط بالبيع والشراء.

وكانت الحياة فى المدينة المنورة، خاضعة لموروث جاهلى قديم، يمكن أن يسيطر عليه الجشع، والرغبة فى التملك، مع الخداع فى الكيل والموازين، وما شابه ذلك من باقى السلوكيات التى تتمخض عن العلاقات الإنسانية، وما يشوبها من رغبات جامحة فى جمع الأموال.

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (٢٥٦).

ولقد ذكر الرسول أهمية السماحة فى المعاملات، فقال ﷺ: **«إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء»**[1]، وفى المواقف التى يحتدم فيها النقاش، تعود الأفضلية لمن يحكم السيطرة على نفسه، ويحسن توجيه سلوكه، فقال ﷺ: **«ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»**[2]، كما أن تحكم المؤمن وسيطرته على نفسه، يدلل على قوة إيمانية رائعة، تحسن توجيه الغاضب إلى الهدوء والسكينة؛ حتى تمر العاصفة بسلام، ذلك أنه فى هذه المواقف يكون التميز لمن يسيطر على جموحه، ويعرض عن هفوات الآخرين، بالصفح، والعفو، والتسامح.

والتسامح: صفة من صفات الله تعالى، ويتحقق بحق البشر، فى حدود المستوى الإيمانى للمؤمن، وقد كانت الكثرة من عباد الرحمن، حريصة على الالتزام بتهذيب النفس، والإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

٢ـ التسامح مع الناس جميعاً:

لا يقتصر تسامح عباد الرحمن على إخوانهم من المسلمين، وإنما يمتد إلى أهل الديانات الأخرى؛ لأن هذا الخلق القويم، ينبغى أن يتظلل به سائر البشر؛ حتى يعم الهدوء والتسامح وقهر الشيطان، الذى يتلاعب كثيراً بفكر بعض الناس، فتلتهب شرارات العداوة، ويحتدم الصراع، وتنمو الفتن، ثم تظهر أضواء التسامح، فتنتشر السكينة والمحبة، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[4]،

---

[1] رواه الترمذى.

[2] رواه البخارى برقم ٥٧٦٣ ومسلم برقم ٢٦٠٩.

[3] سورة الشورى الآية رقم (٤٠).

[4] سورة الممتحنة الآية رقم (٨).

ويتجلى التسامح الإسلامى، من خلال وجود القائد المظفر (عمرو بن العـاص) فى مصر، عند الفتح وبعده، إذ كان من السهل عليه أن يحول المصريين جميعاً إلى مسلمين، ولكنه لم يفعل ذلك، ولم يُجبر أحداً على الدخول فى الإسلام.

وفى سيرة عمر بن الخطاب، ما يشير بوضوح إلى التسامح العظيم، الذى سار عليه المسلمون فى تعاملهم مع أهل الأديان الأخرى، وخير مثال لذلك العهد الذى قطعه (رضى الله عنه) على نفسه لأهل القدس من النصارى، فقد أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وكنائسهم وصلبانهم، بحيث لا يكرهون على دينهم، ولا يضار واحد منهم فى نفسه، وأهله، وماله.

ولقد اهتدى المسلمون بهدى نبيهم فى حياته، وبعد وفاته، فعاشوا مع أهل الكتاب فى أخوة ووئام وصفاء، وذكر التاريخ الإسلامى: أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، قد ذهب لملاقاة النصارى فى كنيسة القيامة، ثم حضرته الصلاة بها، وكشف موقفه وتصرفه بعدم الصلاة فيها، عن تسامحه وإنسانيته، وذلك حتى لا يتخذها المسلمون مسجداً من بعده، ويحدث ما يمكن أن يعكر صفو العلاقات المتنامية بين المسلمين والنصارى.

وقد ترك موقف الفاروق أثراً عظيماً ورائعاً فى نفوس المسيحيين، الذين بادلوا المسلمين تسامحاً بتسامح، وذلك فيما أظهروه من خلال المبادرة الطيبة بإقامة مسجد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، فى المكان الذى صلى فيه، بعد أن أجبرته قيادته للأمة، وفهمه لأبعاد الموقف الطارئ، أن يؤدى الصلاة خارج الكنيسة المذكورة.

٣ـ نماذج سلوكية فى حياة عباد الرحمن:

إن من أفضل المواقف المعبرة عن التسامح فى الإسلام، هو ما كان من رسول الله ﷺ، عندما عاد من مكة المكرمة فاتحاً ومنتصراً، وحطم الأصنام، واعتلى الجبل، وأدار حواراً مع القرشيين، بعد أن كان منهم ما كان، فعفا عنهم، وتسامح معهم، وقال لهم كلمته الخالدة: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

وكان الرسول ﷺ قد توجه بعفوه وسماحته إلى عدد قليل من الأشخاص، الذين شكلوا فيما بينهم فريقاً للإضلال والإساءة، وامتدت سلوكياتهم المؤذية إلى الرسول، من خلال الطعن فى شرف زوجته الصديقة بنت الصديق، فيما عُرف بحديث الإفك، وذلك ما تحدث القرآن الكريم عنه فى سورة النور، التى كشفت أضواؤها براءة أم المؤمنين والمؤمنات (رضى الله عنها)، وقد أوضح النبى ﷺ قيمة العفو، والمنحة التى يهبها الله تعالى للمؤمن، الذى يحكم السيطرة على نفسه ساعة الغضب، فعن سهل بن معاذ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **«من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، يُخَيِّره من أى الحور العين شاء»**[1].

لقد ترك الرسول وأصحابه والتابعون لدعوته كثيراً من المواقف والسلوكيات الخالدة، التى تبرهن على قيمة التسامح، وأهمية هذه الصفة فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم من سائر الناس، وتبقى أكثر الأحداث الرائعة والمتميزة فى مسيرة الأمة الإسلامية، قدوة، وعبرة، ومثلاً لكل راغب فى إظهار عقيدته، وصورة دينه، بالشكل الأمثل الصالح للتأثر والاحتذاء. والله ولى التوفيق.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذى بسند حسن.

٢٦ـ الشجاعة في الحق*

تَمَيّزَ كثير من الشباب العربى فى الجاهلية بالشجاعة والرغبة الصادقة فى حماية الضعفاء، والدفاع عن القبيلة، فلما ظهر الإسلام، وهبطت أنواره على قلوب المؤمنين، تحولت الأفكار عند الرجال من العدوان والطغيان، إلى حسن التعامل مع المواقف، وذلك بالتفريق بين القتال لرد العنف وعدم القتال؛ لإحلال الكلمة مكان السيف.

١ـ أحوال الشجاعة عند عباد الرحمن:

إن صفة الشجاعة صفة عربية أصيلة، تميز بها العرب فى الجاهلية؛ لأن الحياة عندهم كانت مليئة بالقتال، إما مواجهة وإما كراً وفراً، وانتقلت هذه الصفة نقلة حضارية، تتناسب مع أنوار الإيمان، التى هبطت على مكة المكرمة، وما جاورها فى عصر المبعث النبوى، وكانت الشجاعة آنذاك محكومة بأخلاق الإسلام، ومنضبطة بتعليمات الرسول ﷺ، والتى اتجهت إلى السلوكيات الحميدة، التى كان على المسلمين أن يتحصنوا بها، وهم يجهرون بالقرآن، أو يجتمعون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، أو عندما يحيط الحصار بهم، وتتحكم القوة فى رقابهم، فيهجرون الوطن، ويهاجرون إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

والتاريخ حافل بالعديد من النماذج المسلمة، التى تذخر بها صحائفه، فالمسلمون فى بدر كانوا قلة مستضعفة، ولكنهم تحصنوا بالإيمان، ورفعوا لواء الحق، ودافعوا عن المدينة؛ حماية للدين والوطن، وكانت قوة العقيدة، والتحصن بالشجاعة، هما الفيصل فى حسم المواقف والأزمات، وليست الكثرة فى الرجال والعتاد، وكان الإيمان هو أقوى الأسلحة فى الدفاع عن الدين، فعن أبى موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل للنبى ﷺ فقال: **«الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فَمَنْ فى سبيل الله؟ قال: «من قاتل؛ لتكون كلمة الله هى العليا، فهو فى سبيل الله»**(١).

---

* نشر أوله فى جريدة "صوت الأزهر" بالعدد ٥٨٨ فى ٣١ ديسمبر ٢٠١٠م.

(١) اللفظ للبخارى (حديث ٢٨١٠).

ولعل قول الرسول ﷺ: «والرجل يقاتل ليُرى مكانه» موجه بمعناه إلى الشجاعة، التى تكون مصحوبة بالمراءة، التى تفقد الصفة الخلقية الحميدة كثيراً من محتوياتها العظيمة.

٢ـ صور وأحوال للشجاعة:

تتعدد صور الشجاعة وأحوالها؛ إذ أن هذه الصفة تعنى قوة الإرادة، وانتصار النفس على شهواتها، وأول استعمالات الشجاعة فى الدفاع عن الوطن، وحماية العقائد والمقدسات، وذلك شأن عباد الرحمن، منذ انتقالهم بآيات القرآن من مجال الحفظ والتلاوة، إلى حيز العمل والتنفيذ.

وتتجلى الشجاعة بصورة كبيرة وبارزة فى بعض العبادات، كالحج، تلك الفريضة، التى تحتاج إلى قوة وعزيمة، تلائم طبيعتَها، وما يكتنفها من سفر وارتحال، وقيام بأداء المناسك، وطواف بالكعبة المشرفة، وسعى بين الصفا والمروة، ومكْث فى يوم عرفة، وتحول إلى المزدلفة، ثم إلى مِنىً، وتتوالى أداء المناسك إلى طواف الوداع، وكل ذلك بالقوة على التحمل، والصبر على المَشقة. والشجاعة فى اقتحام الصعاب، كما تتجلى الشجاعة أيضاً، فى كثير من الأخلاق الإسلامية، مثل: الصبر عند المصائب، والقدرة على مواجهة المفاجآت المؤلمة، بلا تخاذل واستسلام.

ومما يؤسف له، أن بعض الناس ينهزمون أحياناً أمام إغراءات الحياة، وسطوة الأموال، وسائر شهوات الدنيا، فلا يتشجَّعُون أمام ملذاتها، ويضنُّون ببعض القيم، التى يجب عليهم الاعتصام بها والحفاظ عليها، وعلى عكس ذلك، تكشف الحياة الإسلامية عن صور متعددة للبطولة الإسلامية، التى وقف فيها بعض المؤمنين، مواقف ممتلئة بالعبر، والنصائح، والدلائل على مكافحة المنكر، والتصدى له بالأساليب الملائمة لمعطيات الإيمان.

ومن أمثلة ذلك: قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، التى تعتبر من أهم القضايا المهمة فى تاريخ الإسلام، حيث غدَّت من الأصول الخمسة لهذا الدين، والتى عرض لها علماء التوحيد والعقيدة، ونذكر فى ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلْبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1] ويخضع الأمر للاستطاعة، ووفق قول الله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[2].

٣ـ نماذج إنسانية للشجاعة:

تعطى سيرة أصحاب الرسول ﷺ نموذجاً فريداً للشجاعة الحقة، التى تجلت فى صدق وإيمان، وذلك بحق الصحابى الجليل، مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف، هذا التقى النقى الورع ، الذى أعلن إسلامه فى قوة وعزيمة، وسَعَى بإيمانه المتوهج، إلى حيث يوجد الرسولُ وأصحابه، ولم يكن ذلك –بأى حال من الأحوال– مريحاً لصناديد الكفر فى قريش، فاضطر مصعب ﷺ إلى حَبْس نفسه فى بيته، أو أن قومه قد حبسوه، وأحاطوا به، فاستشعر خوفاً على حياته، واهتدى إلى الحل الصائب، الذى تجسد فى الخروج إلى أرض الحبشة فى الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين العائدين إلى مكة؛ حتى يأذن الله بملجأ جديد، يحتمى فيه بعقديته، فكانت سفارته من الرسول إلى البذور المؤمنة، التى أخذت تنمو فى طَيْبة الطيبة، مدينة رسول الله المنورة، وبقى فيها متحملاً أمانة التبليغ إلى أن وصل الرسول، وسائرُ الطلائع المؤمنة، واستقر فى دار الهجرة، إلى أن كانت غزوة أحد، فاستشهد فيها تقياً ورعاً، ومؤمناً قوياً، وصابراً محتسباً.

---

[1] رواه الخمسة إلا البخارى.

[2] سورة البقرة الآية ٢٨٦.

يقول خبّاب بن الأرت ﷺ: «**هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله، نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى، ولم يأكل من أجره في دنياه شيئاً - منهم مصعب بن عمير - قُتل يوم أحد، فلم يوجد له شيئ يُكَفن فيه إلا نَمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه برزَتْ رأسُه، فقال لنا رسول الله ﷺ: "اجعلوها مما يلى رأسه، واجعلوا على رجليه من نبات الأذخر"**»[1].

وكانت شجاعة مصعب فى المدينة، محكومة بالتبعة التى كُلف بها، وكان يدعو الناس إلى الإسلام بأسلوب متميز، أهَّلَه لأن يتولى هذه المهمة الفريدة فى حياة الإسلام، ويذكر الرواة أنه بعد استشهاده فى غزوة أحد، مَرّ الرسول عليه مجندَلاً بين الشهداء، فقرأ ﷺ قول الحق تبارك وتعالى: **﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾**[2] وشهد الرسول له، ولرفاقه بأنهم الشهداء عند الله يوم القيامة، وأقبل على أصحابه الأحياء، فقال لهم: «**أشهد أنكم أحياءُ عند الله، فزوروهم، وسلِّموا عليهم، فوالذى نفسُ محمدٍ بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا إلى يوم القيامة**»[3].

ذلك هو مصعب بن عمير، الذى ما زالت سيرته نقية معطرة، ومعبرة عن أسمى درجات الشجاعة، فى قوتها وترشيدها، وحسن توجيهها لخدمة الدين والحياة.

---

(1) نَمِرة أى قطعة من القماش ، وقيل إن الذى غُطى به كان ثوباً ، أو بُردة ، والحديث من روايات البخارى والترمذى ، والأذخر: نبات معروف لأهل المدينة، وانظر كتاب (رجال حول الرسول) لخالد محمد خالد صـ ٤٥، وانظر حلية الأولياء للأصفهانى جـ ١ وحياة الصحابة للكاندهلوى، والتاج الجامع للأصول جـ ٣ وغيرها، وذلك للتعرف على ملامح شخصية مصعب بن عمير رحمه الله.

(2) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

(3) رواه الطبرانى فى الأوسط، كما ورد فى مسند أبى الجعد.

٢٧ـ التعامل مع كبار السن بالمودة والعطف

ينتقل الإنسان من حالة إلى أخرى؛ حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة، وفيها يعجز الكبير فى السن عن النهوض بكل أموره، ويحتاج إلى من يأخذ بيده؛ ليحيا بين الأسوياء، ولا ينهض بذلك إلا من خشع قلبه لذكر الله، وهذا شأن عباد الرحمن فى كل زمان ومكان.

١ـ قيمة كبير السن فى الحياة:

لقد تحدث القرآن الكريم – فى أكثر من موضع – عن مراحل حياة الإنسان، وآخرها مرحلة الشيخوخة، والتى تسمى أرذل العمر، وهذه ذات انعكاسات خاصة لكبير السن، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

وكل مرحلة من هذه المراحل، ذات قدرات خاصة بالإنسان، وفى الشيخوخة، يحتاج كبير السن إلى يد العون والمساعدة، وعندما يشهد نكراناً له، وعدم الاعتراف بما قدمه لحياة أبنائه وذويه، فإنه يشعر باللوعة والحسرة، تلك التى ألمت به فى خريف عمره، حيث يصير فى أحوال كثيرة، كالطفل الذى يحتاج إلى من يلاغيه، ويناغيه، ويضحك معه، ويبتسم له، ويستجيب لطلبه؛ لأن ذلك السلوك الحضارى من متطلبات الإيمان، ومن صفات عباد الرحمن.

ويجب الإقرار بقيمة كبير السن؛ لما قدمه طوال حياته من عطاء، وسعى وحركة فى دروب الحياة، أفاد بها أبناءه وأحفاده، وقطاعات أخرى من المجتمع، كما أنه يتميز بسعة الخبرة، وعظيم الحكمة، مما يستدعى عدم التخلى عنه، والاستفادة بما يمكن أن يقدمه للمجتمع فى ضوء المتاح له، فلا يليق بعد

---

[١] سورة غافر الآية رقم (٦٧).

أن ضعُف بدنه، وقلت حركته، أن يتنكر له، ولا يُعتنى بأمره، فى ظل الضعف الذى ينتابه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[1].

وقد تحدث القرآن الكريم عن بعض الأنبياء وغيرهم من البشر، الذين وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة، التى تضعف فيها العظام، وتشيب الشعور، ففى حق زكريا، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[2].

كما تحدث القرآن فى الأمر نفسه، عن شعيب ويعقوب فى المراحل المتأخرة من عمريهما، كما تحدث عما وصفه بأرذل العمر، حيث يتناقص إدراك الإنسان وقوته، وما يستتبع ذلك من مشكلات صحية خاصة بالشيخوخة، والتى تحتاج إلى مزيد من العناية، فيما يتصل بعلاقة الأبناء بالآباء.

٢ـ الإحسان إلى كبار السن:

يتدخل عباد الرحمن فى هذا الأمر، وذلك فيما لو كانوا كباراً فى السن، فيكون التعامل معهم بالعطف عليهم والإحسان لهم، وإذا لم يصلوا إلى المرحلة السنية، التى يحتاجون فيها إلى من يساعدهم، فعندها يلزم عليهم أن ينهضوا برسالتهم فى الحياة، وذلك بحسن التعامل مع كبار السن، فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد أطلق القرآن الكريم على هذه المرحلة الثقيلة من حياة الإنسان، بأنها أرذل العمر وهى مرحلة الشيخوخة المتداعية، التى ينهار فيها تماسك الإنسان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[3].

---

[1] سورة الروم الآية رقم (٥٤).

[2] سورة مريم الآية رقم (٤).

[3] سورة النحل الآية رقم (٧٠)، ومعنى أرذل العمل: أردؤه، والذى ينقص فيه عقل الإنسان وتضعف قوته.

ولهذه المرحلة حقوق عند الآخرين، بما يتجسد فيها من مشكلات صحية، واحتياجات مادية ومعنوية، يلزم على المجتمع كله أن ينهض بها، إذ لا يقتصر هذا الشأن على دعاة الخير، السابقين إلى عمل المعروف، ومع ذلك فلطول العمر إتاحات أكبر عند الإنسان، إذا اقترنت بحسن العمل والقول.

ونذكر فى ذلك حديثاً، رواه أبو بكرة (رضى الله عنه) أن رجلاً، قال: **« يا رسول الله: أى الناس خير؟ قال: "من طال عمره، وحسن عمله"، قال: فأى الناس شر؟ قال: "من طال عمره وساء عمله"»**[1].

وتتضح مرئيات البشر، فيما ينتاب كبار السن من أحوال، تستلزم على جميع الناس أن ينهضوا بها، وقد تحدث رسول الله ﷺ فى عدد من الأحاديث النبوية عن هذا الشأن، منها قوله: **«ليس منا من لا يرحمْ صغيرَنا ويوقر كبيرَنا»**[2].

واختص رسول الله ﷺ شباب الأمة بحتمية إكرام كبير السن، وأن ذلك يقترن بمكافأة الله (سبحانه وتعالى) لمن أحسن إلى الشيوخ الكبار، وذلك ما قاله رسول الله ﷺ صراحة: **«ما أكرم شابٌ شيخاً لسنهِّ، إلا قيض الله من يكرمه عند سنه»**[3].

ونخص بذكر كبار السن الوالدين، إذ ينبغى على الأبناء أن يعطوا الأبوين قدراً أكبرمن العناية والرعاية، لما سبق أن قدماه من جد واجتهاد، ونشاط فى الحياة، وحتى إذا قصَّر الأبوان فيما كان ينبغى عليهما أن ينهضا به، فعلى الأبناء أن يتسامُحوا عما حدث فى حقهم من تقصير، فربما كان الأبوان غير مدركين لقيمة المسئولية المنوطة بهما، إذ لا ينبغى أن يتحول الأمر فيما

---

(1) رواه البيهقى فى السنن الكبرى برقم ٦٣١٧، ورواه آخرون.

(2) رواه أبو داود والترمذى.

(3) رواه الترمذى.

بين الآباء والأبناء إلى قصاص فى التعامل، وانتقام عما حدث فى الماضى، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1].

وهذا المستحق للأبوين ثابتٌ، وليس قابلاً للنكوص فيه، والتراجع عنه من قِبَل الأبناء، خاصة أن المسلم إذا قضى طفولته وشبابه فى طاعة الله، ثم انتقلت حياته إلى الكهولة وأرذل العمر، وظهرت عليه ملامح الضعف والاحتياج إلى الآخرين، فإن منزلته عند ربه كبيرة، ولذلك ينبغى أن يؤخذ هذا فى الاعتبار، وذلك باستحقاق تكريم هؤلاء الكبار من البشر؛ لأن الله (سبحانه وتعالى) قد كرم كبير السن، وتجاوز عن خطاياه، ورفع منزلته بين الناس، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: **«من شاب شيبةً فى الإسلام، كتب الله بها حسنة، وحطّ عنه خطيئة، ورفع له بها درجة»**[2].

ونذكِّر كبار السن، بضرورة أن يحسنوا التعامل مع متغيرات الحياة، فإن كثيرين منهم تزداد أعمارهم، ويزداد معهم الحرص على المال، وحب الدنيا وطول الأمل، غافلين عن احتياجاتهم لهذه المرحلة، وبعض المتغيرات فيمن حولهم من زوجة وأبناء وأحفاد ، ويتطلب منهم أن ينتبهوا، إلى أن من حولهم، يرصدون حركاتهم، وسكناتهم، وإقبالهم على الله، أو ابتعادهم عنه، وأنهم محل القدوة للكثيرين، ونؤكد أن مراعاة الزمن، وحسابات السنين، أمر فى غاية الأهمية، فقد قال أبو حامد الغزالى: «من جاوز الأربعين، ولم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار»[3].

وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ قال: **«أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله، حتى بلغ ستين سنة»**[4]، وتستمر إتاحة هذا العذر للإنسان لو تجاوز هذه السن، حسب الدلالات الأخرى من بعض الأحاديث.

---

(1) سورة النساء الآية رقم (٣٦).

(2) رواه بن حبان.

(3) من رسالة أيها الولد.

(4) الحديث من مرويات البخارى (فتح البارى ٦٤١٩) وأعذر الله إلى امرئ: أتاح له العذر، وبلّغه الستين، وفى رواية بلغ الستين والسبعين.

٣ـ سلوكيات معاصرة بحق كبار السن:

لقد تعددت التعبيرات القرآنية، والنبوية فى حق الشيوخ، وهم كبار السن، الذين تستمر بهم الحياة، فيتجاوزن الستين والسبعين، وقد يعبرون إلى المائة، أو يزيدون عنها، واقتضت طبيعة الحياة المعاصرة أن تَضِنَّ بمعطياتها، فلا يجد بعض الأبناء، وسائر الأقارب، ما يشجعهم على حسن التعايش مع كبير السن، فيلجؤون إلى متغيرات سلوكية، يرون أنها كفيلة بحل هذه المشكلة، والتى تتمثل فى دور الرعاية، للمسنين، حيث يُودع الكبير فيها، ويُعْزَل عن سائر أهله فى المنزل، الذى كان يحيا به، ويودع فى دار الرعاية منتظراً ما يمكن أن تجود به يد الابن أو الابنه، أو هما معاً فى أول كل شهر، مما ينعكس على نفسية الكبير، فتزداد الأمراض عليه، وتلحق الهموم به، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وربما يكون هذا الأمر مقبولاً للضرورة، ذلك ما لو كان الكبير ليس له ابن، أو أسرة ترعاه، وتشفق عليه وتتحمله، لكنْ أن ينعمَ الشابُ بزوجتِه، وأبنائه، وصحته، وماله، تاركاً أباه وأمه، أو أحداهما، يمضغان ذكريات السنين وأيام الطموح والشقاء، وهذا لا يمت إلى مواصفات الشخصية الإسلامية، التى تكتمل صورتها من البيان القرآنى والنبوى.

إن كبير السن، شخص تجاوز مرحلة القوة إلى الضعف، وانتقل من العطف على الآخرين إلى استحقاق العطف منهم، وأن الشأن الإسلامى يحتم أن يتكافل أبناؤه، وأن ينهض أقاربه بدورهم فى الحياة، ومنه الإحسان إلى كبار السن، الذين صاروا فى وضع يؤهلهم لإعطاء الحكمة، والخبرة للآخرين، واستحقاق العطف والرعاية من سائر عباد الله المتقين.

٢٨- الإحسان إلى ذوى القربى

يعطى الإسلام عناية خاصة بالعلاقات الاجتماعيـة، التـى يتحـتم أن تقوى من خلالها الصلات بين الأقارب، من النسب، والعصب، فتزداد الألفـة، وتنتشر المحبة، ويحيا الناس – كما أمر الإسلام – أخوة متحابين، بعيدين عـن الفرقة والانقسام.

١- حديث القرآن والسنة عن حقوق ذوى القربى:

لقد أعطى الإسلام من خلال القرآن والسنة، عناية خاصـة للـصلات الاجتماعة بين أقارب الإنسان فى النـسب والمـصاهرة، كعماتـه، وخالاتـه، وبناتهن، وإن كان المعنى ينصرف غالباً إلى الأقارب من ناحية الأهل للأم، إلا أن المراد من هذا المصطلح[١] يشمل كل الأقارب رجالاً ونساء، وهم المعنيـون فى خطاب القرآن لـسيدنا رسـول الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٢]؛ لأنهـم الأقرب للاستماع إلى دعوتك، والاقتناع بك، وحسن التعامل معك، وما نريـده هنا، بيان الأهمية لإعطاء ذوى القربى حقوقهم، التى ينبغى أن تُبنى على المودة، والمحبة، وزيادة الألفة، ونشر الوفاق والهدوء، وسائر متطلبات الأمن الاجتماعى.

يقول الحق سبحانه وتعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

وقد قال ابن مسعود فى شأن هذه الآية: "هذه أجمع آية فى القرآن لخير يُمْتثل، ولشر يُجْتنب" [٤].

---

[١] وهو: ذو القربى.

[٢] سورة الشعراء الآية رقم (٢١٤).

[٣] سورة النحل الآية رقم (٩٠).

[٤] تفسير القرطبى جزء ١٠ صـــ ١٦٥.

وإنما خص القرآن ذا القربى – كما قال القرطبى – لأن حقوقهم أوكد، وصلتهم أوجب؛ لتأكيد حق الرحم، التى اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته" وقد أورد القرطبى فى تفسير حقوق ذوى القربى حديثاً صحيحاً لرسول الله ﷺ، ذكره البخاري وهو: عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «**خلق الله الخَلْقَ، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقْو الرحمن، فقال لها: مَهْ، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، واقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك، قال** أبو هريرة اقرؤا إن شئتم ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾»[1].

أى أن صلة الرحمن من أبرز الصلات، التى يتحتم البرُّ بها، فى إيتاء ذى القربى، وكثيراً ما يأتى ذكرهم مرتبطاً بذكر آخرين من الأقارب، مثل: الوالدين، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾[2].

كما يأتى ذكر ذوى القربى، مرتبطاً بكثير من الطوائف الاجتماعية، مثل اليتامى والمساكين، والجار على اختلاف درجاته، وابن السبيل، وسائر أقارب الرجل من ناحية زوجته، وأقارب الزوجة من ناحية زوجها؛ حتى تقوى العلاقات الاجتماعية بين الأقارب، الذين يمكن أن يزداد التواصل بينهم، بأسبابه وحالاته، فتعم المحبة، وتنتشر الألفة بين سائر العناصر الاجتماعية.

٢ـ صور الإحسان إلى ذى القربى:

لقد عبر القرآن الكريم بأن حُسْنَ الصلة بذوى القربى هو حق لهم، يلزم الوفاء به، وعدم التخلي عنه، قال تعالى: ﴿ **فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[3].

---

[1] الحديث صحيح واللفظ للبخارى برقم ٤٨٣٠ فى فتح البارى جزء ٨ صـ ٤٤٣ والآية من سورة محمد رقم (٢٢).

[2] سورة البقرة الآية رقم (٨٣).

[3] سورة الروم الآية رقم (٣٨).

ويكون هذا الحق مادياً، كما يكون معنوياً، حسب الموضع والمناسبة التى تلائمه، فبعض الأقارب يكونون فى وضع يستحقون فيه المال، وعند ذلك يجب الإحسان إليهم بالهدية، أو الصدقة أو الزكاة، وفق متطلبات الحال، كما أن بعضهم قد يكونون فى غير حاجة إلى المال، ولكنهم ينتظرون الوفاء المعنوى، وجبر الخواطر، بالكلمة الطيبة، والتواصل الحميم، والتجاوز عما يمكن أن يكون قد وقع منهم من أخطاء وتجاوزات، لينتهى الحال بكل ذلك، إلى زيادة الألفة والمحبة بين الأقارب، على اختلاف أحوالهم ودرجاتهم، يقول الحق (تبارك وتعالى) فى حتمية اعتلاء المودة للعلائق الاجتماعية بين الأقارب: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

وتكون المودة فى صورة مال، أو هدية، أو صدقة، إلى مستحقيها، من ذوى القربى – كما سبق القول – مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ﴾[2].

ويكون التواصل الحميم بين الأقارب، من خلال الإنفاق صدقة أو زكاة؛ حسب مقدار الاحتياج، ووفق المتطلبات، حسب الأقرب فالأقرب.

وقد أورد القرآن ذلك، فى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3]، وتتجلى متطلبات التواصل، عند إحساس الإنسان باقتراب نهاية زمنه بالدنيا، فتكون الوصية للأقارب بجزء من التركة، خاصة الذين ليست لهم استحقاقات فيها، فتكون الوصية لهم؛ جبراً لخواطرهم، وحرصاً على تأمين حاضرهم ومستقبلهم، وتأكيداً لحقوق الأقارب من النواحى المادية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[4].

---

(1) سورة الشورى الآية رقم (٢٣).

(2) سورة البقرة الآية رقم (١٧٧).

(3) سورة البقرة الآية رقم (٢١٥).

(4) سورة النساء الآية رقم (٨).

والمعنى: من تمام الآية لا يقتصر على المال، بل يمتد ليشمل القول الحسن والكلمة المؤثرة، التي تحقق في كثير من الأحوال، ما لا يحققه الدينار والدولار.

ومن أحوال المحبة للقريب، الحكم له بالعدل، وعدم تمكينه على أخْذ ما لا يستحق؛ حتى لا تتحول الصلة به إلى عداوة يتلقاها من الآخرين، عندما يأخذ مالا يستحق، فالحكم بالعدل قانون شرعى، يجب سريانه مع الناس جميعاً، من ذوى القربى، ومن غيرهم، ومصداق ذلك، قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**﴾[1].

وينبغى على المؤمن الذى يصل أقاربه، ويعطيهم حقوقهم، ألا يكتفى بما قُدِّر لهم، ولكنْ يذهب فى علاقاته بهم، إلى ما هو أبعد من ذلك، وتلك شفافية الأحكام الإسلامية، التى تنظم العلاقة بين الناس، خاصة فى أحوال الأقارب، الذين تأخذ العلاقات بينهم شكلاً متميزاً، وملائماً لروح الإسلام وسماحته، ونورد فى هذا الشأن، حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى إذا قُطعت رحمُهُ وصلها**» [2].

فما أحرى عباد الرحمن فى كل الأحوال والأزمان، أن يحرصوا على ما أمر به كتاب رب العالمين وسنة محمد سيد المرسلين.

٣ـ نماذج سلوكية لصلة الأقارب:

يكشف حديث رسول الله ﷺ، الذى رواه أبو هريرة (رضى الله عنه)، عن بعض المعانى الإنسانية، التى ترتقى بالجانب التطبيقى فى حياة الأمة الإسلامية، فقد جاء إليه ﷺ رجل، وقال له: «**يا رسول الله إن لى قرابة، أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلُمُ عنهم ويجهلون علىّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المَلّ، ولايزال معك من الله ظهيرٌ عليهم**

---

[1] سورة الأنعام الآية رقم (١٥٢).

[2] رواه البخارى وأبو داود والترمذى، ومعنى الواصل: هو مَنْ يُعْطى من قَطَعَه.

ما دمت على ذلك»[3].

ومعنى الملّ أى الرماد الحار، الذى يُحْمى ليدفن فيه الخبز؛ لينضج، والمراد من عبارة الرسول للرجل: أن إعطاءك إياهم حرام عليهم، ونار فى بطونهم، وقد كان رسول الله ﷺ يحسن إلى أقاربه فى حياتهم، فإذا مات واحد منهم، فإنه يبقى على استمرار الصلة بهم، من خلال أصدقائهم وأقاربهم، وكان ﷺ يحسن إلى صديقات زوجته خديجة، بعد وفاتها، وكان شديد الدفاع عنها أمام زوجاته الأخريات.

وتزداد العناية بالأقارب أثناء حياتهم وبعد وفاتهم، خاصة الأبوين، وفى ذلك حديث شريف، رواه أبو أسيد مالك بن ربيع الساعدى، (رضى الله عنه) قال: **«بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل، من بنى سلمة، فقال يا رسول الله: هل بقى من بر أبوى شئ أبرهما بعد موتهما؟، فقال: "الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم، التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما"»**[1].

لقد كانت حياة عباد الرحمن فى العهود الأولى للإسلام، أمثلة صادقة، ومعبرة عن خلق، يجب الحرص عليه، وهو حسن الصلة بذوى القربى، ولا ينبغى أن يتخلى المسلمون فى القديم والحديث عن هذا الخلق الرفيع، الذى أكده القرآن الكريم، وحضت عليه سنة محمد ﷺ.

---

(3) اللفظ لمسلم من كتاب (البر والصلة والآداب) شرح النووى جـ ١٦ صـ ١١٥.

(1) رواه ابو داوود.

٢٩ـ الكـــرم والجـــود

لا يتوقف الكرم والجود على الغنى والسعة، وإنما هو صفة خلقية، تأتى تعبيراً عن انتصار المؤمن على نفسه، وسيطرته على شهواته فى جمع المال، أو إيذاء الآخرين، فيتجاوز كل ذلك بأخلاقه السمحة، وكرمه، وعفوه، وإيثاره.

١ـ الكـــرم ومتطلباتـــه:

إن الشريعة الإسلامية قد حددت الكثير من معالم شخصية المسلم، التـــى ينبغى أن تكون متوازنة ومعتدلة فى الإنفاق، والتعامل مع الآخرين، فلا تبخـــل ولا تسرف، وإنما تعتدل وتنشط فيما ينبغى السخاء فيه، ولا يكاد يختلف معنـــى الكرم عن الجود فمعنى كل منهما العطاء والبذل، بلا من ولا أذى، وقد قيل فى تعريف الجود: إنه صفة تحمل صاحبها على بذل ما ينبغى مـــن الخيـــر بغيـــر عوض[١]، والكريم اسم من أسماء الله تعالى، وهو الكثيـــر الخيـــر ، الجـــواد: المعطى الذى لا ينفد عطاؤه، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[٢]، ويطلـــق علـــى الإنسان فى حدود ما يقدر عليه عملاً وقولاً.

وقد جعل الله تعالى التكرم حقاً للإنسان، فقـــال: : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٣].

وما دام الحق قد منحه هذه الصفة، فلا يليق به أن يهين نفسه، ويجعلها ذليلة كسيرة، لا تقوى على هزيمة ذاتها، وكسر حدة أنانيتها، فتقع فـــى البخـــل والتقتير، وتبعد عن الله، وتقترب من النار.

والكرم صفة عربية قديمة، كانت راسخة فى المجتمع قبل الإسلام، ولها رجال معروفون، ومن أشهرهم: الشاعر حاتم الطائى، فلما جاء الإســـلام، زاد الكرم رسوخاً، وإقراراً، وتأصيلاً.

---

[١] المعجم الوسيط جـ ١ صـــ ١٤٦.

[٢] سورة العلق الآية رقم (٣).

[٣] سورة الإسراء الآية رقم (٧٠).

والرجل الكريم، يفرح ويسعد عندما يتكرم على الناس، فى ضوء قول الشاعر مادحاً لشخص كريم:

تـراهُ إذا مـا جئتَـهُ متهللاً   كأنـك تُعطيـهِ الـذى أنـت سائله

وكان الجود فى الجاهلية موجهاً لسائر الناس، لكن هذه الصفة أخذت فى الإسلام شكلاً إيجابياً، حيث دعا إلى اتساعها، بحيث تكون طعاماً، وكلاماً، وعفواً، وتسامحاً مع الآخرين، أفراداً وجماعات، وأوجب الإسلام حتمية مرعاة المعطى لمتطلبات من يعولهم، فلا يقسو عليهم بالطغيان على احتياجاتهم.

٢ـ أحوال الكرم والجود فى حق عباد الرحمن:

قد ينهض عباد الرحمن بدورهم الاجتماعى فى دفع الأموال، بدرجات تزيد عن المستحق عليهم للزكاة أو الصدقة، دون أن يصحب ذلك مَنٌّ وأذى، يلحق بمن دُفعت إليهم تلك الأموال؛ حتى لا يذهب أثرها هباءً، ولا يكون لها وزن عند الله تعالى، وعند الناس كذلك، ويكون الكرم والجود للفرد وللجماعة، ولسائر الجهات، التى تحتاج إلى دعم مادى: كمستشفيات الأطفال، ومؤسسات الرعاية للمعاقين والمسنين، ويكون ذلك بلا رياء بغيض، وتظاهر أجوف، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...**»[1].

ويكون الكرم طعاماً على أية صورة للمحتاجين، وخاضعاً للعرف حسب المواقف والاحتياجات، ويأتى فى هيئة عفو وتسامح مع الآخرين، فساحات الكرم والجود واسعة، يتناسب امتدادها مع كرم المتبرع أو المعطى.

وأروع ما يتوجه به الكريم مع أهله وذويه إلى الأب والأم، اللذين قال الحق فى شأنهما: ﴿**وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾[2].

والقول الكريم: هو الكلام الحسن والطاعة المطلقة، والاستئذان الجميل، فلربما كانا غير محتاجين للمال، وإنما هما فى حاجة إلى من يشملهما بالأدب، والاحترام، والتقدير، كما يحسُن أن يوجه الكرم والجود إلى اليتيم، تحسباً لحالته،

---

[1] رواه الشيخان.

[2] سورة الإسراء الآية رقم (٢٣).

التى ربما تحتاج إلى كل أنواع الكرم: المال، والكلام، والحماية، وسائر وجوه الإحسان، قال تعالى فى ردع وزجر من لا يكرمون اليتيم: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾[1]، ويعظم الكرم مع ذوى القربى، والجيران، والضيوف، وسائر المحتاجين، ذلك أن الإحسان بالعطف يجعل المتكرم، كأنه يملك قلوب من أحسن إليهم **كقول الشاعر:**

أحسنْ إلى الناس تستعبدْ قلوبهمُ   فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

ويشمل الإكرام الوافدين على الإنسان، بما يجب لهم من حسن الاستقبال، والإنزال، والإطعام، والكلام الطيب، وعدم التبرم بحلولهم، وكان ذلك هدف عزيز مصر، بعد شرائه ليوسف، فأوصى امرأته بأن تكرمه، فقد كانا بلا ولد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾[2].

٢ـ صور متميزة:

تمتلىء الحياة الإسلامية بكثير من النماذج النقية الكريمة، وتعمر صحائف السيرة والتاريخ بالسلوكيات الرائعة، كالذى كان من عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وغيرهما من الصحابة والتابعين، ومن سار على هذا الطريق.

وإما أن يتحول الكرم والجود من الأغنياء، ويوجه إلى من لا يستحقونه، ويكون الدافع هو الرياء، والمباهاة، وشراء السمعة، والوجاهة الاجتماعية، فلا قيمة لهذا الكرم المخادع، عند الله تعالى، ولسوف يفقد قيمته عاجلاً أم آجلاً عند الناس، بعد كشف الحقائق، وإيضاح المخبآت.

ولا بد فى ظلال الواقع المعاصر من إيضاح الدور، الذى ينهض به المخلصون من عباد الرحمن، فمكارمهم خالدة، وجودهم عظيم، وذو آثار اجتماعية مفيدة.

---

[1] سورة الفجر الآية رقم (١٧).

[2] سورة يوسف الآية رقم (٢١)، ومثواه: أى إقامته.

رابعاً: الخشوع والتأمل والاعتبار

١ـ الإتعاظ بالوقت وتوظيفه ؛ لخدمة الدين والحياة.

٢ـ الإحساس بقيمة النسيان.

٣ـ الاعتبار بحركة الليل والنهار.

٤ـ الخشوع لله تعالى.

٥ـ الاعتبار بالنّعم والأنعام.

٦ـ التأمل فى بواعث الضحك والابتسام.

٧ـ البكاء خشوعاً واعتباراً.

٨ـ التأمل فى حركة الطير بالأرض والسماء.

٩ـ الاعتبار بآيات الحجاب فى سورة الأحزاب.

١٠ـ الالتزام بالاحتشام فى الملابس والزينة.

١١ـ الاعتبار بملابس الإيمان والتقوى.

١ـ الاتعــاظ بالوقــت
وتوظيفه؛ لخدمـة الدين والحياة

يعد الوقت عطاء إلهياً عالى القيمة، عالى المنزلة، ولذا يجب اســتثماره فى خدمة الدين والحياة، ولا يليق بالمؤمن أن يُضيِّعه فيما لا يفيد.

وقدم الإسلام بياناً مفصلاً فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، لما يجــب أن يكون عليه عباد الرحمن، من التزام وتميز فى التعامل مع الزمن؛ اتعاظا به، وحرصا على توجيهه إلى طريق الله المستقيم.

١ـ الاتعاظ بالوقت، كيف يكون؟؟

تقدم سوره الفرقان – خاصة – بياناً عاماً فيما يختص بحركه الحيــاة، ومفاتيح الرغبة والإرادة أمام المؤمن، اذا استجاب لمشاهداته فى تعاقــب الليــل والنهار، واتخذ من ذلك اعتبارا لنفسه، وإدراكا لأحداث الزمن، ورغبة فى شكر الله على بديع صنعه فى مسيرات الحياة، أو اتخذ من كل ذلــك عظــة للأيــام المتداولة بين الناس.

قال تعــالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ، وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[١].

وفى مقام اتعاظ المؤمنين، وسائر عباد الله المتقــين بالوقــت، تكــون الملاحظة بمقدرات الله فى الكون المتسع بالزمن، فى أنه جعل الليــل للــسكنى والراحة، والنهار للسعى والحركة، ويوم الجمعة للتلاقى والتوحــد، ورمــضان للصوم، وبعض الأشهر للحج، والأعياد للبهجة والأفراح، ولا وقت للأحــزان، والماضى للاعتبار، والحاضر للعمل ،والمستقبل للأمل، والميلاد للبداية، والموت للنهاية والبداية، وزمن الشباب للقوة والعمل، والنشاط، والكبر للهدوء والراحة، والإرشاد والتوجيه، وهذا هو الشأن الغالب لمسيرة الحياة بما فيها من أمواج وأنواء.

---

[١] سورة الفرقان الآية رقم (٦١ ، ٦٢).

وجاءت دعوة الاسلام الى حتمية التحرك فى الحياة للمشاهدة والاعتبار، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[1].

ويأتى بعد ذلك، تقدير المسلم لقيمة الوقت، وأهميته فى الحياة الانسانية ويتحقق هذا توافقا مع الحكمة المشهورة: "الوقت كالسيف إن لم تقطعة قطعك"، أو القائلة: "الوقت من ذهب".

وتبقى حركة الليل والنهار معياراً قويماً، للنظر والتفكر؛ بغية تأصيل الإيمان، وتثبيت التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[2].

"إن العمر قصير، والحاضر الذى يحيا الإنسان فى نطاقه ضيق، والعقل لا يستمد كيانه، وتألقه، ونفاذه، من وراء الانكماش والتصور، بل لابد أن يتعدى مكانه الى رحاب الملكوت الواسعة، وزمانه، الى عصور الحياة المتطاولة"[3].

٢ـ أهمية توظيف الوقت لصالح الدين والدنيا:

أوجب الإسلام على عباد الله المؤمنين، أن يستثمروا أزمنتهم فى الأعمال الجادة، وألاَّ يضيعوها فى اللهو والغفلة، وأن تكون نظراتهم للحياتين – الدنيا والآخرة – متوازنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4].

---

[1] سورة غافر الآية رقم (٢١).

[2] سورة يونس الآية رقم (٦).

[3] خلق المسلم للغزالى صـــ ٢٣٤.

[4] سورة الحشر الآية رقم (١٨).

وقد رُوى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»** [١].

ويحذر المشرع الإسلامى للحياة، عباد الله الراغبين فى التقوى، والصلاح من العبث الدنيوى، والاغترار بالصحة والشباب، ففى الحديث القدسى، يقول الله عز وجل: **«يا ابن آدم، خلقتك للعبادة فلا تلعب** [٢]**، وقسمت لك رزقك فلا تتعب، إن كثُر فلا تفرح، وإن قل فلا تجزع»** [٣].

قال الشاعر:

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له — أن الحياةَ دقائقٌ وثوانٍ

فارفعْ لنفسِكَ قبلَ موتكِ ذكرَها — فالذكرُ للإنسانِ عُمْرٌ ثانٍ

وللوقت قيمة يجب تذكرها، وعدم الغفلة عنها، فقد روى أبو برزة الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»** [٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»** [٥].

٢- الوقت أمانة، وشهادة أحداث الزمان على ذلك:

نعم: إن الوقت أمانة ينبغى تقديرها، وحسن التعامل معها، وعدم الغفلة عنها، حتى لا يجد الإنسان أمامه سوى الندم، ولن يفيد شيئاً، فعجلة الزمان لا ترجع الى الوراء، كما أن بعض الناس يقعون فى المحظور، فيسبون الدهر،

---

[١] رواه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

[٢] أى تمارس اللهو واللعب بلا تقدير للمستقبل.

[٣] رواه الترمذى.

[٤] مع الأخذ بالأسباب، ورواه الترمذى فى سننه، واللفظ له، ورواه الطبرانى والدارمى.

[٥] رواه البخارى ومسلم.

والله خالق له، وبيده تصاريف الليل والنهار، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه): عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**يسبُّ بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار**» [1].

وكان الشاعر أبو البقاء الرُندى، قد شاهد كثيراً من الممالك الإسلامية فى الأندلس، وهى تتساقط الواحدة تلو الأخرى، والفرقة تمزق كيان الأمة، ورياح الانقسام تهب على الدويلات المتحاربة، فتقتلعها من جذورها ، فبكى بشعره على هذة الحضارات التى زالت، وبكى الناس معه، حيث قال:

لكل شئ إذا ما تمّ نقصانُ ... فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

هى الأمورُ كما شاهدتها دولٌ ... من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدار لا تُبقى على أحدٍ ... ولا يدوم على حال لها شانُ

وقد كانت قصة أهل الكهف، دلالة على حتمية الأمل في التغيير، فقد بقيت حركة الحياة متجمدة، أو متوقفة مع هؤلاء الفتية، الذين آمنوا بربهم، وزادهم هدى، ثم بعثهم؛ لتكون أحداثهم عجيبة من عجائب التاريخ، وهم الذين كانت دعوتهم نموذجاً لعباد الرحمن، الذين يهتفون بالتقوى والدعاء قائلين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[2].

تلك الدهور والسنون، لن تُمْحى من سجلات الحياة، وستبقى دلالات واضحة لكل راغب فى الدخول إلى حدائق الإيمان واليقين .

---

[1] رواة الثلاثة: من "التاج الجامع للأصول" جـ٥ صـ٢٩٣.

[2] سورة الكهف الآية رقم (١٠).

٢ـ الإحساس بقيمة النسيان، وبيان أضراره

يخضع الإنسان فى حياته وعباداته الى درجات من روعة التذكر، وماله من فضائل، وقيمة النسيان، وماله من فوائد.

وفى ظلال هذا الخطاب الإسلامى، تتجلى صفات عباد الرحمن صعوداً إلى إكرام الله وإحسانه، وابتلاء وامتحانا بالنسيان، الذى يكرمهم الله بـــه، فـــلا يؤاخذهم عليه، ما دام سلوكهم غير مرتبط بغفلة من الشيطان الـــرجيم، الـــذى ينبغى مقاومته، والتصدى له بكل الوسائل الإيمانية المتاحة.

١ـ معنى النسيان، وأهميته، وأثره فى تكوين شخصية المؤمن:

النسيان: صفة من الصفات التى تدخل فى التكوين الخِلْقـــى للإنـــسان، حسب الاستعداد الفطرى، الذى يختلف من شخص لآخر، ويكاد يـــضعف فـــى زمن القوه والنشاط عند المرء، فتقوى فيه صفة التذكر، وشدة الوعى والإدراك، لكن حصائل الذاكرة الإنسانية، يعتريها الوَهْن مع زيادة العمر، وكثرة المخزون من المعارف المكتسبة طوال السنين .

والتذكر – ابتداء – فضيلة، ينبغى للإنـــسان أن يـــشكر الله عليهـــا، إذ يسترجع سجل حياته، ودفاتر أحواله، فيبحث عما فيها من هموم فيـــصلحها، أو جراحات فيداويها، أو حسنات فيزيد منها، أو سيئات فيندم عليهـــا، ويواصـــل مسيرة حياته مع عبادته لربه، فينمو إيمانه، ويزداد وعيه، وينتقل بهذه الفضيلة من نطاق توجيه العبادة لله، إلى حيز التعامل بها مع البشر.

وفى المقابل، يأتى النسيان قيمةً، ونعمةً، ينتصر فيهـــا المـــؤمن علـــى أحزانه، التى تولد لديه كبيرة ثم تصغر، وتتضائل مع مرور الأيـــام والليـــالى، ولذلك، فإن النسيان من الفضائل التى أنعم الله بها على الإنسان، الذى يجب عليه أن يدرك، أن النسيان فى كل أحواله لا يليق بالله، وليس من صفاته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[١].

---

[١] سورة مريم الآية رقم (٦٤).

وكذلك من صفات رسول الله: الفطانة، والبلاغة، والفهم، والإدراك، إذ أنه لا ينسى، وإذا تناسى؛ إنما لحكمة تشريعية، تتناسب مع طبائع الدعوة والتبليغ، أما النسيان فى حق البشر، فأمر مختلف، وقيمة ذات أثر متغير فى الحياة.

٢ـ التسامح، وعدم المؤاخذة على النسيان :

النسيان: طبيعة إنسانية، لا يُلام الإنسان عليها، ما دامت غير خاضعة للتعمد، والغفلة، والتكاسل، إذا لم ينتقل إلى حالة من التطبع فيصير ذنباً وإثماً، تختلف درجاته، حسب مستوى القصور الحاصل من شخص لآخر .

وقد تجلى إنعام الله على عباده، وذلك بعدم مؤاخذتهم على النسيان، الحاصل منهم فى بعض العبادات، التى يستلزم الوعى والإدراك فيها، حيث يتجلى فضل الله وكرمه فى التسامح مع الناس فى صلاته، ووجب عليه -جبرا لذلك- أن يجتهد فى استكمال ما رآه غير تام، ثم يسجد فى نهاية الصلاة سجدتين للسهو، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه)، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن أحدكم إذا قام يصلى، جاء الشيطان فلبس عليه، حتى لا يدرى كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين، وهو جالس**»[1].

وفى حق الصيام، قال ﷺ: «**إذا كان أحدكم صائما، فنسى فأكل وشرب، فليتم صومه**»[2].

ومن أدعية القرآن فى عدم المؤاخذة على الخطأ والنسيان، قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[3].

ويأتى البيان النبوى متواكباً مع القرآن الكريم، فى تأكيد التسامح الإلهى مع أمة الإسلام، ذلك ما ذكره الرسول ﷺ، فى قوله: «**إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان**»[4].

---

[1] رواه البخارى – فتح البارى حديث (١٢٣٢) جـ ٣ صـ ١٢٥.

[2] رواه ابن حنبل.

[3] سورة البقرة الآية رقم (٢٨٦).

[4] رواه ابن ماجة.

وذكر القرآن الكريم فى عرض قصة سيدنا موسى، دعاءه بالرغبة في التجاوز عن النسيان، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾[1].

٣ـ مضار النسيان في حياة الإنسان:

إن أخطر ما يكون عليه النسيان، هو حدوثه فى ظل سيطرة الشيطان على الإنسان، فيغيب ذهنه، ويُشتّت فكره، ويغفل عن ذكر الله بدرجات مختلفة، وأخف ما يكون ذلك فى حق الأنبياء، كسيدنا آدم، إذ قال الله تعالى فى شأنه: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[2].

وكان موسى وفتاه قد نسيا الحوت، وهو الطعام اللازم لهما، وجاء أوانه، فتنبه الفتى إلى ما قاله القرآن على لسانه: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾[3]، ويسيطر الشيطان على الإنسان، فينسى ما يجب عليه أن يتنبه له، وهو ذكر الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾[4].

وعندما تغيب المعالم البارزة فى حياة المرء، ويمعن فى تخبطه، ويضل عن سبيله، فإن سفينة إبحاره، تحتاج إلى رفع شراع الإيمان، الذى يتمثل فى ذكر الله، حيث يُعَدُّ الغياب عنه ضلالاً وإثماً كبيراً، ولا علاج له إلا بذكر الله، الذى أكده القرآن فى الكثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[5].

ومن مخاطر هذه الغفلة: نسيان القرآن الكريم، دستور الإسلام، وأعظم المعجزات، وأخلد المقدسات، الذى يجب على المؤمن أن يتعهده بالتلاوة والفهم،

---

[1] سورة الكهف الآية رقم (٧٣).
[2] سورة طه الآية رقم (١١٥).
[3] سورة الكهف الآية رقم (٦٣).
[4] سورة المجادلة الآية رقم (١٩).
[5] سورة الكهف الآية رقم (٢٤).

فعن أنس (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «**عُرضت علىّ ذنوب أمتى، فلم أر ذنبا أعظمَ من سورة من القرآن، أو آية أوتيها رجل ثم نسيها**»[1]، ومن دعاء ختم القرآن: هذه العبارة القيمة "**اللهم ذكرنى منه ما نسيت**".

ولا تتوقف خطورة النسيان عند هذه العبادات الواجبة؛ وإنما تمتد الى العلاقات الإنسانية، التى ينبغى صيانتها ورعايتها، فيتذكر المؤمن ما عليه من حقوق وواجبات تجاه الآخرين، بما فيها من كرم، ومودة، وفضل، وإحسان، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾[2].

ويتجسد التناقض السلوكى مع بعض الناس، الذين يأمرون الآخرين بالبر، ويحضونهم عليه، ثم يَنْسوْن أنفسهم، ويغفلون عما يجب عليهم بصورة تكشف عن كسل إيمانى، قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾[3].

فالنسيان نعمة ترتبط بحياة الإنسان، حيث تتلاشى به الأحزان، والهموم، والمشكلات، فى ظلال العلاقات الإنسانية، التى لو بقى المؤمن واعياً لكل ما لحق به لعاش فى عداوات، وهموم، لا أول لها ولا آخر.

ويأتى النسيان إهمالاً وتغافلاً، لا يليق بالمؤمن الذى يتحتم عليه التذكر الفاعل للعبادة، ولسائر المتطلبات المنوطة به فى الدين والحياة.

---

[1] **رواه الترمذى وأبو داود – لا يليق من نسى شيئا من القرآن أن يقول نسيت كذا وكذا ،لأن النسيان هو الترك ، ولا يليق هذا بالقران ، بل الأدب أن يقول: أنسيت كذا وكذا (هامش التاج جـ ٤ صـ ٨).**

[2] **سورة البقرة الآية رقم (٢٣٧).**

[3] **سورة البقرة الآية رقم (٤٤).**

٣ـ الاعتبار بحركة الليل والنهار

تحدث القرآن الكريم عن المظاهر الكونية حديثا متسعا وشاملاً، بما فيها من حركة لليل والنهار، والشمس والقمر؛ حتى يقف الناس على حقائق الأيام والشهور والأعوام، أما عباد الله المُخْلِصون، فلهم مع هذه المظاهر شأن آخر، حيث يتدبرون فيها بديع صنع الله؛ سعيا للارتقاء بإيمانهم إلى مستويات عالية من الهداية، والإقبال على الله سبحانه وتعالى، وتفعيل كل ذلك، والتحول به إلى علاقات إيمانية سامية بين البشر جميعاً.

١ـ حديث القرآن الكريم عن المظاهر الكونية، وبخاصة حركة الليل والنهار:

إن الحق (سبحانه وتعالى) قد عرض فى القرآن الكريم لسائر المظاهر الكونية، التى تتضح أبرز مظاهرها فى حركة الليل والنهار، وما يتتابعهما من متغيرات، تنعكس آثارها على الناس جميعاً فى طلوع الشمس، وغروبها، حيث يتجلى النهار بشمسه وأنواره، ويحل الظلام، فيكون القمر بأضوائه فى بعض الليالى، التى تزيد وتنقص، حسب مستويات القمر ومنازله، قال تعالى مصورا هذه الحركية الكونية: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ، وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ [١]، لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٢].

والمعنى فى الإخبار بعدم سبق الليل للنهار، هو الإفادة بالتداخل الزمنى بينهما، إذ أن لكل منهما تكليفاً، تسير به حركة الحياة بانعكاساتها على سائر المخلوقات، وفى مقدمتها الإنسان بعقله المفكر وذهنه الواعى، لكل ثابت ومتغير فى الأرض والسماء.

---

[١] العرجون القديم: غصن النخل اليابس، وهو عنقود التمر حين يجف ويلتوى.

[٢] سورة يس الآية رقم (٣٨ - ٤٠).

وتتضح المتغيرات الناتجة عن حركة الليل والنهار أمام أعين عباد الرحمن وبصائرهم، الذين يحفظون القرآن، ويمعنون النظر فيه، حيث تتعدد الآيات الكونية من خلال الزمن، قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[1].

وجاء حديث القرآن الكريم عن إيلاج الليل فى النهار، وإيلاج النهار فى الليل؛ لما فى ذلك من عظة وعبرة لمن أراد الهداية وسعى إليها، وحرص عليها.

والمعنى اتصال أحدهما بالآخر، ففى الليل يخيم الظلام على أرجاء الكون، ثم يأتى النور والضياء؛ إيذانا بيوم جديد، وتتواصل حركه الزمن، والإنسان غافل عما يحيط به ويشمله، إلا مَنْ هداه الله، وراقب بتأمل، وفكر، وعظة، واعتبار، وهذه السمة هى التى تميز عباد الرحمن، الذين ينشغلون بها ويتأملون فيها عمن سواهم من سائر البشر.

٢ـ انعكاس تداول الأيام والسنين على عباد الرحمن:

لقد جعل الإسلام من التأمل وإعمال الفكر، سبيلاً إلى تقوية أواصر الاقتراب من الله، والإقبال عليه، حيث يرتقى المؤمن إلى درجات عالية من السمو، ويزداد إيمانه وتقوى عقيدته، فلا يعبأ بما يلم به من اختبارات وابتلاءات فوق الاحتمال، فإذا صمد لها، وأحسن التعامل معها، كان ذلك سُلْوانا للمؤمنين، الذين يجدون صفوة الصفوة من الخلق، وقد صمدوا لما لحق بهم، وذلك النصر المبين، الذى تقوى به النفوس إلى الارتواء برحمة الله وعطفه، إذ إن الحركية الكونية أمام عباد الله المخلصين، تتيح لهم قدرا كبيرا من معرفه حقيقه الظواهر الطبيعية، وما تنطوى عليه من أسرار يصعب اقتحامها، إلا مَنْ هداه الله، وفكر فيها وشُغل بها، كما كان كبار الزهاد فى الجاهلية يتأملونها، مثل: قُسّ بن ساعدة، الذى كان يلفت الأنظار إلى ما فى الليل والنهار من عبر وعظات.

---

[1] سورة فاطر الآية رقم (١٣).

وذكر القرآن الكريم هذه المظاهر الكونية بأنها مدعاة للتأمل والتفكير في خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

ويأتى الفصل بين الليل والنهار بالشمس، التى أقسم الله بها وبغيرها من دلالات الزمن، وورد ذلك فى البيان القرآنى عن إشراق الشمس وغروبها حيث جاء التعبير بهما إفراداً وتثنية وجمعاً، حسب الدلالات المعرفية الخاصة بهما فى مواقعها بالقرآن الكريم؛ لتأكيد ارتباط الوقت فى سائر أحواله بالله رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[3]، لبيان مشرق الشمس، ومشرق القمر ومغربيهما، وقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[4]، حيث يتسع المعنى، ويعظم التفكير والتأمل فى المشارق والمغارب، فيشمل الكواكب العديدة، والنجوم الكثيرة، وفى مقدمتها الشمس والقمر.

وقيل: إن المشارق هى مشارق الشمس طوال السنة، وكذلك المغارب، وجاء فى بعض كتب التفسير[5]، أن فى السنة ثلاثمائة وستين مشرقاً.

ففى هذا البيان، إتاحات أكثر أمام الراغب فى التأمل؛ حتى يرتقى بإدراكه إلى عالم رحب فى معية الله (سبحانه وتعالى)، يتعرف فيه المؤمن على

---

(1) سورة آل عمران الآية رقم (١٩٠ - ١٩١).
(2) سورة البقرة الآية رقم (١١٥).
(3) سورة الرحمن الآية رقم (١٧).
(4) سورة المعارج الآية رقم (٤٠).
(5) المراد تفسير البيضاوى.

حساب الزمن، الذى يتوقف معه فى النهاية، ويأتى بعده من يواصل المسيرة فى رحلة الحياة، وفى ظلال ذلك، ينبغى تقدير الزمن؛ لأنه من صنائع الحق، الذى ينبغى استثماره فى الطاعة، والعبادة، وسائر الاعتبارات، دون إساءة لـــه ولمـــا يجرى فيه.

فعن أبى هريره (رضى الله عنه) قال: قال رســـول الله ﷺ: **«قـــال الله تعالى: يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدى الليل والنهار»**[1].

وفى ضوء ما سبق، نؤكد حتمية أن يتنبه المؤمن الى ما حوله، ويعيــد النظر فيه؛ لعله يهتدى ويقف على أول الطريق، طريق الهداية والنور والإيمان، والتأمل فى حتمية النهاية التى لا مفر منها، بل هى قريبة جداً بأى مقياس زمنى مهماً طال مداه، ويسفر هذا التأمل الذى يسعى إليه عباد الرحمن، عن توجهـــات رائدة تمثل ما يجب الاهتمام به، فى ظلال المنهج الاسلامى الرشيد، والله يهدينا إلى صراطه المستقيم.

---

[1] **رواه البخارى ومسلم وغيرهما.**

٤ـ الخشـــوع لله تعالـــى

يبدو الخشوع لله (سبحانه وتعالى) متجليا على وجوه الصفوة من عباد الرحمن، هؤلاء الذين تتلألأ أرواحهم وأبصارهم بالخشوع، والنور الساطع، والنابع من أعماق القلوب، والواضح فى عباداتهم لله تعالى، وعاداتهم مع البشر جميعاً.

١ـ معنى الخشوع لله تعالى:

عندما يهتدى المسلم الى أنوار الإيمان واليقين، فإن القلـوب المؤمنـة، ترضى بالمعرفة السامية الى سبيل الله، وتسبح فى ملكوته، وتسبّح بذكره تعالى، وتتحول إلى قوة إيجابية منظمة، لا تتحرك باندفاع مرتجل؛ وإنما تسلك الطريق السوى إلى الفعل الإيجابى، الذى يتوافق مع القول الصادق، ويعبر عـن الإرادة الإنسانية، القانعة بمعطيات الله للبشر، فهذه الممنوحات من الحق (جلت قدرتـه) يجب استثمارها سبيلاً للهداية والإرشاد، وتنقيتها مما يمكن أن يعلق بهـا مـن الأنانية الحمقاء، فهذه المنح الربانية، يتطلع المؤمن إليها بشغف إيمانى، ولكـن رغائب الدنيا تقف – أحياناً – فى سبيله إلى أن يتم انتصاره، وانـضمامه إلـى الكوكبة المنيرة من عباد الرحمن، الذين تقنـع قلـوبهم، ووجـوههم، وسـائر حواسهم، بما قُدِّر لهم من أعمال وآجال.

والخشوع: هو سكون الأعضاء، وخضوع القلب لله (سبحانه وتعـالى)، أى أنه يتحقق بالقلب، ويظهر أثره على أجزاء الجسم، وهو يتجلى فـى سـائر العبادات: كالصلاة، التى يُعد الخشوع فيها أول صفات المؤمنين، الذين قـال الله تعالى فى حقهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1].

فالخشوع فى الصلاة: هدوء، وسكينة، وتقديس لذات الله، وأداء على سنة رسول الله، التى تذوب بها شخصية المسلم فى أنهار المحبة والإيمـان، ويهـدأ بدنه، ويتفرج همه، وتتحقق الراحة لسائر أعضاء الجسم الظاهرة والباطنة.

---

[1] سورة المؤمنون الآية رقم (١ – ٢).

ويكون الخشوع العميق مع الصلاة، تلك العبادة التى يسعى بها المؤمن الى ربه، إذ من خلالها يناجيه ويفوض الأمر إليه، ولا يتحقق ذلك إذا تحولت إلى حركات سريعة يحاول المؤمن بها أن يُسقِطَ دَيْنا لله عليه، بلا خشوع، يتطلب معه تحول المسلم الى قوة متحركة الى الأمام بعزيمة وقوة وإصرار.

وقد رُوى عن الرسول ﷺ قوله : **«أفضل الناس أخشعهم لله»**[١].

وكان رسول الله يدعو ربه قائلاً: **«اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والهَرَم وعذاب القبر، اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»**[٢].

٢ـ تجليات الخشوع على سائر أعضاء الجسم:

إذا اطمأنت قلوب المؤمنين لقضاء الله، وخشعت الأصوات لأمره وجلاله، فإن الوجوه، والأعين، والأسماع، وسائر الأعضاء، لا تتأبى عن الاستجابة لنداء القلوب، التى توجه السلوك الإيمانى من خلال العبادات والعادات، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٣].

إذا لا يستتر ذلك عن المشاهدة، التى تتحول إلى رؤية قلبية نافذة، يرى فيها المؤمن بنور الله تعالى، فعن أبى هريره – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ، قال : **«هل ترونِ قبلتى ها هنا، والله ما يخفى علىّ ركوعكم، ولا خشوعكم، وإنى لأراكم من وراء ظهرى»**[٤].

وذكر القرآن الكريم خشوع الوجوه يوم القيامة؛ ذُلاً وخُضوعاً، على عكس ما كانت عليه فى الدنيا، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[٥].

---

(١) رواه الدارمى– نقلا عن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى جـ ٢ صـ ٣٢.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة الفتح الآية رقم (٢٩).

(٤) رواه الشيخان.

(٥) سورة الغاشية الآية رقم (٢).

وذلك يختلف عما تؤول إليه، وتحيا فيه الوجـــوة الناعمـــة، بالنـــضارة والحسن والبهاء، ويكون خشوع الأبصار الشاردة، التى انحرفت عن الإيمان فى الدنيا، فآلت أحوالها الى ذل، وانكسار، يوم الحساب، قال تعـــالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾[1].

وقد صور القرآن قسوة القلوب لدى بعض أهل الأديان السابقين، الذين ذكرهم القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[2].

٣ـ الارتباط بين الخشوع الظاهرى، والباطنى (السلوك) :

تترابط الدلائل الإيمانية بين القلب وسائر الجوارح، فمـــن خـــشع قلبـــه خشعت حواسه، ومن ادعى الخشوع فى ظواهره دون بواطنه اتـــضح أمـــره، وانفضح ادعاؤه، فقد رُوى أن سعيد بن المسيب رأى رجلاً، وهو يعبث بلحيتـــه فى الصلاة، فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه[3].

وفى تصدٍ آخر لسلوك البشر، واجهه عمر بن الخطـــاب، عنـــدما رأى رجلاً يطأطىء رأسه فى الصلاة تخشعاً، فقال له : "يا صاحب الرقبـــة، ارفـــع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب ...."

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[4].

ففى ذلك، يتحتم التكامل بين أوصاف القلوب، وظاهر الأفعال، والأقوال، والمشاهد المعلنة أمام الناس جميعاً.

---

[1] سورة القلم الآية رقم (٤٣) ، سالمون: قادرون.

[2] سورة الحديد الآية رقم (١٦).

[3] ورد فى مصنف ابن ابى شيبة، وجاء فى سنن البيهقى بلفظ آخر.

[4] سورة البقرة الآية رقم (٤٥).

٥ـ الاعتبار بالنّعم والأنعام

تتعكس مظاهر الطبيعة على حركة الفكر والتأمل عند الإنسان، فيسعى ببصره وبصيرته إلى السماء، وما تسقطه من أمطار تحيا بها الأرض، وما يسير عليها من دواب، يستفيد المؤمن من ألبانها، التى تَخْرجُ من بين أحشائها، وتلك عبرة لكل المؤمنين من عباد الرحمن المخلصين.

١ـ معنى الاعتبار وتعدد بواعثه وأسبابه:

إن معنى **الاعتبار**، هو التعجب والاتعاظ والتقدير، ويتجلى فى حياة المسلم، من حيث الربط بين العبرة ومواطنها المتعلقة؛ ابتداء بما خلقه الله فى الكون الفسيح، ويرتبط الاعتبار بالنظر، والتأمل، والتفكر فى الأرض والسماء، وبخاصة ما يقع عليه نظر الإنسان.

يقول الإمام على (رضى الله عنه، وكرم الله وجهه): "من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ويقول الإمام على: "ما أكثر العبر، وأقل الاعتبار"[١]، وقد تحدث القرآن الكريم عن الاعتبار لدواعٍ كثيرة، منها حركة: **﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾**[٢]، تلك التى يلمسها الإنسان فى بياض النهار وسواد الليل، وكذلك الاعتبار بالانتصار، كما تحقق للمسلمين بعد غزوة بدر[٣]، وتتعدد بواعث هذا الخلق عند عباد الرحمن، من خلال الاعتبار بأحداث التاريخ، التى تتصل بمسيرة أنبياء الله ورسله، وأحداث أقوامهم الذين استقبلوا رسالاتهم[٤].

فالعِبر كثيرة، وكل شيء فى الوجود به عبرة وموعظة، قال الشاعر:

وفى كلِّ شيءٍ له آيةٌ   تدلُّ على أنه الواحدُ

---

[١] أنظر نهج البلاغة فى هذا وغيره.

[٢] سورة النور الآية رقم (٤٤).

[٣] وذلك فى سورة آل عمران الآية رقم (١٣).

[٤] سورة يوسف الآية رقم (١١١)، وسورة الحشر آية ٢، وسورة النازعات آية ٢٦

ونعم الله كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[1].

٢ـ الاعتبار من خلال آية الأنعام في سورة النحل:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الاعتبار بالأنعام في موضعين: أحدهما، قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[2].

أما الآية الثانية، والتى نحن بصدد الحديث عنها، فهى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾[3].

والأنعام فى الإبل والبقر والضأن والمعز، وهى بمجموعها جزء بسيط من مجموع النعم الكبرى، التى سخَّرها الله لعباده، فعطف الأنعام على النعم، من عطف الخاص على العام.

وعبرة أى: دلالة على قدرة الله ووحدانيته وعظمته، وتتحقق فى الأنعام من خلال تسخيرها لأصحابها وطاعتها لهم، وقول الله (تبارك وتعالى) "نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ" أى مما فى بطون ما ذكرناه، أو بمعنى ما فى بطون هذا الجمع من الحيوانات، وفى سورة المؤمنون "مِّمَّا فِي بُطُونِهَا" أى مما فى بطون هذه الجماعة من الحيوانات.

ويقول القرطبى: "نبه سبحانه على عظيم قدرته، بخروج اللبن خالصاً من بين الفَرْث والدم، والفرث هو الزِّبْل، الذى ينزل الى الكرش، فإذا خرج لم يسم فَرْثاً، والمعنى: أن الطعام يكون منه ما فى الكرش، ويكون منه الدم، ثم يخلص اللبن من الدم، فأعلم الله سبحانه، أن هذا اللبن يخرج من بين ذلك، وبين الدم فى العروق[4].

---

[1] سورة النحل الآية رقم (١٨).

[2] سورة المؤمنون الآية رقم (٢١).

[3] سورة النحل الآية رقم (٦٦).

[4] الجامع لأحكام القرآن جزء ١٠ صـ ١٢٤.

قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[1].

ومعنى: "لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ" أى خالصاً من حمرة الدم، وقزارة الفرث، وسهل المرور، سائغ الطعم، وهذه العملية لا تقتصر على الحيوانات، التى تفرز اللبن من الإناث، الذى يعد من أفضل الأطعمة وأيسرها، فالطفل فى بداية عمره، يبنى جسمه من اللبن، ومثل الحيوانات التى تعتمد فى تكوينها الابتدائى على الألبان أيضا، وتتوق نفس الإنسان إلى استطعام ألبان الحيوانات، التى تحل ألبانها، بالهيئة التى تستخرج من بين رَوَث الدواب ودمائها، تلك المظاهر الطبيعية التى يشهدها المؤمن فيعتبر بها، ويتغذى عليها، ليس لبناً خالصاً، وليس ذلك فحسب، وإنما يمتد التسخير إلى سائر معطيات هذه الحيوانات: كاللحوم، وأشياء أخرى كثيرة، لا تغيب مشاهدتها والاعتبار بها على سائر عباد الرحمن.

ولقد سُبقت هذه الآية من سورة النحل، بالدعوة إلى التأمل والاعتبار فى تساقط المطر على الأرض المجدبة القاحلة، فانبعثت فيها الحياة، وعم الاخضرار، وتعددت بها سبل الإعاشة للإنسان، وتلك من أبدع الآيات على بديع صنع الله للأرض والسماء.

٣ـ مشهد إيماني للاعتبار في حياة الرسول ﷺ:

نذكر فى هذا المشهد شاة (أم معبد) هذه المرأة الأعرابية، التى تنحدر من أصلاب عربية صميمة، فهى من قبيلة خزاعة، وتسكن الصحراء، وترضى بعطاء الله للبشر، وتتجسد فى بنائها وكيانها، الأخلاق العربية الأصلية، التى هذَّبها الإسلام، وأخضعها لمعيار الحلال والحرام، أو افعل ولا تفعل، وزوجها راعى غنم، وللأسرة خيمتان، تحتويان الإنسان بمتطلبات إقامته، وصغار الحيوانات، بما فيها الرضيع والهزيل، وعندما كان الرسول يجوب الصحراء فى

---

[1] سورة القمر الآية رقم (٥).

هجرته من مكة إلى المدينة، وكان معه رفيقه أبو بكر الصديق، ومولاه عبد الله ابن فُهيرة، ودليل الركب عبد الله بن أريقط، ووصل الرسول بموكبه الى مستقر هذه المرأة الجليلة، ذات الخلق والكرم والفضل بين قومها، ولكل الذين يمرون بخيمتها، وسألها الرسول عن لحم أو لبن يشترونه منها، وكان لسان الحال مغنيا عن الإجابة، ثم نظر إلى شاة فى ركن خيمتها، وقال لها: "ما هذه الشاة يا أم معبد؟"

فقالت هذه شاة تخلفت عن الغنم من فرط هُزَالها، وبالتالى فليس فى ضرعها ما يشجع على حلبها، واستأذن فى أن يحلبها، وجيىء بها إلى الرسول، ثم مسح على ضرعها، وحلب منها ما ملأ به وعاءً كبيراً، فشربت أم معبد حتى ارتوت، وشرب رفاق رسول الله، ثم شرب أخيراً وقال: "ساقى القوم آخرهم شربا" وحلب الرسول ثانية، وترك الحليب للمرأة وانصرف ﷺ مستكملا رحلته إلى المدينة، ثم جاء زوج أم معبد، فَعَجِب من وجود اللبن عندها، وقصَّت عليه ما جرى، وتحدثت عن الرسول ووصفته وصفاً رائعاً، يُعد درة خالدة فى كتب السيرة النبوية، وقد وصف أحد الشعراء المسلمين قصة أم معبد وشاتها:

جزى الله رَبُّ الناس خيرَ جزائه ... رفيقين حلاَّ خَيْمَتَى أمِّ معبد

هما نزلا بالبِرِّ، ثم ترحَّلاَ ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمد[1]

وبقيت هذه القصة خالدة، تحكى جزءا من الهجرة إلى المدينة، ونزول الرسول بموضع إقامة أسرة صغيرة من قبيلة خزاعة، وظهور بعض معجزات الله فى إدرار اللبن، من بين الفرث والدم، الذى تحتويه شاة عجفاء، لا يتوقع منها أى عطاء، وبقيت درسا معجزاً ومعبراً. يستضىء به عباد الرحمن، وسائر المؤمنين بقدرة الله سبحانه وتعالى.

---

[1] تراجع القصة فى:

أ- البداية والنهاية لابن كثيرجـ٢ صـ١٩٣، ب- الطبعات الكبرى لابن سعد جـ ٢ صـ ٣٢٢،

ج- السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ صـ ٣٠٨،

د- سيرة النبى العربى - تأليف أحمد التاجى جـ١ صـ ٣١٣ وغيرها.

٦ـ التأمل فى بواعث الضحك والابتسام*

يأتى الضحك بصوت أو بدونه؛ تعبيراً عن الفرح الذى ينبغى أن يكون مرشدا فى حياة المؤمن، وخاضعا للأصول والأعراف الصحيحة، التى لها اعتبار فى الشرع، فيجب مراعاتها فى الأفراح والمناسبات السارّة، وألا يوجه للإساءة للآخرين والسخرية منهم، وإضحاك الناس عليهم.

١ـ متطلبات الضحك عند عباد الرحمن:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى – فى الإنسان – استعداده للضحك والبكاء، وفق الأحوال التى تتطلبها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[1]، وتقدم ذكر الضحك فى الآية؛ لأنه الأفيد والأدعى لطبيعة الحياة الانسانية، التى يعتورُها كثير من الهموم والابتلاءات، فتكونُ الابتسامة المنضبطة مخففة للضيق النفسى، وإعلانا عن استمرار الإنسان فى أداء دوره، بدون عوائق تحجبه عن القيام برسالته فى الحياة، وأكثر ما يكون الضحك فى الفرح والسرور، والبشارة بالخير، ولقد جاءت البشارات الى سيدنا إبراهيم متتابعة، وأبرزها ما أضحك زوجته سارة، وهو هلاك قوم لوط، ثم كانت البشارة بإنجابها لإسحاق، ومن بعده يعقوب، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[2].

وتحدث القرآن الكريم عن بعض الأوصاف لأهل الجنة، فقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾[3]، و(مُّسْفِرَةٌ) أى مستنيرة و(ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) أى مسرورة فَرِحة من السرور فى قلوبهم، وقد ظهر البشر على وجوههم.

---

* نشر موسعاً بمجلة الأزهر فى غرة رجب ١٤٣٢ هـ الجزء ٧ السنة ٨٤.

[1] سورة النجم الآية رقم (٤٣).

[2] سورة هود الآية رقم (٧١).

[3] سورة عبس الآية رقم (٣٨-٣٩).

وكان الرسول كثير التبسم، قليل الضحك، ومن المناسبات التى شوهد فيها ضاحكا ما رواه عباس بن مرداس (رضى الله عنه) إذ قال له أبو بكر، أو عمر: **«أضحك الله سنك يا رسول الله»**[1] والمعنى، أدام الله فرحك، وأكثر سرورك، عبّر عن ذلك بالفرح والسرور[2].

وذكرت كتب السنة: ضحك بعض الصحابة والتابعين رجالاً ونساءً، ومن ذلك أنه أسرَّ الى عائشة بحديث فضحكت، وكذلك أم سلمة، وذكر البخارى حديثا ذُكر فيه، ضحك على (رضى الله عنه)، فقد رُوى عن عقبة بن الحارث، قال: رأيت أبا بكر (رضى الله عنه)، وحمل الحسن، وهو يقول : **«بأبى شبيه بالنبى، ليس شبيه بعلى ... وعلى يضحك»**[3].

فأسباب الضحك كثيرة، وحصوله من الرسول وأزواجه وأصحابه ذائع مشهور، وهو سلوك إيجابى غير موجة للإساءة إلى شخص ما، وإنما الهدف هو التجاوب مع الفرح والبهجة والسرور.

٢ـ الضحك للتعجب أو السخرية :

يكون الضحك، تعجباً أو إنكاراً لبعض التصرفات، أو سخرية من الأشخاص، الذين يسيئون إلى الآخرين، فيكون الضحك منهم؛ استهزاء من مواقفهم، وتصرفاتهم فى الدنيا، وفى الآخرة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ** ﴾[4].

وذكر ابن كثير المعنى فقال: "يخبر تعالى عن المجرمين، أنهم كانوا فى الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، أى يستهزئون بهم، ويحتقرونهم، وإذا مرُّوا

---

[1] رواه أبو داود وابن ماجه.

[2] أورد صاحب كتاب (التاج الجامع للأصول) الحديث المذكور والتعليق عليه و(سنّك) : واحدة الأسنان؛ لأنها تظهر فى الفم حين الضحك.

[3] الحديث فى صحيح البخارى (٣٧٥٠) جـ ٧ صـ ٣٧٤٦ (فتح البارى).

[4] سورة المطففين الآية رقم (٢٩-٣٠).

بالمؤمنين يتغامزون عليهم، أى محتقرين لهم"[1]، إلى أن تتجلى الحقيقة للمشركين يوم القيامة، فلا يستحقون جزاء صنيعهم إلا الضحك عليهم، والسخرية منهم، قال: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[2].

وأورد القرآن عدداً من الآيات، التى ترصد ضحك المشركين من دعوة الرسول ﷺ[3]، كما كان المؤمنون يضحكون من صنائع أهل الشرك فى الدنيا، ونتائج ذلك فى الآخرة، وشُغل المؤمنون بذلك إلى الدرجة التى غفلوا فيها عن متطلبات العبادة، وتحولوا إلى الضحك من المشركين، سخرية واستهزاء، قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[4]، صدق الله العلى القدير.

٣ـ من هدى الرسول للمؤمنين فى الضحك والتبسم والمزاح:

تتضح الصورة الحقيقية للزوج فى بيته مع الزوجة والأبناء وغيرهم، ممن يخالطونه ويتعاملون معه، وكان شأن الرسول مع زوجاته واضحاً جلياً، واستطاعت السيدة عائشة (رضى الله عنها) أن ترصد هذه الحياة، وتروى عن تفصيلاتها أكثر من غيرها فى هذا الشأن، إذ كانت صغيرة السن، ولها قدرة رائعة ومتميزة فى الرواية والحفظ، فضلا عن نشأتها فى بيت إيمان وعلم، فوالدها الصديق أسبق الرجال إلى الإسلام، ومما يروى عنها، قولها عن رسول الله ﷺ: **«كان ألين الناس، وأكرمِ الناس، وكان رجلاً من رجالكم، إلا أنه كان بساماً»**[5].

---

[1] تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٤٨٧.

[2] سورة المطففين الآية رقم (٣٤).

[3] مثل ما جاء فى النجم ٦٠، والزخرف ٤٧.

[4] سورة المؤمنون الآية رقم (١١٠).

[5] رواه أبو داود فى سننه ورواه الحاكم فى المستدرك.

والتبسم أكثر حالات الرسول فى المواقف، التى تحتاج إلى الضحك وإظهار السرور، وتحدث القرآن الكريم عن موقف لسيدنا سليمان، اقتضى أن يبتسم فيه ضاحكاً، وذلك أن النملة خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم، وفهم سليمان (عليه السلام) ذلك منها، فكان منه ما قال القرآن عنه: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾[1].

والمزاح أن يقول الانسان كلاماً صادقاً، وإن أمكن تناوله على ظاهره بما يخالف الواقع الحقيقى، فيكون التبسم والضحك إلى أن تظهر الحقيقة، ولا يليق بالمسلم أن يكثر منه؛ حتى يحافظ على هيبته ووقاره، ولا حرج فى القليل منه، إذا لم يحدث أثراً سيئاً فيمن يوجه إليه، وقد كان الرسول يمزح ولا يقول إلا صدقاً، فمن مزاحه ﷺ: ما روى أن عجوزاً من الأنصار أتته، فقالت: يا رسول الله، ادع لى بالمغفرة، فقال: أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز؛ فصرخت، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**أما قرأت من القرآن**» قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ، عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[2].

وهكذا تتضح بعض فضائل الإسلام فى التبسم فى وجوه الآخرين، وحسن البشاشة لهم، وأن ذلك يمكن أن يصحبه قليل من الضحك من غير مبالغة فيه، وبحيث يعود أثره النفسى على الضاحك، الذى تتفرج أساريره فى وجوه الآخرين، الذين يستقبلون الحدث بمزيد من السرور والبهجة، كما يضاف إلى الصورة المبتغاة ما يصاحبها من مزاح صادق، لايسىء الى الآخرين، وإنما يثير البهجة والسرور فى العلاقات الإنسانية الحسنة، التى يتسم بها عباد الرحمن فى كل زمان ومكان.

---

[1] سورة النمل الآية رقم (١٩).

[2] سورة الواقعة الآية رقم (٣٥، ٣٦، ٣٧)، وانظر كتاب أدب الدنيا والدين للماوردى صـ ٣٨٢.

٧ـ البكاء خشوعاً واعتباراً

تتميز قلوب عباد الرحمن بالخشية والرغبة فى الاقتراب من الله ورسوله، فتصفو عواطفهم، وترق قلوبهم فيبكون بدموعهم؛ خشوعاً لله رب العالمين، أو يبكون على من غاب، ورحل عن الدنيا، وتلك مدعاة لمراجعة الإنسان لنفسه، وتقويم أعماله لمزيد من الإيمان، والثقة فى الله رب العالمين.

١ـ البكاء خشوعا لله رب العالمين:

إن الله (سبحانه وتعالى) هو الذى خلق الإنسان، وميّزه على غيره من الكائنات بالضحك والبكاء، وذلك من قدرة الله تعالى، حيث خلق فى الإنسان استعداده –عند وجود الدوافع– إلى الضحك والبكاء، وأن عباد الله من المؤمنين عندما تصفو قلوبهم، ويزداد خشوعهم، تتحرك قنواتهم الدمعية وغيرها بما تسيل معه دموعهم، من غير أن يتحكموا فيه ابتداءً وانتهاءً، وزيادةً ونقصاً، خاصة عندما يكونون فى إقبال على الله، وركوع وسجود مرتهن بالخشوع والاطمئنان، قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[1]، ومعنى "وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا" أى إيماناً وتسليماً.

وتتواصل الآيات القرآنية فى بيان أحوال البكاء، ومنها: ما كان مرتبطاً بتلاوة آيات الرحمن، حيث يخرون ساجدين وبكائين، وقد صور القرآن ذلك فقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[2]، إذ أن أفضل أحوال الخضوع لله، عندما يكون المؤمن ساجداً له سبحانه وتعالى، وعندما يصل المؤمن إلى هذا المستوى من الإيمان، فإنه يكون قد استغنى عن البشر، وزادت احتياجاته إلى الله تعالى فيقبل عليه؛ ثقة فيه واطمئناناً إلى عدالته، وطمعاً فى رحمته، وذلك شأن المتقين من عباد الرحمن.

---

[1] سورة الإسراء الآية رقم (١٠٩).

[2] سورة مريم الآية رقم (٥٨).

٢ـ اتساع أحوال البكاء (دواعيه):

لقد تحدث القرآن الكريم عن أحوال مختلفه لفريق من العباد، إما أنهم كانوا يبكون خداعاً وزيفاً، وذلك ما ورد فى شأن إخوة يوسف، حيث قال القرآن فى وصف حالتهم، عندما حضروا إلى أبيهم (يعقوب) يعلمونه بأمر أخيهم، الذى دبروه، أو احتالوا بالبكاء الخادع المزيف، قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾[١].

ويأتى الحديث عن البكاء –وصفاً– بلفظ الأمر لحالة المنافقين، وحتمية التحول إلى إصلاح شأنهم، وتبديل مواقفهم من الضحك؛ استهزاء وسخرية إلى البكاء كثيرا على أحوالهم، فقال تعالى: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[٢].

وتحدث القرآن الكريم أيضا عن فريق آخر من المعاندين، واصفاً أحوالهم، عندما كانت الدعوة الإسلامية تخطو إلى الجَهْرِية، والتغيير الاجتماعى، وتبديل المواقف، وكان المشركون يضحكون فى استماعهم للقرآن، وإعراضهم عنه؛ استهزاءً وعناداً، ولا يفعلون كما يفعل المؤمنون، الذين يبكون خشوعاً لله تعالى فى ركوعهم، وسجودهم، وسائر عباداتهم، وذلك شأنهم، الذى ذكره القرآن الكريم بقوله: ﴿وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ﴾[٣].

٣ـ البكاء حزنا على الموتى[٤]:

يكون البكاء على الموتى مرتبطا –فى كثير من الأحوال– بالحزن وبالخشوع والاطمئنان إلى عدالة الله والثقة فيه، ويتواصل ذلك عند الموت،

---

[١] سورة يوسف الآية رقم (١٦).
[٢] سورة التوبة الآية رقم (٨٢).
[٣] سورة النجم الآية رقم (٦٠).
[٤] ذكر ابن القيم فى (زاد المعاد) أنواعاً من البكاء منها بكاء الفرح والسرور، وبكاء النفاق، والبكاء المستأجر عليه، والبكاء الذى يتم توافقا مع البكائين، وبكاء المحبة والشوق، والبكاء من الألم، وبكاء الخَوَر والضعف وذلك إلى جانب ما ذكرناه فى مجموع الكلام بهذا الموضوع.

والفراق الطويل، الذى ربما لا يكون بعده أمل فى اللقاء، وعند تشييع الجنائز، وبعد دفن من مات من البشر، لكن أحوال الواقع تشهد كثيراً من الخروجات على المعيار الشرعى للسلوك الإنسانى، فتنفلت القلوب المهتزة، ويغيب عنها وعيها الإيمانى، فتبكى بصراخ وعويل، وشق للملابس، وهذا ما نهى الشرع الحنيف عنه، فليس فيه من الخشوع ما يسهم فى تقوية الشعور الدينى، وإنما هى سلوكيات، وعادات اجتماعية، لا سند لها فى الشرع، وربما تدار بشكل تَدخلُ فيه المجاملة بالنواح على الميت، وذلك مما يؤسى له من أحوال بعض المسلمين.

وقد كان بعض العرب فى الجاهلية قديماً، يوصون الأهل عند احساسهم باقتراب الموت بالبكاء عليهم كشأن الشاعر الذى **قال**:

إذا مِت فانعينى بما أنا أهلُه ... وشُقى علىّ الجيبَ يا ابنة مَعْبَدِ

وقد حسم رسول الله ﷺ هذا الأمر فى أحاديث صحيحة، منها قوله: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»[1]، وللحديث روايات أخرى، لا يختلف مضمونها عن هذه الرواية، التى يتوجب أن يكون المعنى فيها منصرفاً إلى عذاب الميت، إذا كان قد أوصى بالبكاء والنوح عليه؛ لأن ما حدث كان بسببه فيتحمل تبعته، أما البكاء على الميت، إذا كان خالياً من الأصوات العالية والندب والنياحة، فلا شيء فيه، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك، فعن أنس (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم (رضى الله عنه)، وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: يابن عوف، إنها رحمة، فقال: «**إن العين لتدمع، والقلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[2].

---

[1] رواه مسلم.

[2] رواه البخارى وروى مسلم بعضه.

وقد رثى حسان بن ثابت (شاعر الرسول) حمزة بن عبد المطلب (سيد الشهداء) فقال:

بَكَتْ عينى، وحُقّ لها بُكاها	**وما يُغنى البكاءُ ولا العويلُ**
على أسدِ الإله غداةَ قالوا	**أحمزةُ ذاكمُ الرجلُ القتيلُ**
أصيبَ المسلمون به جميعاً	**هناك، وقد أصيب به الرسول**[1]

وصفوة القول، أن البكاء فى حق عباد الرحمن، ينصرف إلى الخضوع والخشوع لله رب العالمين، ولا شىء غير ذلك، إلا ما كان خارجاً عن طوع الإنسان وإرادته، سواء أكان فى ركوع أم سجود، أم لميت مؤمن، استحق بصدق أن تُذْرف الدموع عليه، ولايصح أن يقترن البكاء بالادعاء نفاقاً، أو التباكى مجاملة، أو بالممارسة الكاذبة، وليس ذلك من شأن عباد الله المتقين.

---

(1) لسان العرب جـ ١ صـ ٣٣٧.

٨ـ التأمل فى حركة الطير بالأرض والسماء*

يشكل الطير أهمية كبيرة فى حياة المسلم؛ لاعتبارات كثيرة بما ينبغى مراعاته دوماً، وألا ينصرف ذهنه عن هجرة الطير واستقراره وحركته فى الأرض والسماء؛ بحثاً عن غذائه وحفظ نوعه بما يوجب التأمل والاعتبار لهذه الكائنات، التى تعتمد على أجنحتها وأصواتها، التى تُسبِّحُ بها للواحد القهار، آناء الليل وأطراف النهار.

١ـ تسخير الله للطير فى الأرض والسماء:

لقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

وتبدأ الآية، بدعوة المسلمين إلى الرؤية بأبصارهم، وبصائرهم لحركة الطير فى السماء، بما سخره الله لها من أجنحة، تعتمد عليها فى طيرانها، من خلال الهواء المتباعد بين الأرض والسماء، وأن ذلك خاضع لإرادة الحق (سبحانه وتعالى) فى تأمين الطير من السقوط، واستمرار التواصل بين الأسراب المرتحلة؛ بحثاً عن الغذاء أو الدفء والتكاثر، والعودة – أحياناً – ببعض الفائض لإطعام المواليد الجديدة فى أوكارها بأعالى الأشجار، وفى الأماكن الأخرى، التى لا تتوه فيها الأمهات عن صغارهن المنتظرات لما يصل إلى أحشائها، عن طريق مناقير الأمهات، فهذه الدلائل الإيمانية، لابد أن تضيف إلى ذخائر المؤمن دعامات جديدة، يقوى بها إيمانه، خاصة إذا انصرف عن مستلزمات عقديته، لذلك كان ختام بعض الآيات، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، وهى تحمل من الدلائل الكثير، بحيث تستثمر فى مزيد من التعرف، والتأمل، والاعتبار لوحدانية الله (سبحانه وتعالى)، وقدرته وعظمته، التى تتجلى بدرجات متفاوتة بين البشر.

---

* نشر موسعاً بمجلة الأزهر فى أول صفر ١٤٣٢هـ الجزء ٢ السنة ٨٤.

(١) سورة النحل ٧٩.

ونأتى إلى آية ثانية فى هذا الشأن، قال الواحد القهار فيها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1].

ويكون التأمل فى الآية لحركة الدواب بشكل عام، وكذلك فى حركة الطائر الذى يطير بجناحيه فى الهواء، فى تشكيلات منظمة، تخضع فى جزء من أسبابها، إلى بعض الأصوات المعروفة لدى جماعات كل نوع من الطير، وهى تماثل الإنسان فى كثير من الأمور، التى تستدعى التأمل والاعتبار، والمقصود من ذلك، الدلالة على كمال قدرة الله، وشمول علمه (سبحانه وتعالى) وسعة تدبيره، فملكه واسع، وخَلْقهُ عظيم، لا يُحْصى ولا يعد، وخاضع للترتيب الإلهى المعجز، وما فى حياة الطير من نظام، وتفاهم، وتكاثر، وتوزيع للمهام، وفق المعطيات الإلهية لكل نوع، فهذا يغرد بنغمات جميلة مُشّجِية، ونوع ثان يمنحُ البشر أروع الأغذية التى جعل الله فيها الشفاء لكثير من الأمراض، وثالث يُستثمر ريشه فى أغراض شتى، أو بيضه الذى يُكَون فى أعماقه فى وقت طويل، إلى أن يقدم إلى الإنسان فيستطعمه فى دقيقة واحدة، أو يذبح فيكون طعاماً شهياً، يستفيد به جسم الإنسان، إلى غير ذلك من المهام والفوائد الأخرى.

والطيور بشكل عام تتوافق فى خلقها بالأجنحة، وتتناسل عن طريق البيض، ومعظمها يطير، وهذه الأحوال وغيرها، مدعاة لمزيد من التأمل والاعتبار فى هذه الكائنات التى تتحرك على الأرض، وفوق الماء، وفى عنان السماء.

٢ـ تسبيح الطيور:

يُشبه الطير الإنسان فى أمور كثيرة، فهما من مخلوقات الله تعالى، والطير تُسبّحُ كلها لله تعالى، قال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2].

---

[1] سورة الأنعام ٣٨.

[2] سورة الإسراء ٤٤.

وقد ذكرت سورة النور: أن التسبيح لله تعالى من كل مَنْ فى الأرض والسماء، ثم كان التخصيص للطيور التي يتجلى فيها بديع الصنع الإلهى، فهى تطير فى السماء، وتسير على الأرض، وتَسْبح فوق الماء كثيراً، وتحته قليلاً، ثم فى حركتها فى الهواء، وقد أعطاها الله أسباب الحياة، فأتاح لها بَسْط الأجنحة وقَبْضَها، وتصطف دون أن تهوى على الأرض، وفى كل الأحوال، لا يغيب وعيها عن التسبيح لله تعالى، الذى قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

ونأتى إلى آية أخرى، فيما يتصل بتسبيح الطير، يقول الحق فيها: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[2].

ذلك، أن قدرة الله لا حدود لها، فقد سخر الله (سبحانه وتعالى) لداود (عليه السلام) الجبال والطير، تسبح بمعرفته لله تعالى، خاصة أنه على دراية بلغة الطير، وتلك إحدى معجزاته من الله أمام البشر، مما يستدعى مزيداً من الاعتبار، والتأمل فى صنائع الله من الكائنات الحية، والجمادات التى لا يعلم محتوياتها إلا اللهُ وحده علامُ الغيوب.

٣ـ طيور مُفردة ومجّمعة:

لقد حفل القرآن الكريم، وسنةُ سيد المرسلين، بالعديد من النماذج المتميزة، التى تقدم للبشر مزيداً من العظة والاعتبار، وأول ما ينبغى السعى إلى الاتعاظ به: لحوم الطير، التى هى من أغذية أهل الجنة، فضلاً عن قيمتها الغذائية للإنسان على سطح الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[3].

---

[1] سورة النور ٤١.

[2] سورة الأنبياء ٧٩.

[3] سورة الطور ٢٢.

وأن الله (سبحانه وتعالى) قد أتاح لداود وسليمان بعض المعجزات، التى أهلتهما من خلال البعث النبوى للبشر أن ينهضا برسالتيهما فى التعامل مع الطير بمَنْطِقِه، وقد كانت الطيور بعض جيوش سليمان، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1].

وانتقل من مجموع الجيش إلى أحد أفراده، وهو الهدهد الذى لم يشاهده، عندما تفقد الطير، إلى أن أقبل: أى الهدهد، وكشف عن سر غيابه، وقال له (عليه السلام) بنص القرآن الكريم: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2].

وأخذ يحدث نبى الله سليمان، عما شاهده فى مملكة سبأ من عجائب الأديان والحياة.

ويُعطى الحَمَامُ دلالات راسخة على المحبة والسلام، وبعث الطمأنينة والأمان، فقد باضت حمامتان فى أسفل غار ثور، والرسول وأبو بكر بداخله، فعن أبى مصعب المكى، قال: «**سمعت أنس بن مالك وغيره أن النبى ﷺ ليلة الغار، أمر الله تعالى صخرة فثبتت فى وجه النبى ﷺ فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت فى وجهه فسترته، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار**»[3].

وأن حمام الحمى، يُشَكل بقدرة الله، منظومة رائعة من الجمال والإجلال، وكلها بواعث قوية للتأمل فى بديع صنع الله (سبحانه وتعالى)، خاصة والمشاهِدُ يلحظها تلتقط فى رونق رائع، وجمال بديع، حبات البذور القريبة من الكعبة، وهى رموز قوية، بل دلائل واضحة فى نشر الأمن والأمان فى بيت الله الحرام.

---

(1) سورة النمل ١٧ – معنى يوزعون: يُقسَّمون وينظمون، والوازع الذى يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر، وأوزعنى – ألهمنى.

(2) سورة النمل ٢٢.

(3) أخرجه البزار عن طريق عوف بن عمرو (من هامش تفسير البضاوى جزء ٢ صـ ٤٢٩).

أما الجماعات من الطيور، التي كانت سبباً قوياً في حماية بيت الله من خلال حملة أبرهة الحبشي، عندما سار بجيشه قاصداً هدم الكعبة، فكانت الطير الأبابيل قازفة لحجارة صغيرة، مطبوخة بنار حامية، وتحققت الحماية الإلهية، والتسخير الربانى لهذه الجماعات المتفرقة من الطيور السوداء، التى جاءت من قِبل البحر، أفواجاً أفواجاً، ترمى الجيش بما تحمله، فكانت النكبة كبيرة على جيش أبرهة القادم من اليمن، مما أسفر عن حماية إلهية لبيت الله، كانت الطيور فيها من أسباب هذا النصر المبين.

وللطيور سلوكيات مجملة، واستعمالات متعددة خاصة مع بنى آدم، ومع سيدنا إبراهيم فى الطيور الأربعة، وغير ذلك مما كان يدور فى حيازة المنطقة، التى استقبلت دعوة داود وسليمان، وكلها تدعو إلى التأمل والتفكير فى كل الكائنات.

٩- الاعتبار بآيات الحجاب

في سورة الأحزاب

تنطلق سلوكيات عباد الرحمن من القرآن الكريم، والسنة النبوية، تلك التى بدأت الدعوة الإسلامية بها، حيث تحدَّدَ معيار النظر بين الرجال والنساء، وحتمية تحجب المرأة بما أمر الشرع بستره بحق الآخرين، وانطلاقا مما جاء فى سورة الاحزاب عن زوجات النبى، وبناته، ونساء المسلمين.

١- حديث القرآن عن استقرار نساء النبي في البيوت وعدم التبرج:

لقد جاء حديث القرآن الكريم عن حجاب المرأة (احتجابها) فى ثلاثة مواضع بسورة الأحزاب، مرتبطة بمناسبات ذاتِ دلائل ايمانية؛ لوضع إطار عام لأبعاد العلاقة بين الرجال والنساء، وما تشتمل عليه من ضرورات النظر، وحتمية التحجب؛ حتى لا يشغل الإنسان بمشاهداته للنساء عن لوازم حياته، من التفكير والسعى والحركة فى دروب الحياة، وجاء الحديث مرتبطا فى الموضع الأول بزوجات النبى ﷺ، حيث خوطب بشأنهن فى العديد من شؤون الحياة، وقال تعالى بخصوص استقرارهن في البيوت، وعدم تبرجهن: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[١].

وقد سُبق هذا الجزء من الآية ببيان قرآنى، أفاد أن نساء النبى مختلفات عن غيرهن من النساء فى الفضل والشرف، ويلزم لذلك، بعض الواجبات فى شرعية السلوك ولوازم العبادة، مثل: القنوت والعمل الصالح، وعدم الخضوع بالقول، بمعنى الليونة فى النطق، وقول المعروف الخالى من الشك والريبة، ذلك لأنهن موضع القدوة لغيرهن من النساء، وقد استقر التشريع الذى أباح للرسول أن يتزوج عددا أكثر مما صُرِّح به لسائر الرجال، فتلك متطلبات النبوة، وتبليغ الرسالة فى قلب الجزيرة العربية، ابتداءً ووصولاً الى شمولية الدعوة المحمدية الى سائر الأزمنة والأمكنة.

---

[١] سورة الأحزاب الآية رقم (٣٣).

ومعنى الجزء المذكور من الآية، يفيد بوجوب لزوم البيت لنساء النبى ﷺ، واشتمل ذلك جميع النساء، وإن كان الخطاب لنساء النبى؛ تشريفاً لهن، مع نهيهن عن التبرج.

ومعنى **التبرج**: التكشف والظهور للعيون بإظهار الزينة، واختلف المفسرون فى بيان المراد بالجاهلية الأولى، ومن أقوالهم: الزمن الذى ولد فيه إبراهيم عليه السلام، وقيل جاهلية الكفر، أو الجاهلية القديمة، ومعنى غير المتبرجات، أى غير الخارجات من البيوت فى أحوال وهيئات لا يتطلب منها ذلك، وعليه تصير المرأة فتنة تضرُّ بحركة الحياة، ولعلها المقصودة من قول رسول الله ﷺ: **«ما تركتُ بعدى فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»**[1].

والحديث فى مجموعه إخبار من الرسول ﷺ بوجود جماعة من النساء، تتمخض سلوكياتهن عن مفاسد اجتماعية، توجه إلى صميم حركة الحياة، وذلك بالتأثير على الرجال، تأثيراً سيئاً وضاراً، شباباً وشيوخاً، مما يستلزم مراعاة الانضباط الأخلاقى، والالتزام الشرعى بالدستور الإسلامى للحياة.

٢ـ الآية الثانية ـ المناسبة والمعنى :

يقول الحق (تبارك وتعالى) فى شأن زوجات النبى ابتداء، ويليهن نساء المسلمين: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾[2].

إذ ترشد هذه الآية إلى بيان الحجاب، أو الاحتجاب – لِحِكَم تشريعية فى شأن هذا الذى كان قد ارتبط برغبة، تجلت عنها موافقة إلهية، لما كان يجول فى الخاطر الإيمانى لسيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): فقد ذكرت الأحاديث الصحاح أنه (رضى الله عنه) قد وافق ربه فيما يتعلق بنزول القرآن عن ثلاثة

---

[1] أخرجه البخارى.

[2] سورة الأحزاب الآية رقم (٥٣).

أمور، رواها أنس (رضى الله عنه) قال: قال عمر بن الخطـــاب، (رضـــى الله عنه): وافقت ربى عز وجل، في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقـــام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1]، وقلت يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البَرُّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلـــت آيـــة الحجاب[2]، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه فى الغَيْرة، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[3]، فنزلت كذلك[4].

والمعنى فى الآية "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا" يتصل بحالة اللجوء إلى نـــساء النبى لسؤالهن عن المتاع، وهو جميع ما يتمتع به من الأشياء المستعارة، لزوم الدين والدنيا.

وقد بدأت آية الحجاب هنا مرتبطة بمناسبة هى وليمة زينـــب، وجـــاء الأمر تشريعاً لحجب نساء النبى؛ عن أنظار الرجال، وتتجه الدلالة فى الآية إلى الحجاب، بمعنى الاستقرار فى البيت، وهو بمعنى الاحتجاب، وكان ذلك فى بـــدء آيات النزول وأسبابه خاصاً بنساء الرسول، ولكنه ينطبق على سائر نساء المسلمين.

وبذلك يكون الشأن أو الدلالة فى هذه الآية متجهاً إلى الأمر بالحجـــاب، وهو ستر البدن ما عدا الوجه والكفين، ثم احتجاب نساء النبـــى عـــن أنظـــار الرجال، ولا يفاد من ذلك، أن الإسلام قد ألزم المرأة البيت، وإنمـــا أتـــاح لهـــا الخروج وفق القواعد الشرعية، كما أن الحجاب -على إطلاقة- لـــيس قاصـــراً على ستر الزينة، والمفاتن، وغض البصر، بل يدخل فيه عدم الخلـــوة، وعـــدم التلامس، والخضوع بالقول، ومنع كل ما يثير الفتنة، ويغرى بالسوء[5].

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (١٢٥).

[2] التى معناه فى سورة الأحزاب ٥٣.

[3] سورة التحريم الآية رقم (٥).

[4] مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى صـــ ٢١.

[5] انظر بيان للناس من الأزهر الشريف جزء ٢ صـــ ٢١٦.

٣ـ الآية الثالثة ـ ومزيد من التحديد:

جاء الخطاب فى هذه الآية موجها الى رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

وتأتى شمولية الأمر بالحجاب فى هذه الآية، من خلال توجيهه إلى عموم النساء، اللائى تمثلن فى أزواج النبى، وبناته، ونساء المؤمنين، ويتجلى النص فى الالتزام بالحجاب فى قول الحق: "يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ" وبيان ذلك أن الحجاب يشمل غطاء سائر الجسم، والذى تناولته السنة النبوية بمزيد من البيان والتوضيح، والجلباب: الثوب الذى يستر جميع البدن أو الملاءة، التى تشتمل بها المرأة والجمع جلاليب.

وقد ابتدأ الله (سبحانه وتعالى) أمر الحجاب الشرعى إشارة إلى أنهن قدوة لبقية النساء، فعليهن التمسك بالآداب الشرعية، التى أمر الله بها؛ صيانة وحفظا لهن، وهذا مؤكد من النصوص الشرعية، وليس كما يزعم بعض المتحللين، أنه خاضع للعادات والتقاليد، وتأتى أهمية البيان التفصيلى لهذه الأحكام الشرعية فى هذا الزمن، الذى انقلبت فيه الموازين، وبلغ التبرج حداً، تأباه الأخلاق الإنسانية، والأديان السماوية، مما يحتم لرجالات عباد الرحمن المؤمنين ونسائهن المخلصات، أن يتمسكوا بكلام الله، وسنة رسول الله، والحفاظ على شرف المرأة وكرامتها وعفتها، ومقاومة العُرْى، ونشر فضيلة الحجاب الشرعى، الذى يشمل تغطية البدن، وسمو الأخلاق، والالتزام الشرعى بالأوامر والنواهى الواضحة وضوح الشمس.

---

[١] سورة الأحزاب الآية رقم (٥٩).

١٠- الالتزام بالاحتشام فى الملابس والزينة

ترتبط الملابس – ابتداء – بستر العورة للرجل والمرأة، وتطورت عبر التاريخ، الى أن ظهر الإسلام، فجعل لبعض العبادات أزياء تتميز بها، بحيث تكون بعيدة عن الإسراف، دالة على التواضع، مميزة لهيئة المسلم والمسلمة فى الستر والاحتشام.

١- الأمر بستر العورة، والاحتشام فى الملابس والزينة:

قال الله (سبحانه وتعالى) فى قرآنه العظيم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[١].

والمعنى قد أنزلنا عليكم لباساً، أى أنزلنا مسبباته، وهو المطر الذى يُنبت القطن والكتان، ويقيم البهائم التى منها الأصواف، والأوبار، والأشعار، وقيل أنزل شيئاً من اللباس مع آدم وحواء؛ ليكون مثالاً لغيره، أو خلقنا لكم لباساً ألهمناكم كيفية صنعه، وقوله يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ مفاده، وجوب ستر العورة، وهو دلالة على الإنعام من الله سبحانه وتعالى، الذى أكرم الانسان بهدايته إلى وقاية نفسه، وستر بدنه، وصيانة كرامته وذاته، فكانت عورة الرجل ما بين سرته وركبته، أما المرأة فجسمها كله عورة، ماعدا الوجه والكفين، وذلك عند أكثر أهل العلم، حيث يتوجب كشفه فى الإحرام بالحج والعمرة، ومعنى قوله: "وَرِيشٗا" أى ما كان من المال واللباس، أو الريش الحقيقى الذى يستر الله به الطائر، أو أن المراد، كل ما ستر الإنسان من لباس أو معيشة.

وقوله: "وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ" أى أن تقوى الله هى خير ما يتزين به المؤمن، أو أن المعنى هو الخشية من الله، أو الحياء أو العمل الصالح، أو السمت الحسن فى الوجه، وقيل فى المعنى غير ذلك.

---

[١] سورة الأعراف الآية رقم (٢٦).

والآية في مجملها، نداء من الله لبني آدم بوجوب ستر العـورات عـن أعين الناس، وحتى يفترق الإنسان الذي كرمه الله بالعقل والتكليف عن غيره من المخلوقات، وقوله: "ذَٰلِكَ خَيْرٌ" أي ذلك ما يتزين به المؤمن من إنزال الريش.

ويتواصل المعنى بخصوص ستر العورة في الآية التالية لما سبق مـن سورة الأعراف، إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١].

لقد كانت غواية الشيطان لأبي البشر وزوجته، بالأكـل مـن الـشجرة المنهي عنه، ثم كانت الضرورة في كشف السوأة، مما حتم المخالفة لما أمر الله، تعالى من الطاعة والاحتشام بستر العورة، وصيانة الكرامـة الإنـسانية، منـذ بداياتها المبكرة، فكان تدخل الشيطان وجنوده في هذه المفسدة، إذ يرى البـشر بكيفية لا يعلمها إلا الله، في حين أن معطيات الإنسان، لا تتيح لـه أن يرصـد الجن ويراقبه، خاصةً أن غوايته لا تأتي بنتائجها إلا في حق الذين لا يؤمنـون؛ زيادة في عقوبتهم، واقتراباً، أو تشبيهاً بالجن في الابتعاد عن الحق.

ولم تتوقف مسيرة الإنسان عبر رحلته على الأرض، فيما يخص كشف العورة أو سترها، إلى أن كان شأن العرب في الجاهلية قبل الإسـلام يطوفـون بالبيت عرايا، ذلك أنهم اعتادوا الطواف بالبيت، إما في ملابس الحُمـس[٢] وإلا فالطواف بالبيت عرايا إذا لم تعطهم الحمس ثياباً يطوفون بها، حيـث يعطـى الرجال والنساء، إذ كانوا يقولون: "نحن أهل الحرم، فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا، فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة، يعيره ثوباً ولا يسار يستأجره به، كان بين أحد امرين: إما أن يطوف بالبيت عرياناً، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذ فرغ من طوافه، ألقى ثوبه عنه فلم يمسه أحد"[٣].

---

[١] سورة الأعراف الآية رقم (٢٧).

[٢] هم قريش، وما ولدت.

[٣] تفسير القرطبي جزء ٧ صـ ١٨٩.

وبقى العرب على تلك الجهالة والبدعة والضلالة، حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[1]، وأذن مؤذن رسول الله ﷺ ألا لا يطوف بالبيت عريان، ففى الآية دلالة على ستر العورة كما تقدم فى الصلاة وغيرها.

٢ـ ملابس المؤمنين والمؤمنات فى سائر العبادات:

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بكثير من النعم، التى ينبغى شكره عليها، ومن ذلك، أنه هداه إلى اختيار الملابس والأزياء، حسب متطلبات الحالة والعبادة، التى كلف بها، فقال عز من قائل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾[2]، والمعنى، أن الله (سبحانه وتعالى) قد هيأ للإنسان القمصان والملابس، التى تدفع عنه الحر والبرد، كما هيأه الى معرفة الدروع، التى يرتديها ويستعين بها فى الحروب، وقد علّم الله (سبحانه وتعالى) نبيه داوود (عليه السلام) صناعة الدروع، وأدوات الحروب، التى ينبغى شكر الله سبحانه وتعالى على ما هداه إليه؛ لترتد عوائدها الأمنية على سائر البشر .

فقال تعالى جلت قدرته: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾[3]، وانتقلت الملابس والزينة إلى الكعبة، التى تتجمل للحجاج والعمّار فى الحج والعمرة.

وفى ضوء إنعامات الله على سائر خلقه، ينبغى الاعتدال فى الملابس، وأخذ الزينة بلا إسراف بحق الرجل والمرأة، وحسب طبيعة كل منهما، واختيار ما يناسبه فى هدى العبادات، وفى غيرها، من نشاطات الانسان فى الحياة، بمعنى ألا يستعمل الرجال ملابس النساء متشبهين بهن، وكذلك منع ارتداء

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم (٣١).

(٢) سورة النحل الآية رقم (٨١).

(٣) سورة الأنبياء الآية رقم (٨٠).

النساء لملابس الرجال متشبهات بهم، تلك الأوامر النبوية التى غابت عن كثير من رجال الإسلام ونسائه فى العصر الحاضر، مما يعنى حتمية التوقف عن التقليد الأعمى، والحرص على استقلال الشخصية الإسلامية، بما يناسبها فى عباداتها الدينية، وعاداتها الاجتماعية، والأمل كبير فى تحقيق النصر للإرادة المسلمة، خاصة أن المشاهدات لا تتناسب مع هذا الأمل، ونقول بقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[1].

ففى الصلاة، يجب الالتزام بستر العورة، واختيار الزينة لكل من الرجل والمرأة، كل حسب حالته لملاقاة الله والإقبال عليه عند الصلاة فى البيت، أو فى المسجد، وبخاصة فى أيام الجمع والعيدين، أما فى الحج، فيلتزم الرجال بارتداء ملابسهم عند الإحرام، وهى الإزار والرداء، بالاشتراطات والمواصفات التى نص عليها علماء الفقه فى كتب الأصول، حيث يكون اللون الأبيض حاملاً لدلالات كثيرة، يستشعرها الحاج والمعتمر، عند أداء المناسك وبعدها.

أما النساء فعليهن ستر جميع البدن، ما عدا الوجه والكفين، إلا عند الضرورة، التى تتيح لهن ستر هذه الأعضاء، كما يحرم عليهن ارتداء الملابس المصبوغة بالألوان (الفاقعة): كالعصفر، أو المعطرة بالروائح التى تتنافى مع جلال الحج والعمرة.

ولا بد أن يبقى المسلم والمسلمة فى هذه المناسك على تقوى وورع وخشية من الله سبحانه وتعالى، بحيث تتلاءم ظواهر الانسان مع بواطنه فى هذه العبادة بخاصة.

ولا يليق بالمسلم الادعاء بأن التقتير فى الملابس بالترقيع، أو الخشونة، أو اللون، أو الهيئة، دلالة على الورع، فإن الإسلام يحض على النظافة، وأخذ الزينة، والاعتدال فى الأمور كلها.

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (٢١٤).

١١ـ الاعتبار بملابس الإيمان والتقوى

عندما تشف نفس المؤمن، ويرتقى إيمانه، لا تصير الملابس، التى تستر بدنه كل عنايته واهتمامه، وإنما يسعى الى ستر روحه، وتجميل تقواه، وذلك فى الدنيا من خلال الزوجة وسائر النعم المباحة والمتاحة، أو فى الآخرة بعد نهاية عمره، وفى ظلال إقامته بالجنة، بما فيها من ملابس وزينة، يسعد بها بإذن الله تعالى.

١ـ ملابس الايمان والتقوى:

لقد اعتاد الناس فى بدايات الزواج، أن يختاروا ملابس متميزة؛ اقتراناً بهذه المناسبة، وما فيها من بداية لحياة جديدة، وقد تقع من بعض الناس تجاوزات غير محمودة فى تلك البداية، من مبالغات فى الملابس، أو الكشف لما يجب ستره، وما شابه ذلك مما يلاحظ من عادات، وفدت إلى العالم الاسلامى من خارجه، على أن الاعتدال والالتزام فى هذه البداية، يخضع للعبادة قبل العادة؛ لأن تكوين الأسرة ينبغى أن يستند إلى بدايات صحيحة؛ وفق المرعيات، التى دعا إليها القرآن الكريم، وحضّت عليها سنة رسول الله ﷺ، وتأكدت تطبيقاً، وحرص عليها صفوة الخلق من عباد الله المتقين، ولا نجد أفضل مما يعبِّر عن الملابس فى الحياة الزوجية، من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[1]، ذلك أن الأصل فى معنى اللباس، هو الثياب، "وسُمّى امتزاج كلٍّ واحدٍ من الزوجين بصاحبه لباساً؛ لانضمام الجسد، وامتزاجهما وتلازمهما تشبيها بالثوب"[2].

وذكر القرطبى فى تفسيره: جواز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل، أو ستراً عما يكون بينهما من الأسرار الزوجية، وذلك عن أبصار الناس، وعبر القرآن فى موضع آخر، فيما يخص المرأة بأنها سكن للزوج، وهو وقاية أكبر، تشمل السكن الحسى، والسكن المعنوى، وفيه يكون كل واحد منهما سكناً للآخر.

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (١٨٧).

[2] تفسير القرطبى جزء ٢ صـــ ٣١٦.

وإذا تجاوز الإنسان حدود الطاعة الى دوائر العصيان، فإنه لا يستحق إلا الجوع والخوف يشملانه، كما يشمل الثوب البدن، وذلك عظة واعتبار لمن شذت نفسه، وتمردت نزعاته، وتجاوز دوائر الأمن بعصيانه، وعدم طاعته لله ورسوله، وقد ضرب الله (سبحانه وتعالى) فى قرآنه الحكيم مثلا لقرية، كانت آمنة مطمئنة لرزق الله، فتمردت ومارست الكفر والعناد لنعم الله سبحانه وتعالى، فكان الحرمان بالجوع وفقد الأمن، وهما سوأتان كبيرتان، يعجز الإنسان وأكبر العتاة أمامهما، فقال تعالى فى حقهما: ﴿**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ**﴾[1].

فإن تحقيق السعادة للإنسان، يستلزم أن يوجد لديه ما يبعث على ذلك، من حيث الأمن والقوت، إضافة الى المعافاة فى البدن، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «**من أصبح معافاً فى جسده، آمناً فى سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»[2].

ومعنى الجزء السابق من الآيه: أذاق الله أهلها العقاب، وألبسهم لباس الجوع والخوف، حيث يظهر عليهم من الضعف والهزال، وتغير لون البشرة بما يصير كاللباس لهم، جزاء ما صنعوا من الكفر والعصيان.

٢ـ الاعتبار بملابس الآخرة:

لا يقتصر حديث الفقه الإسلامى على ملابس الإنسان فى دنياه، وإنما يشمل ملابسه فى طريق أخراه، وفى مستقر جنة الله فى الآخرة، ذلك أن بعض البشر يلجأون إلى أنواع من السلوكيات، التى لا تتوافق مع صحيح الإيمان، فيسرفون فى اختيار الملابس والأقمشة، التى يكفِّنون بها موتاهم، متوهمين أن زخارف الدنيا تليق بمن ارتحل عنها، وفارقها فى طريقه إلى قبره واستقراره فيه، وما عليهم إلا أن يلتزموا بما ورد عن رسول الله ﷺ، وسار عليه أصحابه وأتباعه من صفوة الخلق، وهم جميعا سائر عباد الرحمن المتقين.

---

[1] سورة النحل الآية رقم (١٨٧).

[2] رواه الترمذى، وهو حديث حسن الشواهد.

وما يلزم لذلك هو تكفين الميت بما يستره، ولو كان ثوبا واحداً، فعن خبّاب (رضى الله عنه) قال: «**هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد، فلم نجد ما نكفنه إلا بُرْدَة، إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا النبى ﷺ أن نغطى رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر**»[1].

وينبغى عدم المغالاة فى الكفن لكل من الرجل والمرأة، كما لا يحل للرجل أن يكفن فى حرير، وإن أجيز للمرأة ذلك، كما لا يصح أن يكون الكفن مصبوغاً بألوان (مُعَصفرة) فالتواضع مطلوب فى الدنيا لمن يحيا، ولأهل الميت الذين ينبغى عليهم تقوى الله، والتواضع فى الملابس والزينة.

ويكون الكفن للرجل ثلاثة أثواب وللمرأة خمس، ويراعى فى ذلك الحرص على الالتزام بالسنة، فقد روى عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: «**إن رسول الله كُفِّن فى ثلاثة أثواب بيض سُحُولية، ليس فيها قميص ولا عمامة**»[2].

وينتقل المسلم بورعه وتقواه، من حياة البرزخ إلى جنة الله ونعيمه، ويلبس فى آخرته ما تتوق النفس إليه من أزياء النعيم، التى عرض لها القرآن الكريم فى شأن ملابس أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾[3].

---

[1] رواه البخارى والأذخر نبات تسقف به البيوت فوق الخشب.

[2] اللفظ للبخارى والحديث رقم ١٢٧٣ والسحول هو الثوب الأبيض النقى، ولا يكون إلا من قطن (فتح البارى) جزء ٣ صـ ١٦٨.

[3] سورة الحج الآية رقم (٢٣)، وقال تعالى: جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ سورة فاطر الآية رقم (٣٣).

ويعرض القرآن الكريم فى آية أخرى، إلى ملابس أخرى لعباد الرحمن، فقال تعالى عن وصف أحوال المؤمنين بالجنـــة: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1]، فهم يلبسون الذهب والسندس، وهو الحرير الرقيق، والإستبرق، وهو الحرير الغليظ، ولم يكن ذلك مباحا لهم فى الدنيا، فهم بالآخرة فى شأن آخر، مع جنة عَدْن التى تجرى الأنهار فيها من تحتهم .

٣ـ الاعتـدال فى الملابـس:

يرتبط الإنسان ارتباطاً وثيقاً بما يرتديه من ملابس وأزياء، والتى ينبغى عليه أن يعتدل فى اختيارها. من حيث القيمة واللون، وذلك فى الدنيا، وأنه مهما حُكم على الإنسان من ظاهره، فإن المخبآت فى باطنه كفيلـة بالدلالـة علـى شخصيته، والتعبير عن إيمانه، فالمرء مخبوء تحت لسانه، وهو يحدث الله فـى صلاته، ويستر زوجته بألبسة التقوى، فإذا ما انتهت رحلته على الأرض، وجب على القائمين بأمره، أن يراعوا الله (سبحانه وتعالى) بالالتزام بسنة رسـول الله ﷺ من أحاديث أرْدية الدنيا والآخرة؛ حتى يلقى المؤمن ربه فى جنـة الخلـد، وعليه ثياب الآخرة، التى يباح فيها ما لم يكن مباحا فى الـدنيا، وذلـك شـأن عباد الرحمن، الذين يلتزمون بأوامر الله ونواهيه، وأحاديـث رسـول الله ﷺ، وسائر أفعاله وصفاته.

---

[1] سورة الكهف الآية رقم (٣١).

خامساً: من أخلاق عباد الرحمن في بعض المناسبات

١ـ حُسن الاستقبال لشهر رمضان.

٢ـ الحرص على إحياء ليلة القدر.

٣ـ من آداب الإسلام في الاحتفال بالعيد.

٤ـ الحرص على صوم النوافل في الأوقات المحددة.

٥ـ اجتناب الترف الزائد في المناسبات وغيرها.

٦ـ العودة إلى الله بالحج والعمرة.



١ـ حسن الاستقبال لشهر رمضان

يَهِلُّ علينا شهر رمضان عزيزاً مكرماً، وضيفاً معظماً بعد غياب طويل، زاد فيه الشوق إلى لُقْياه، والمضيف يَعُدُّ نفسه لحسن الاستقبال وروعة اللقاء، طوال أيامه ولياليه، التى تُعبَّأ فيها ذاكرة عباد الرحمن بآيات الوحى الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ.

١ـ استقبال المؤمنين لشهر رمضان:

إن شهر رمضان موسم للعبادة، ومناسبة؛ لتطهير الذات من الذنوب والسيئات، وتنمية العلاقات الإنسانية، التى ربما أصابها الفتور طوال العام، فيأتى هذا الشهر مصحوباً بآمال وطموحات من عباد الرحمن فى غفران ذنوبهم، ومحو سيئاتهم، واستقبال مرحلة جديدة من أعمارهم، يدعمون فيها الجوانب الروحية السامية.

ويتميز هذا الشهر الكريم، بتلاقى فروض الإسلام وسننه فيه، إلى الدرجة التى يستشعر معها المؤمن قيمة الصوم فى رمضان، وأنه موسم للإيمان، ومدرسة للصبر الجميل، وإعلان للتوبة الصادقة، التى يتحقق معها إعادة المظالم إلى أصحابها، والعزم المؤكد على مقاطعة المنكر، والتصدى للباطل، فى حدود الاستطاعة التى تؤهل المسلم – خاصة فى صومه – للتحرك وفق قدراته المادية والروحية.

تلك هى بعض مؤهلات الاستعداد الإيجابى؛ لحسن استقبال شهر الصيام والقرآن، بحفظ اللسان، وغض البصر، وعمل الطاعات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

---

[1] سورة التحريم الآية رقم (٨).

كما يجب أن تكون بداية الصوم مشفوعة بنقاءً القلب، وصفاء الـروح، وحسن الدعاء لله رب العالمين، ففي وسط آيات الصوم بسورة البقرة، جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1].

وقد علَّمنا رسول الله ﷺ القول عند رؤية الهلال: **«اللهمّ أهلّـه علينـا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربى وربُّك الله»**[2]، ذلك الدعاء المـرتبط ببداية هذا الشهر، وغيره من الشهور.

٢ـ بعض آداب الإسلام فى شهر الصيام:

يتميز شهر رمضان عن بقية الشهور بخصائص، تَحْفِز المسلمين علـى العناية به؛ لتجمع كثير من العبادات فيه، وقد ذكر القرآن الكريم: أن الصيام ليس عبادة مستحدثة فى الإسلام، وإنما تمتد جذوره الإيمانية فى الأمم السابقة، قـال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3].

وفى حديث قدسى جامع، نشهد به كثيراً من آداب الصيام، التى تـدعم الجوانب الروحية والاجتماعية، وتحض على الفضائل، وتنفر من الرذائل، فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: قال الله تعالى: **«كل عمل ابـن آدم لـه إلا الصيام فإنه لى، وأنا أجزى به، والصيام جنة**[4]**، وإذا كان يوم صوم أحـدكم، فلا يرفث ولا يصخب**[5] **فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إنى امرؤ صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف**[6] **فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للـصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه»**[7].

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (١٨٦).

[2] رواه الترمذى.

[3] سورة البقرة الآية رقم (١٨٣).

[4] أى وقاية وحفظ من المعاصى.

[5] لا يرفث: لا يفحش فى الكلام، ولا يصخب أى لا يرفع صوته بخصام ولا صياح (التاج جـ ٢ صـ ٤٧).

[6] الخلوف: تغير رائحة الفم بسبب عدم الأكل .

[7] رواه الخمسة.

ومن الآداب الإسلامية، التى ينبغى الحرص عليها والالتزام بها: تقدير الآخرين، خاصة فى غيابهم، وذلك بعدم الخوض فى سيرهم الخاصة، وتناول أعراضهم، وذلك بضبط اللسان، وصيانته من الكذب والافتراء، والسخرية من الآخرين، ومن كل ما لا يليق بالمسلم، خاصة فى شهر رمضان، فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **«من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجةٌ فى أن يدع طعامه وشرابه»**[1].

إن بعض الصائمين عندما يشتد الجوع والظمأ لديهم، يفقدون السيطرة على تصرفاتهم، التى تتصل بالآخرين، مما يسيئ إلى مشروعية هذه الفريضة السامية، التى تجعل العلاقات الإنسانية محل اعتبار وتقدير، ولذلك جاءت السنة مراعية للغرائز الإنسانية، ومتمثلة فى الدعوة إلى تعجيل الفطر، وتأخير السحور، بهدف تقليل مدة الصوم، وحماية متطلبات المؤمن من الطعام والشراب، وتأكيد التيسير الإسلامى فى السنن والفرائض، فعن سهل بن سعد (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر»**[2] وفى رواية **«وأخَّروا السحور»**.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تسحروا فإن فى السحور بركة»**[3]، وتتحقق هذه البركة باتباع السنة، والتقوى على العبادة، والاحتراز من فلتات اللسان، الذى يثيره الجوع والعطش، وربما يكون هذا التوجه الإسلامى فى الصيام سهلاً ميسراً، ولكن تأثيره فى السلوك والعلاقة بالآخرين عظيم ورائع، ثم يأتى بعد ذلك الجزاء الإلهى بوعد الرسول ﷺ فى قوله: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»**[4]، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

[1] رواه الخمسة إلا مسلماً.

[2] متفق عليه.

[3] متفق عليه.

[4] متفق عليه.

٢ـ الحرص على إحياء ليلة القدر

يستقبلُ المسلمونَ شهر رمضان استقبال الغائب الغريب، الذى طال الشوقُ إليه، وزادت الرغبة فى لقائه، فيستعدون له استعداداً يختلف عن غيره من الشهور، ففيه أعظمُ الأحداث فى تاريخ الأمة الإسلامية، حيث نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ، فبدأت الرسالة المحمدية تشق طريقها إلى قلوب العاشقين لمحبة الله ورسوله.

١ـ بيان ليلة القدر ـ كما فى الكتاب والسنة:

ترتبط (ليلة القدر) فى العشر الأواخر من شهر رمضان كل عام بنزول القرآن، أو ببدء نزوله فى هذه الليلة المباركة، التى كانت فتحاً جديداً فى حياة البشر، على عهد رسول الله ﷺ ، وكانت بداية المعرفة والوصول إلى درجة عليا من اليقين الإيمانى، من خلال كلمة أولى متميزة ومختارة، وهى (اقرأ) التى هبط بها وبغيرها من آيات القرآن رسولُ الوحى الإلهى الذى بلَّغه – فى غار حراء – إلى سيد الخلق، وحبيب الحق محمد ﷺ، وهنا كانت البداية بالرسالة، التى تواصلت آياتها، إلى أن كانت الخاتمة بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢].

وكانت الآيات الأولى من سورة العلق هى البداية، التى تحقق نزولها فى الليلة المسماه فى القرآن بليلة القدر، هذه الليلة التى نزلت فى شأنها سورة خالدة من سور القرآن العظيم بآياتها المقدسة، التى لا يشبهها كلام للإنس أو الجن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[٣]، وكان التحديد العام لها،

---

[١] سورة المائدة الآية رقم (٣).

[٢] سورة البقرة الآية رقم (٢٨١).

[٣] سورة الدخان الآية رقم (٣).

والارتباط بالنزول فى شهر رمضان، فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1].

ونزلَ البيان الموسع فى هذا الشأن بقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ، وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ، لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [2].

وهكذا كانت بداية المخاطبة لرسول الله ﷺ بالآيات الخمس المباركات من أول سورة العلق، والتى تدعو إلى العلم، وتحض على المعرفة وتربط بين نشوء الفكر وبداية الخلق، وهى خطاب أولى مباشر للعقلاء، الذين يتبعون الأسرار والعظات، كالسير فى الأرض، وأهمية العلم، وتعقب أخبار الأمم السابقة.. تلك الليلة التى لا ينافسها أى مقدار زمنى فى المكانة، والمنزلة، والروعة، والجلال.

٢- ارتباط عباد الرحمن بليلة القدر:

سميت هذه الليلة المباركة بليلة القدر، ففيها -حسب رؤية بعض العلماء- تقدير هذه الليلة والأحكام والأرزاق والآجال، وما يكون فى تلك السنة إلى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة، وهى ذات شأن وقدر ومكانة؛ لارتباطها بنزول القرآن، وهو كتاب ذو منزلة عالية عند رب العالمين، فهو كلامه الذى أنزله على رسوله؛ ليكون معجزة لدعوته، يعجز عن الإتيان بمثلها سائر الإنس والجن، وليواجه بها قومه، وهم أصحاب تاريخ حافل فى المعارف، والتواريخ، والأنساب، والآداب، وسائر اللهجات، التى توحدت إلا قليلاً فى لغة قريش، التى

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (١٨٥).

[2] سورة القدر الآية رقم (١-٥).

نزل القرآن الكريم بها، والقدر: هو المكانة [illegible] العظيم، والمراد من قوله تعالى"أَنزَلْنَٰهُ" أى القرآن، حيث ابتدأ الله نزوله على رسوله فى ثلاث وعشرين سنة، أو أن الله تعالى قد وجّه ملائكته، فنقلوه من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى بيت العزة فى سماء الدنيا، قال تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ، مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ، بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1]، ثم توالى نزوله بعد ذلك حسب الوقائع والمناسبات.

ومعنى: "خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ" أى أن العمل التعبدى فى هذه الليلة أفضل من نظيره فى ألف شهر، ليس فيها ليلة قدر. وقوله "وَٱلرُّوحُ" أى جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[2]، وقوله: "بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ" أى بسبب كل أمر من الحقائق المدركة، والمغيبات التى لا يدركها البشر.

وتقع ليلة القدر فى العشر الأواخر من شهر رمضان، التى يتحقق فيها عتق الرقاب من النار، وتذكر الأحاديث النبوية: أنها فى ليالى الوتر منها، فعن عائشة (رضى الله عنها) عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«تحروا ليلة القدر، فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان»**[3]، ولهذا الإخفاء حكمة تشريعية عظيمة، ولها نظائر كثيرة، منها: إخفاء الصلاة الوسطى، وغيرها.

ورأى فريق من الصحابة: أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، ومما روى فى ذلك، حديث معاوية بن أبى سفيان ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: **«ليلة القدر ليلة سبع وعشرين»**[4].

---

(1) سورة عبس الآية رقم (١٣-١٦).

(2) سورة الشعراء الآية رقم (١٩٣ - ١٩٤).

(3) رواه الشيخان والترمذى.

(4) رواه أبو داود، وأحمد بسند صحيح.

٣ـ كيفية إحياء ليلة القدر:

تتعدد صور الإحياء الإيمانى لهذه الليلة بالعبادات، التى تنطلق ابتداءً من قراءة القرآن، الذى يرتبط تاريخه بهذه الليلة، ويكون الحال معه مقترناً بتلاوته، ودراسته، ومعرفة أحكامه، كما يتحقق الإحياء بصلاة التهجد والتراويح، وكثرة الأدعية والاستغفار، والاعتكاف؛ اقتداء بالرسول، وأصحابه البررة، الذين ساروا على نهجه، وعملوا بسنته، واهتدوا بهديه، وقد روت أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) قائلة: «**كان النبى ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله**»[1].

وينبغى أن يسير المسلمون على سنة الرسول، وسنة أصحابه من بعده، الذين كانوا يتسابقون على فعل الخير، وحسن الأداء، لا ابتغاءً لشهرة، ولا رغبة فى كسب، وإنما سعياً لتعميق الروابط الإيمانية، واحتساب الأعمال عند الله تعالى؛ حتى يغفر لهم، ويتقبل منهم، فيكون العفو والمغفرة والعتق من النار، فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[2].

ولْيكُن من الأدعية دعاء الرسول فى هذه الليلة: «**اللهم إنك عفو كريم، تحب العفو فاعفُ عنى**» عفا الله عنا، وعن سائر عباده المؤمنين الصادقين.

---

[1] رواه الخمسة، واللفظ للترمذى (من التاج الجامع للأصول جـ ٢ صـ ٨١).

[2] رواه الخمسة.

٣ـ من آداب الإسلام فى الاحتفال بالعيد

يأتى عيد الفطر بعد صيام شهر رمضان، وما كان فيه من عبادة والتزام بالآداب الإسلامية، التى ينبغى أن يتمسك المسلمون بها، بدءاً من يوم العيد، الذى يتجدد كل عام بالبهجة والسرور، فى حدود ما جاء فى القرآن، وما ثبت فى السنة المشرفة.

١ـ ما يجب الالتزام به، والحرص عليه فى الاحتفال بالعيد:

إن أول ما ينبغى الحرص عليه عند الاحتفال بالعيد، هو استمرار التمسك بآداب الصوم، ثم البدء بإخراج صدقة الفطر إلى مستحقيها، قبل الخروج إلى الصلاة، وذلك إذا تأخر دفعها إلى هذا الوقت؛ حتى يشارك فى الفرحة جميع أفراد الأمة أغنيائها وفقرائها، كبارها وصغارها، رجالها ونسائها، فالبهجة لابد أن تكون شاملة، ولا تقتصر على جماعة دون أخرى.

فعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: **«فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث، طُعْمة للمساكين، فهى صدقة من الصدقات»**[١]، وبحيث لا تتدخل النوازع الإنسانية فى دفعها إلى المستحقين لها.

وأما خروج النساء من بيوتهن، فلا حرج من ذهابهن إلى المصلى فى حِشمة ووقار، يعبر عن أخلاق الإسلام، دون تبذل أو عُرْى، أو تجاوز لما نصّ عليه ديننا الحنيف، فعن أم عطية قالت: **«أمرنا النبى أن نخرج فى العيدين العواتق، وذوات الخدور، وأمر الحُيّض أن يعتزلن مصلى المسلمين»**[٢].

---

[١] رواه أبو داود وابن ماجة، والحاكم، وقال: "صحيح على شرط البخارى".

[٢] اللفظ لمسلم، والعواتق: جمع عاتق، وهى الجارية البالغة، وذوات الخدور: اللاتى لا يخرجن من بيوتهن لملاقات الناس، وقال النووى فى شرحه لصحيح مسلم: يمنع خروج الناس ذوات الهيئات والمستحسنات على عصره.

ويأتى بدء الاحتفال بالعيد؛ تواصلاً مع إحياء ليلته بالعبادة والصلاة، وصلة الأقارب، وذوات الأرحام، وإنهاء الخصومات، فيكون الإحياء شاملاً للعبادات المشروعة، ونبذ السلوكيات الخاطئة النابعة من العلاقات الاجتماعية، وبحيث يرتبط الاحتفال بالعودة الحميدة لبدء عام جديد، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «**قال رسول ﷺ "من أحيا ليلة الفطر، وليلة الأضحى، لن يموت قلبه، يوم تموت القلوب**»[1].

وينبغى للمسلم قبل الخروج للصلاة، أن يتناول بعض التمر وِتْراً، وقد نبه الرسول إلى ذلك، ودعا إليه، ففى حديث يرويه بُريدة ﷺ قال فيه: «**كان رسول ﷺ لا يغدو يوم الفطر؛ حتى يأكل، ولا يأكل يوم الأضحى، حتى يرجع**»[2].

ويواصل المسلمون، وهم ذاهبون إلى المصلى الاستمتاع الإيمانى بتكبيرات العيد المعروفة، إلى أن تكون الصلاة التى تُؤَدَّى بلا أذان ولا إقامة، ثم تعقبها الخطبة، وتتعدد صور الاحتفالات حسب رغائب كل مسلم، ويُراعى عند العودة، أن تكون من طريق مخالف لطريق الذهاب – ما أمكن ذلك – ولاعتبارات كثيرة، منها: كثرة مشاهدات التواصل بين الموحِّدين لذات الله، وعن جابر ﷺ قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى العيد رجع من غير الطريق، الذى ذهب فيه**»[3].

٢ـ أخلاق الرسول وسائر عباد الرحمن فى العبادة والاحتفال بالعيد:

شهد رسول الله ﷺ كثيراً من أعياد الفطر والأضحى مع أصحابه، وكانت له سلوكيات، صارت دستوراً وتشريعاً سوف يبقى خالداً إلى يوم الدين.

وهذا حديث مروى عنه، يصف الحالة التى كان عليها، فيما يتصل بالصلاة والخطبة نعرض له، ومنه يتضح بعض منهاجه فى هذا اليوم،

---

[1] رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير.

[2] رواه ابن ماجة، والترمذى وأحمد.

[3] رواه البيهقى فى السنن الكبرى، وذكر أن البخارى قد أخرجه بمعناه.

فقد روى جابر رضي الله عنه قال: «**شهدت مع الرسول ﷺ يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة، ثم قام يتوكأ على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على الطاعة، ووعظ الناس، وذكّرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكّرهن**»[١]، ويتضح من لفظ الحديث مشاركة النساء فى الخروج إلى الصلاة، وعناية الرسول بهن، فتحدث إليهن بالموعظة والتذكير بما يناسب الدعوة الإسلامية فى يوم العيد.

أما فيما يتصل بآداب العيد، فكان حريصاً على التنبيه والتأكيد إلى حتمية الرفق بالمرأة، والتوسعة على الأبناء، والعطف على الأقارب، والرحمة بالفقراء والمساكين، وإبداء السرور والفرح عند الالتقاء بالناس، وقد ورد فى الصحيح من الأحاديث، ما يعبر عن يسر الإسلام وسماحته، وإباحة الترويح عن القلوب، والغناء، الذى لا يحض على رذيلة، ولا يدعو إلى منكر وباطل.

وروت عائشة (رضى الله عنها) قالت: «**دخل علَىَّ رسول الله ﷺ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش، وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرنى، وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ! فأقبل عليه رسول الله (عليه الصلاة والسلام)، وقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا**»[٢].

٣ـ بعض السلوكيات المخالفة التى لا تتناسب مع أخلاق عباد الرحمن، وعظمة الاحتفال بهذا اليوم الكريم:

تتجلى الدعوة الإسلامية فى بعض مظاهرها فى العبادة والسلوك، فلا يبالغ المسلم فى فرحه وابتهاجه، بل يراعى التوسط والاعتدال، ولا يكون متبرما بالحياة، متشائماً منها، ولا يستجيب لبعض معطياتها، وقد قال القرآن الكريم:

---

(١) رواه مسلم والنسائى.

(٢) الرواية واللفظ للبخارى، وجاء فى رواية مسلم أن الفتاتين كانتا تغنيان بدفٍ. ويوم بُعاث: هو يوم جرت فيه حرب بين قبيلتى الأوس والخزرج، وكان الظهور فيه للأوس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[1]، والمقصود بذلك الذين يبالغون فى الفرح بزخارف الدنيا، ولا يقدرون عواقبها، فمن أعظم التقوى، أن نستقبل العيد بفرح وسرور، وأن نهيىء لغيرنا مشاركتنا فى الفرحة، ذلك أن الله يعطينا بما يجب علينا شُكْره، ونعطى الناس بكرم وسخاء، والفرحة الحقيقية، فى العيد للمسلم الملتزم فى صيامه، وللعامل الذى أخلص فى عمله، وللمنفق الذى أعطى بكرمه.

ولا يشترط فى العطاء المطلق أن يكون مادة محسوسة، وإنما يمكن أن يكون كلمة حانية، وبسمة مهذبة، تُحْدث تأثيرها فى القلوب، وإن كثيراً من المشاهدات المعاصرة تُبكى العين، وتُحزن القلب، وتثير الأسى فى النفس، للدرجة التى يظن فيها بعض الراصدين لحركة الحياة، أنهم فى بلاد لا تعرف الإيمان، والصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وأن هذا التجاوز البغيض، لا يرضاه المخلصون من عباد الرحمن، الذين سَعَوْا إلى الحق، والتزموا بالوعد، ولم يتخلوا عن الصدق والوفاء.

ولا يليق أن تكون الأعياد مناسبة لتجديد الأحزان، وإثارة الفتن والمنازعات، وبعث المكائد والضلالات، وإنما نأتى التزاماً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

فالعيد فرحة للصائمين، وفرصة للمتأملين، ودعوة للعبرة، والموعظة، وملاحظة تداول الأيام، وتقلب الليل والنهار، والتواضع والخشوع، والرحمة والرأفة والتصالح، ونشر الفضائل، والتصدى للرذائل، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

[1] سورة القصص الآية رقم (٧٦).

[2] سورة آل عمران الآية رقم (١٣٩).

٤ـ الحرص على صوم النوافل
في الأوقات المحددة

لا يقتصر الصيام على شهر رمضان والنذور والكفارات، ولكن يمتد إلى كثير من الأيام طوال العام، التى تختلف من مناسبة لأخرى، فى ضوء ما نص عليه القرآن الكريم، والسنة النبوية، وهما محل العناية والالتزام عند المتقين من عباد الرحمن.

١ـ حتمية الحرص على صوم التطوع:

إن الصيام من العبادات، التى تَقْوى فيها إرادة المسلم، حيث ينتصر على شهواته، ويتحكم فى رغباته، ولا ينهزم أمام ملذاته، ولما كانت الحياة فى شهر رمضان ذاتَ مواصفات إيمانية متميزة، تسمو فيها روحُ المؤمن إلى درجات عليا من الشفافية، والتسليم المطلق بقوة الخالق، التى تعجز مدركات البشر عن تحديد كنهها، وحسُن لذلك، ألا تتهاوى الرغبات الإيمانية بعد هذا الشهر، وأن يتحول الصائمون بعده إلى أحوال شديدة التباين، عما كانوا عليه فى أيام رمضان ولياليه، ولذا رغَّب الرسول ﷺ فى صوم التطوع، فقال ﷺ: **«ما من عبد يصوم يوماً فى سبيل الله تعالى، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»** [1].

ومن الأفضل للمسلم الذى اضطر للإفطار فى يوم، أو أيام من رمضان، أن يبادر إلى قضاء ما عليه، إذا كان ذلك لازماً وواجباً فعله، إذ أن تأجيل القضاء، ربما يكون مدعاة للكسل والتراخى، وربما يمرُّ العام، ويأتى رمضان من السنة التالية، ولم يكن صوم القضاء قد تمّ أداؤه، ولذا تكون قوة الإرادة، ومضاء العزيمة، هما الفيصل بين شخص وآخر، بين من يحرص على صوم التطوع، وينهض به، ومن يتراخى ويستسلم لغرائزه، معلناً فى أسف عن ضعف

---

(١) رواه البخارى ومسلم، ومعنى قوله: *فى سبيل الله* أى طلباً لمرضاته، أو أثناء الجهاد، فيجمع الله بين الحرب والصوم، والمقصود من قوله *سبعين خريفاً*: أى سبعين عاماً من إطلاق الجزء على الكل.

إرادته، فينخرط فى التهام طعامه وتطاول لسانه، وكأن رمضان كان سجناً لشهواته، التى باتت فى شوق إلى انفلات حواسه، فكان الإصلاح والتوجيه بالدعوة إلى صوم التطوع، والذى يتمثل ابتداء – ووفق الترتيب الزمنى – فى صوم ستة أيام من شوال.

٢ـ صيام النفل جملة وآحاداً:

يأتى صوم الأيام الستة من شوال فى بداية الحديث عن صوم النفل بعد الحديث عن صوم رمضان؛ لأهمية متابعة الصوم، وعدم التخلى عن هذه العبادة؛ لما لها من تأثير فى تشكيل الكيان الإيمانى والروحى للمسلم، وكان ذلك صنيع الصفوة من عباد الرحمن فى عصر المبعث النبوى وبعده، هؤلاء الذين لايخلو زمن منهم، وكانت عبادة الرسول ﷺ ماثلة أمام أصحابه، وكان قوله محلَّ اليقظة والعناية منهم، وقد روى أبو أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كأن لصيامه الدهر»**[١].

وعن ثوبان (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: **«صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين، فذلك صيام السنة»**[٢]. يعنى رمضان وستة أيام بعده، وتدعم ذلك روايات أخرى، تؤكد كلها استحباب الصوم لهذا القدر من الأيام، ولا يُشترط فيها أن تكون متصلة، أو متفرقة، فجاء أول الشهر أو وسطه أو آخره، وإن كان من الأفضل والمستحب، أن تكون تالية ليوم الفطر، ولذلك أثر إيجابى فى استمرار المعايشة لأجواء رمضان، وورد فى فضل الصيام لهذه الأيام، قول الرسول ﷺ: **«من صام رمضان، وأتبعه ستاً من شوال، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**[٣].

---

[١] رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والطبرانى، والنص من الترغيب جـ ٢ صـ ٧٥.
[٢] رواه النسائى فى السنن الكبرى، وابن خزيمة فى صحيحه.
[٣] رواه الطبرانى فى الأوسط.

ونؤكد ما قاله بعض العلماء عن صيام هذه الأيام بعد شهر رمضان، والحكمة فى ذلك، والله أعلم، قال: «هى عدم انتقال الصائم فجأة من الصيام، بما فيه من الإمساك المادى والأدبى، إلى الانطلاق والتحرر فى تناول ما لذ وطاب متى شاء، فالانتقال الفجائى له عواقبه الجسيمة والنفسية، وذلك أمر مقرر فى الحياة»[1].

وتسميتها بالبيض غير صحيحة؛ لأن الأيام البيض هى الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، من كل شهر قمرى، ومن السنة صيامها أيضاً.

ولا يتوقف صيام النوافل على هذه الأيام، فقد حدّدت السنة النبوية كثيراً من الأيام على مدار العام، مثل الأيام الثلاثة البيض[2] التى روى عبدالله بن عباس (رضى الله عنهما) قال ﷺ: **«كان رسول الله ﷺ لا يُفطر أيامَ البيض فى حَضَرٍ ولا سفر»**[3].

وربما اضطر الرسول ﷺ للفطر فى بعض هذه الأيام المحددة، فصار صومها بهذا القدر متاحاً فى أى أيام الشهر، وذلك ما سألت عنه معاذة العدوية السيدة عائشة (أم المؤمنين والمؤمنات)، فقالت لها: **«أكان الرسول ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، ثم قالت لها: من أى أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالى من أى أيام الشهر يصوم»**[4].

وتتواصل صيام النوافل، من خلال ما قاله وفعله رسول الله ﷺ، وذلك مثل صوم يوم عرفة للمقيم غير الحاج، وصوم يوم عاشوراء، وقد لحقت بهذا اليوم خلال مسيرة الأيام بدعٌ كثيرة، بعضها منسوب لأحاديث ضعيفة، ينبغى مراجعتها، وإعمال الفكر الدينى والعقائدى فيها، وتوجيه الأذهان إلى ما يصح

---

(١) أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام – عطيه صقر جـ ٣ صـ ١٨٠.

(٢) قيل إنها سميت بذلك؛ لبياضها ليلاً بالقمر، ونهاراً بالشمس.

(٣) رواه النسائى.

(٤) رواه مسلم.

قبوله، وما لا يصح، وصوم شهر الله المحرم، الذى قال النبى ﷺ فى شأنه: **«أفضلُ الصيامِ بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»**[١].

وحضَّ الرسول ﷺ على الصيام فى شهر شعبان، فروت السيدة عائشة (رضى الله عنها)، قالت: **«ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه فى شعبان، كان يصومه إلا قليلاً، بل كان يصومه كله»**[٢]، ومن صوم التطوع أيضاً يوما الإثنين والخميس.

وهكذا تتواصل المسيرة الإيمانية لعباد الرحمن مع الصوم فرضاً ونفلاً، طوال العام، بما يؤهل المؤمن لأن يبقى دوماً فى محبة الله بالصوم، الذى لا ينبغى للمسلم أن يغفل عن معطياته، كالصبر، والخشوع، والتأمل، والإنفاق، وشُكْر الله على السراء والضراء، والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

[١] رواه مسلم.

[٢] رواه الأربعة.

٥ـ اجتناب الترف الزائد في المناسبات وغيرها

تعد الأموال أشد المؤثرات على نفسية الإنسان، فإما أن يسير بها فـى طريق الإيمان، فتقوى عزيمتهُ، وينتصرُ على نفسه، وإما أن يُعْميه الترف، فيقع فى الضلال والفساد، ويصير ممن يفسدون فى الأرض، ويتبطرون على النعمة، ولا يشكرون الله عليها، وهؤلاء هم الذين تحدث القرآن الكريم عن خلودهم فى النار، وبئس المصير.

١ـ الحديث عن الترف الزائد وعن بعض ما ورد في القرآن بشأنه:

الترف: هو التنعم، وقد يتجاوز المسرف فيه حدود التعامل مع الآخرين، فيسير متصفاً بالبغى والتجاوز، مغتراً بما تحت يديه من مال، متوهماً أنه يملك السطوة والنفوذ، الذى يهيمن بهما على مقدرات البشر، ساخراً مـن همـومهم ومشكلاتهم، متعالياً بما لديه من مال، متخيلاً أنه واحد لا يختلـف كثيـراً عـن قارون، الذى كان من قوم موسى، فبغى عليهم بما لديه من ثروة وجاه، وكان بينه وبين قومه ما كان، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[1].

وقد تحدث القرآن الكريم فى العديد من الآيات عـن المتـرفين، فقـال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[2].

وجاء الحديث فى هذه الآية عن المترفين، الذين يمثلون عصياناً وفساداً فى الأرض، وأن مصيرهم إلى العذاب، حيث إنهم استمروا على ضلالهم وعـصيانهم، وأنهم لم يستجيبوا إلى من يأمرون بالخير ويحضون عليه، وينهون عن المنكـر ويتجنبونه، لذا سوف يكون مصير مَن ظلموا بترفهم، إلى النار وبئس المصير.

---

[1] سورة القصص الآية رقم (٧٦).

[2] سورة هود الآية رقم (١١٦).

وتمتد آثار المترفين إلى سائر مكونات البيئة المحيطة بهم؛ ربما لأنهم لم يقاوموا المنكر، ولم يتصدوا له، ورضوا بفساد المترفين فى المجتمع، فكانت العاقبة أن امتد الهلاك إلى الجميع.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[2].

لقد جاءت هذه الآية مهدئة لموجة التأثر عند رسول الله ﷺ من قومه، الذين عاندوه بصورة لا تختلف كثيراً عما كان يُواجَه به المرسلون قبله، من جبروت المترفين من قومهم، هؤلاء الذين كانوا يكفرون بالرسالات السماوية، والدعوات الإلهية نحو هداية البشر، وحتى يزداد رسول الله يقيناً بحتمية الصبر، والتأسى بتجارب الأمم السابقة.

وتتواصل الآيات القرآنية من سورة إلى أخرى، فى بيان تجاوزات المترفين من الأمم السابقة، فجاء النص القرآنى منبهاً إلى خطورة هذه السلوكيات، والتى كانت تحذيراً صريحاً مباشراً، فى إيضاح معالم المنهج الإسلامى للحياة، هذا المنهج الذى وعاه وسار عليه أصحاب رسول الله ﷺ والصفوة الأخيار من التابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين.

٢ـ الأموال للهداية والإيمان وليست للجبروت والطغيان:

للمال بريق يخطف الأبصار، عند من يَقَعُون تحت سيطرته وسلطانه، فإذا انتقل الإنسان من مرحلة الضعف، والخزى، إلى ساحة القوة والثقة والعزيمة والإصرار، وانتصر على أنانيته ورغباته، فإنه يصير فى منعة وقوة ضد غواية الشيطان، خاصة شياطين الإنس، الذين يتحولون بالبريق والسطوة، إلى مفسدين،

---

[1] سورة الإسراء الآية رقم (١٦).

[2] سورة سبأ الآية رقم (٣٤).

بما لديهم من ترف زائد، وتسخير للمال فى خدمة شهواتهم، التى تحيا ثم تلبث أن تندثر وتموت، مع ضعف الإنسان وموته، وهذا من مواضع أسئلة العبد يوم العرض على الخالق العظيم، حيث قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[١].

كما أن مُتَع الحياة، والرغبة فى شهواتها، يمكن أن لا تتوقف عند حدود معينة، وبعد النهاية لا يمتلىء جوف ابن آدم إلا بالتراب.

إن منهج عباد الرحمن فى الحياة، النابع والمستقى من القرآن والسنة، واضحٌ فى حتمية الاعتدال فى الإنفاق، بلا إسراف ولا تقتير، وحتمية دفع الزكاوات والصدقات إلى مستحقيها، بلا مَنٍّ أو أذى، والانعتاق من سطوة المال، وعدم الخضوع الذليل لبريقيه، وتأثيره، ذلك الذى ينقلب به المترف إلى جاهل بحق ما لديه وحق الآخرين، فيما يملكه برعاية الله سبحانه وتعالى، وصيانته، ذلك المنهج الذى عاش فيه، وتنعم به عباد الرحمن، الذين استقبلوا الرسالة المحمدية، وساروا فى أنوارها، مستلهمين القناعة والرضا، فى ضوء أحاديث رسول الله ﷺ.

ومنها ما رواه عبيد بن محصن الأنصارى الخَطِّى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح منكم آمناً فى سربه، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حِيزت له الدنيا بحذافيرها»** [٢].

وتتجلى القناعة فى سلوك عباد الرحمن، إذ يتجهون إلى الرضا، وتجنب توجيه ما تحت أيديهم إلى إيذاء الناس وتسخيرهم، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس»** [٣].

متعنا الله بأبصارنا وأسماعنا، وجنبنا الشراهة والبَطَر، ورزقنا القناعة والرضا.

---

[١] سورة التكاثر الآية رقم (٨).

[٢] رواه الترمذى، وقال حديث حسن. ومعنى بحذافيرها – بجوانبها – أى الدنيا بأسرها.

[٣] متفق عليه، ورواه أحمد والترمذى وابن ماجة، ومعنى العرض: متاع الدنيا قل أو كثر، قال تعالى: (تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) سورة النساء الآية رقم (٩٤).

٣ـ مظاهر الترف الزائد، التي يجب على المسلم الاحتراس منها:

تمتلىء الحياة المعاصرة بكثير من التجاوزات، التي تبتعد كثيراً عن أخلاق عباد الرحمن، التي حَفُلت بها كتب السيرة، والأحاديث النبوية الشريفة.

ويحدث أن يُمْتحَن الإنسان بالأموال، لكنه يخفق في سلوكياته كثيراً، إلا مَنْ عصمه الله، وحصَّنه من ضلالات الشياطين، فلا يُوجِّه ما تحت يديه إلا في الخير، وأبوابه كثيرة ومعروفة، **قال الشاعر:**

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبتها ... وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنعُ[١]

فلا يُسرف أو يتباهى كثيراً بملابسه ومسكنه ونفوذه؛ لأن ذلك يلحق كثيراً من الأذى والضرر بمن يحتاجون إلى ما يسد رمقهم، ولا يستطيعونه، فكيف تكون نظراتهم إلى البذخ الزائد، والإسراف الممقوت؟.

إن بناء الإسلام للمجتمع، يخضع لمعايير تصب كلها في صندوق التكافل والتلاحم، بمثل فلسفة الأشعريين في عهد الرسول ﷺ المبنية على المودة والرحمة، وليس على القوة والشدة، وأما الإسراف في التنعم بالأطعمة، والأشربة، فله أضراره وأخطاره، التي تلحق بالمسرف، والمبذر، وسائر أهله، دينياً وصحياً ونفسياً، كما تُلْحق أضراراً أشد بمن يحتاج ولا يملك، ويتعفف فلا يسأل، ويرضى ولا يتضجر، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافاً، ومتَّعه الله بما آتاه**»[٢].

ولا يُفهم من ذلك، أن الإسلام ينهى عن التنعم، ويرفض الاستمتاع بالحياة، ولكن المنهج الإسلامي يشمل الضوابط، التي تحكم تصرفات الإنسان، وتخضعه للاعتدال والتوسط، وعدم إلحاق الضرر بالآخرين، على أية صورة من الصور، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهزلي، وتقنع: ترضى (جمهرة أشعار العرب) للقرشي صـ ٥٣٧.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة (عن رياض الصالحين) صـ ٢١٥.

٦ـ العودة إلى الله بالحج والعمرة

يُعد الرجوع إلى الله بالتوبة الصادقة، والعمل الصالح، من أبرز الصفات، التي تجلَّت أنوارها فى سورة الفرقان بحق عباد الرحمن، وذلك بالانتصار للحق، والحرص على التقوى، وقهر الشيطان، وضلالات النفس، خاصة فى عبادة الحج والعمرة، حيث تتطهر القلوب، وسائر حواس المؤمن، من كل إثم ومعصية، ويعود الحاج والمعتمر تقياً صالحاً، كيوم إقباله على الدنيا.

١ـ التوبة إلى الله من أعظم ثمرات الحج:

إن الحج فريضة إسلامية سامية، وركن من الأركان التى بُنى الإسلام عليها، واستند إليها فى منهاجه للناس جميعاً، وكانت بداية تلك الفريضة فى عهد إبراهيم خليل الرحمن، الذى خاطبه الله تعالى فى القرآن المنزل من اللوح المحفوظ إلى سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[١].

وانتقلت الفريضة إلى الناس جميعاً، وكان الفرح والسرور بها من الرسول وأصحابه، خاصة فى السنوات التى حاولوا فيها أداء الفريضة، وهى السادسة، أو التاسعة من الهجرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

---

[١] سورة الحج الآية رقم (٢٧ ، ٢٨).

[٢] سورة آل عمران الآية رقم (٩٧).

ويعد الرجوع إلى الله بالتوبة الصادقة، من أعظم الأهداف التى فُرضت بها هذه العبادة، حيث يتحلل المؤمنون من أكثر شواغل الدنيا، فيرتحلون، وفى قلوبهم الرغبة فى تكفير سيئاتهم من الإنس والجن، ويمارسون المناسك بورع وتقوى، ويقرءون القرآن بتمعن وتأمل فى سائر الموجودات والمغيبات، بعد أن يكونوا قد تصالحوا مع خلق الله، وردوا ما يمكن أن تكون مظالم للناس، واثقين تمام الثقة فى عفو الله ورحمته، وهم يرددون قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

وتؤكد آيات القرآن الكريم فى سورة الفرقان، ارتباط التوبة بالعمل الصالح، إذ لا قيمة للأقوال المرسلة، والوعود الكاذبة من الراغبين فى التوبة الزائفة، تلك التى تقتصر على الرغبات المجردة من الأعمال الإيجابية، المؤثرة فى مسيرة الإيمان، عند سائر الخلق أجمعين، قال تعالى مستثنياً التائبين من جملة المستحقين للعذاب، الخالدين بالإهانة فيه .. ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ، وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾[3].

فهؤلاء الصفوة من عباد الرحمن، الذين يعودون إلى الله بالتوبة الصادقة النصوح، التى تتحقق فى أداء مناسك الحج والعمرة، من إحرام، وطواف، وسعى بين الصفا والمروة، ومن وقوف على ثرى عرفات، ومبيت بمزدلفة، وإقامة فى منى، وغير ذلك من سائر الشعائر المقدسة.

---

[1] سورة النور الآية رقم (٣١).

[2] سورة الشورى الآية رقم (٢٥).

[3] سورة الفرقان الآية رقم (٧٠ ، ٧١).

٢ـ الحج انتصار للحق وقهر للشيطان:

الحج فريضة إسلامية، وركن من أعظم الأركان؛ لما به من قهر لغواية الشيطان، وصدق التقوى والعودة إلى الله، وتجلت تلك الفيوضات من عهد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ورسخ ذلك واضحاً فى شعيرة رَمْى الجمرات، وهى ترمز بوضوح إلى قدرة الراغبين فى التوبة على التصدى لغوايات إبليس ورهطه، فالذى يرجُمُ جمرة العقبة الكبرى، بسبع حصيات يوم النحر، ثم يأتى فى أول أيام التشريق، فيرجم الصغرى والوسطى والكبرى، بإحدى وعشرين حصاة لكل واحدة سبع حصيات متفرقات، ويكرر الرجم فى اليوم الثانى، ثم إذ شاء رمى الجمرات الثلاث فى اليوم الثالث، فالذى يفعل ذلك، يستحضر مقاومة إبراهيم عليه السلام، والمغزى هو رجم الشيطان من النفوس، وطرده من أعماق القلوب، فلا نجعل له سبيلاً علينا، ونرجمه برفضنا لإغوائه ونزعاته؛ حتى يبتعد عنا، ولا يلجأ إلينا، ونحقق بذلك النصر الكبير، والفوز العظيم، من خلال فريضة الحج، وسنة العمرة.

واستمرت الدعوة إلى مقاومة الإشراك بالله، وقهر الشياطين، فى أول دخول للرسول إلى بيت الله الحرام، بعد العودة إلى مكة فاتحاً، فحطم الأصنام، وقرأ فى زمن النصر والفتح: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[١].

٣ـ من ثمرات الحج فى حق عباد الرحمن:

لا يتحقق الوصول إلى أداء الحج والعمرة، إلا بالاستطاعة البدنية والمادية والأمنية، التى تؤهل المؤمن للإقبال على أداء هذه الفريضة، التى تكتنفها كثير من المشقات، فإن المقابل للتوبة بالحج، ليس سهلاً ميسوراً لكل الناس، وإنما تتيسر المشاق، وتهون التبعات، على الراغب الصادق فى ترسيخ علاقته بربه، والعودة إليه بالتوبة بالحج والعمرة.

---

[١] سورة الإسراء الآية رقم (٨١).

وقد رَوى أبو هريرة ﷺ : **«خطبنا رسول الله ﷺ ، فقال: يا أيها الناس إن الله كَتَب عليكم الحج فحُجُّوا، فقال رجل: أكلَ عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقالﷺ: لو قلتُ نعم لوَجَبَتْ، ولما استطعتم، ثم قال: "ذرونى ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم، كثرةُ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشئ، فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه»**[1].

ومن ثمرات التوبة بالحج: تطهير النفس من الآثام، وذلك جزء من نواتج الحج المبرور، الذى ليس له جزاءٌ إلا الجنة، وقد قال الرسول ﷺ: **«من حجّ فلم يرفث، ولم يفسقْ رجَع كيوم ولدته أمُّه»** [2].

وتتواصل ثمرات التوبة بالحج من عباد الرحمن المتقين، إلى ممارسة العفو والصفح والتسامح مع بقية خلق الله من البشر، وقد أعلن الرسول ذلك، عند دخوله مكة فاتحاً؛ تمهيداً لأداء الفريضة بعد ذلك، قال: **«من دخلَ دارَ أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»**[3].

والتوبة الصادقة، من أهم ثمرات الحج، تلك التى يجب تفعيلها، وتحويلها إلى سلوكيات إيجابية نافعة، لا تقتصر على الصفوة من عباد الرحمن، ولكن تمتد إلى سائر الناس جميعاً.



---

(1) البخارى ومسلم.

(2) متفق عليه.

(3) رواه مسلم.

كتـــــب للمؤلـــف

١- شعر الحماسة في العصر العباسي الثاني- مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٨٤م.
٢- ياقوت الحموي أديباً وناقداً- دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٨م.
٣- امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين- دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م.
٤- الغموض في شعر أبي تمام- دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م.
٥- فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور- دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م.
٦- شعراء الطائف في الجاهلية والإسلام- دار الطباعة المحمدية ١٨٨٩م.
٧- من روائع الأدب العربي في العصرين العباسي الأول والأندلسي-دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠م.
٨- من روائع الأدب العربي في العصرين الأموي والعباسي الأول- دار الطباعة المحمدية ١٩٩١م.
٩- أوزان الشعر دراسة في العروض والقافية- مطبعة الضوي بالزقازيق ١٩٩٤ م.
١٠- فن الرواية في المملكة العربية السعودية (بين النشأة والتطور)- من منشورات المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ١٩٩٥ (الطبعة الثانية) .
١١- دراسات في الأدب الجاهلي- مكتب آيات بالزقازيق- ١٩٩٨م.
١٢- أطوار الأدب العربي في العصر الإسلامي- مكتب آيات بالزقازيق- ١٩٩٩م.
١٣- دراسات في الأدب الأندلسي- توزيع المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ١٩٩٩.
١٤- مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية- نشر مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٠م.
١٥- تاريخ الأدب الجاهلي٢٠٠١م.
١٦- رحيق المعرفة- نشر مكتبة الآداب عام ٢٠٠١م.
١٧- أدب البيئة بين الأصالة والمعاصرة عام ٢٠٠٥م.
١٨- قطوف من السيرة والدعوة عام ٢٠٠٦م.
١٩- الثروة في الإسلام - طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ٢٠٠٧ م.
٢٠- ألوان من الأدب والفكر والحياة عام ٢٠٠٧م.
٢١- دراسات في الأدب العربي الحديث عام ٢٠٠٧م.
٢٢- أنوار اليقين طبع مكتبة الآداب بالقاهرة عام ٢٠٠٩م.
٢٣- قضايا ثقافية ، طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف عام ٢٠٠٩م.
٢٤- أصوات- الأرض الحب والثورة طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠١٠م.
٢٥- سلامة الإنسان في الإسلام، ٢٠١١م.
٢٦- بصائر للناس - توزيع مكتبة الآداب بالقاهرة عام ٢٠١١ م.

تطلب الكتب المذكورة من دور الطبع والنشر الآتية:

١- المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ٩ درب الأتراك خلف الأزهر الشريف ت: ٠٢/٢٥١٢٠٨٤.
٢- مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى بالقاهرة ت: ٠٢/٢٣٩٥٦٧٧٠
٣- مكتبة الآداب ٤٢ ميدان الأوبرا القاهرة ٢٣٩٠٠٨٦٨ / ٠٢

بيان استرشادى عن موضوعات الكتاب

م	الموضوع	تاريخ التسجيل لبرنامج عباد الرحمن بإذاعة القرآن الكريم	م	الموضوع	تاريخ التسجيل لبرنامج عباد الرحمن بإذاعة القرآن الكريم
١	التواضع.	٢٠٠٧/٣/١٦م	٢١	مستويات الإيمان.	٢٠٠٨/٤/١٨
٢	قيام الليل.	٢٠٠٧/٣/١٦	٢٢	السير فى أنوار الإيمان.	٢٠٠٨/١٠/٣١
٣	التضرع إلى الله تعالى.	٢٠٠٧/٧/٢٠	٢٣	دفاع الله عن المؤمنين.	٢٠٠٩/١/٩
٤	الإنفاق بلا إسراف ولا تقتير.	٢٠٠٧/٧/٢٠	٢٤	محاسبة النفس.	٢٠٠٩/١/٩
٥	الإيمان بوحدانية الله تعالى.	٢٠٠٧/١٢/٢٨	٢٥	حسن الاقتداء بالرسول (ص).	٢٠٠٩/٢/٢٧
٦	الحفاظ على النفس البشرية.	٢٠٠٧/١٢/٢٨	٢٦	الاعتماد على الله فى طلب الرزق.	٢٠٠٩/٢/٢٧
٧	الابتعاد عن أفحش الذنوب (الزنى).	٢٠٠٨/٢/٢٢	٢٧	حسن التعامل والتصريف للأرزاق.	٢٠٠٩/٢/٢٧
٨	التوبة.	٢٠١٠/١١/٢٦	٢٨	التفقه فى أمور الدين.	٢٠٠٩/٥/١
٩	تجنب شهادة الزور.	٢٠٠٧/٨/٢٤	٢٩	القنوت لله رب العالمين.	٢٠٠٩/٩/١١
١٠	الإعراض عن اللغو.	٢٠٠٧/٨/٢٤	٣٠	ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى.	٢٠٠٩/١٠/٢
١١	التأمل فى آيات الله تعالى.	٢٠٠٨/٢/٢٢	٣١	الحرص على نصر الله.	٢٠٠٩/١٠/٢
١٢	الدعاء بصلاح الزوجة والأبناء.	٢٠٠٨/٣/١٤	٣٢	غض الأبصار.	٢٠٠٩/١٠/٢
١٣	دعاء عباد الرحمن بأن يكونوا أسوة حسنة.	٢٠٠٨/٣/١٤	٣٣	التقوى.	٢٠٠٩/١٠/٣٠
١٤	الإنعام على عباد الرحمن بحسن الجزاء.	٢٠٠٨/١٠/٣١	٣٤	الاعتصام بالله تعالى.	٢٠٠٧/٥/١١
١٥	الوفاء بالنذر.	٢٠٠٧/١٢/٢٨	٣٥	المحافظة على حق الجار.	٢٠٠٧/٥/١١
١٦	حسن الظن بالله والناس.	٢٠٠٨/٢/٢٢	٣٦	إكرام الضيف.	٢٠٠٧/٧/٢
١٧	العزة لله وللرسول وللمؤمنين.	٢٠٠٨/٢/٢٢	٣٧	الكلام الطيب والصمت الجميل.	٢٠٠٨/٣/١٤
١٨	الإيمان بالغيب.	٢٠٠٨/٨/٢٢	٣٨	معالم الاستئذان.	٢٠٠٨/٤/١٨
١٩	محبة عباد الرحمن للرسول (ص).	٢٠٠٨/٣/١٤	٣٩	التناجى بالبر والتقوى.	٢٠٠٨/٤/١٨
٢٠	الإحساس بالأمن فى ظلال الإيمان.	٢٠٠٨/٣/١٤	٤٠	تحية الآخرين.	٢٠٠٨/٤/١٨

م	الموضـــــــوع	تاريخ التسجيل لبرنامج عباد الرحمن بإذاعة القرآن الكريم	م	الموضـــــــوع	تاريخ التسجيل لبرنامج عباد الرحمن بإذاعة القرآن الكريم
٤١	حسن اختيار الأصدقاء.	٢٠٠٨/٨/١	٦١	التعامل مع كبار السن.	٢٠١٠/٢/٥
٤٢	سلوم عباد الرحمن مع غير المسلمين.	٢٠٠٨/٨/١	٦٢	الإحسان إلى ذوى القربى.	٢٠١٠/٢/٥
٤٣	قبول الهدايا.	٢٠٠٨/٨/١	٦٣	الكرم والجود.	٢٠١٠/١١/٢٦
٤٤	رفض الهدايا.	٢٠٠٨/٨/١	٦٤	الاتعاظ بالوقت.	٢٠٠٧/١٢/٢٨
٤٥	من آداب الزيارة والاستئذان.	٢٠٠٨/٨/١	٦٥	الاحساس بقيمة النسيان.	٢٠٠٨/٨/١
٤٦	العناية بأبناء الطريق.	٢٠٠٨/١٠/٣١	٦٦	الاعتبار بحركة الليل والنهار.	٢٠٠٩/١/٩
٤٧	تقدير أهل الخبرة والاختصاص.	٢٠٠٨/١٠/٣١	٦٧	الخشوع لله تعالى.	٢٠٠٩/١/٩
٤٨	توقير كبار السن.	٢٠٠٨/١٠/٣١	٦٨	الاعتبار بالنعم والأنعام.	٢٠٠٩/١٠/٢
٤٩	مواساة الآخرين فى أحزانهم.	٢٠٠٨/١٠/٣١	٦٩	التأمل فى بواعث الضحك والابتسام.	٢٠٠٩/١٠/٣٠
٥٠	حسن الاستماع إلى الآخرين.	٢٠٠٩/١/٩	٧٠	البكاء خشوعاً واعتباراً.	٢٠٠٩/١٠/٣٠
٥١	حسن التعامل فى السفر.	٢٠٠٩/١/٩	٧١	التأمل فى حركة الطير.	٢٠١٠/٢/٥
٥٢	محبة الأجداد للأحفاد.	٢٠٠٩/٢/٢٧	٧٢	الاعتبار بآيات الحجاب.	٢٠١٠/٢/٥
٥٣	العطاء بلا منٍ ولا أذى.	٢٠٠٩/٢/٢٧	٧٣	الالتزام بالاحتشام.	٢٠١٠/٢/٥
٥٤	التواصى بالحق والصبر والمرحمة.	٢٠٠٩/٥/١	٧٤	الاعتبار بملابس الإيمان والتقوى.	٢٠١٠/١١/٢٦
٥٥	تجليات الإيثار.	٢٠٠٩/٥/١	٧٥	حسن الاستقبال لشهر رمضان.	٢٠٠٨/٨/١
٥٦	الوفاء بالعهود والوعود.	٢٠٠٩/٥/١	٧٦	الحرص على إحياء ليلة القدر.	٢٠٠٩/٩/١١
٥٧	تجنب إيذاء الآخرين.	٢٠٠٩/٥/١	٧٧	آداب الإسلام فى الاحتفال بالعيد.	٢٠٠٩/٩/١١
٥٨	الحرص على إلقاء التحية.	٢٠٠٩/٥/١	٧٨	الحرص على صوم النوافل.	٢٠٠٩/٩/١١
٥٩	التسامح.	٢٠٠٩/١٠/٣٠	٧٩	اجتناب الترف الزائد.	٢٠٠٩/١٠/٢٠
٦٠	الشجاعة فى الحق.	٢٠٠٩/١٠/٣٠	٨٠	العودة إلى الله بالحج والعمرة.	٢٠٠٩/١٠/٣٠

فهـــرس الموضوعــــات

م	الموضـــــوع		رقم الصفحة
المقدمـــــــــــــــــــة.			٣ـ ٦
أولاً: من صفات عباد الرحمن فى سورة الفرقان:			٧ـ ٧٨
١	خلق التواضع عند عباد الرحمن.	١	٩
٢	قيام الليل، للصلاة وقراءة القرآن، ومدارسة السنة.	٢	١٤
٣	التضرع إلى الله تعالى بالدعاء، والذكر، وقراءة القرآن.	٣	١٧
٤	الإنفاق بلا إسراف ولا تقتير.	٤	٢٢
٥	الإيمان بوحدانية الله تعالى.	٥	٢٧
٦	الحفاظ على النفس البشرية.	٦	٣٢
٧	الابتعاد عن أفحش الذنوب (الزنى).	٧	٣٦
٨	معالم التوبة.	٨	٤٦
٩	تجنب شهادة الزور.	٩	٥١
١٠	الإعراض عن اللغو.	١٠	٥٧
١١	التأمل فى آيات الله تعالى.	١١	٦١
١٢	الدعاء بصلاح الزوجة والأبناء.	١٢	٦٦
١٣	دعاء عباد الرحمن بأن يكونوا أسوة حسنة.	١٣	٧١
١٤	الإنعام على عباد الرحمن بحسن الجزاء.	١٤	٧٥
ثانياً: أخلاق عباد الرحمن فى العقيدة والإيمان:			٧٩ـ ١٦٦
١	الوفاء بالنذر وتجريده من البدع والضلال.	١٥	٨١
٢	حسن الظن بالله تعالى والناس.	١٦	٨٥
٣	العزة لله وللرسول وللمؤمنين.	١٧	٩١
٤	الإيمان بالغيب، ومعايشة الواقع بوعى وإدراك.	١٨	٩٧

م	الموضـــــوع		رقم الصفحة
٥	محبة عباد الرحمن للرسول صلى الله عليه وسلم.	١٩	١٠٢
٦	الإحساس بالأمن فى ظلال الإيمان.	٢٠	١٠٧
٧	مستويات الإيمان عند عباد الرحمن.	٢١	١١١
٨	السير فى أنوار الإيمان.	٢٢	١١٤
٩	دفاع الله عن المؤمنين وحمايته لهم.	٢٣	١١٨
١٠	محاسبة النفس، والحفاظ عليها من فتنة الدنيا.	٢٤	١٢٣
١١	حسن الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.	٢٥	١٢٨
١٢	الاعتماد على الله فى طلب الرزق.	٢٦	١٣١
١٣	حسن التعامل والتصريف للأرزاق.	٢٧	١٣٤
١٤	النفقه فى أمور الدين.	٢٨	١٣٧
١٥	القنوت لله رب العالمين.	٢٩	١٤٠
١٦	ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى.	٣٠	١٤٥
١٧	الحرص على نصر الله تعالى.	٣١	١٤٩
١٨	غض الأبصار عن المحرمات.	٣٢	١٥٤
١٩	التقوى.	٣٣	١٥٩
٢٠	الاعتصام بالله تعالى.	٣٤	١٦٣
	ثالثاً: معايير العلاقات الإنسانية والاجتماعية فى ظلال الإسلام:		١٦٧ـ ٢٨٨
١	المحافظة على حق الجار، وبيان ما له وما عليه.	٣٥	١٦٩
٢	إكرام الضيف.	٣٦	١٧٣
٣	الكلام الطيب والصمت الجميل.	٣٧	١٧٩
٤	معالم الاستئذان، والدخول على الآخرين.	٣٨	١٨٢
٥	التناجى بالبر والتقوى.	٣٩	١٨٧
٦	إلقاء السلام على الآخرين.	٤٠	١٩٢

م	الموضـــــوع		رقم الصفحة
٧	حسن اختيار الأصدقاء.	٤١	١٩٦
٨	سلوك عباد الرحمن مع غير المسلمين.	٤٢	٢٠٠
٩	قبول الهدايا.	٤٣	٢٠٥
١٠	رفض الهدايا المقترنة بالشبهات.	٤٤	٢٠٨
١١	من آداب الزيارة والاستئذان.	٤٥	٢١٢
١٢	العناية بأبناء الطريق.	٤٦	٢١٦
١٣	تقدير أهل الخبرة والاختصاص.	٤٧	٢٢٠
١٤	توقير كبار السن.	٤٨	٢٢٤
١٥	مواساة الآخرين فى أحزانهم.	٤٩	٢٢٨
١٦	حسن الاستماع إلى الآخرين.	٥٠	٢٣٢
١٧	حسن التعامل فى السفر.	٥١	٢٣٦
١٨	محبة الأجداد للأحفاد.	٥٢	٢٤٠
١٩	العطاء بلا منٍ ولا أذى.	٥٣	٢٤٤
٢٠	التواصى بالحق والصبر والمرحمة.	٥٤	٢٤٧
٢١	تجليات الإيثار.	٥٥	٢٥١
٢٢	الوفاء بالعهود، والوعود، وسائر الحقوق.	٥٦	٢٥٥
٢٣	تجنب إيذاء الآخرين.	٥٧	٢٥٩
٢٤	الحرص على إلقاء التحية، والرد عليها.	٥٨	٢٦٣
٢٥	التسامح.	٥٩	٢٦٨
٢٦	الشجاعة فى الحق.	٦٠	٢٧٢
٢٧	التعامل مع كبار السن بالمودة والعطف.	٦١	٢٧٦
٢٨	الإحسان إلى ذوى القربى.	٦٢	٢٨١
٢٩	الكرم والجود.	٦٣	٢٨٦

م	الموضـــــوع		رقم الصفحة
رابعاً: الخشوع والتأمل والاعتبار:			٢٨٩ـ٣٣٤
١	الاتعاظ بالوقت، وتوظيفه لخدمة الدين والحياة.	٦٤	٢٩١
٢	الاحساس بقيمة النسيان ، وبيان أضراره.	٦٥	٢٩٥
٣	الاعتبار بحركة الليل والنهار.	٦٦	٢٩٩
٤	الخشوع لله تعالى.	٦٧	٣٠٣
٥	الاعتبار بالنعم والأنعام.	٦٨	٣٠٦
٦	التأمل فى بواعث الضحك والابتسام.	٦٩	٣١٠
٧	البكاء خشوعاً واعتباراً.	٧٠	٣١٤
٨	التأمل فى حركة الطير بالأرض والسماء.	٧١	٣١٨
٩	الاعتبار بآيات الحجاب فى سورة الأحزاب.	٧٢	٣٢٣
١٠	الالتزام بالاحتشام فى الملابس والزينة.	٧٣	٣٢٧
١١	الاعتبار بملابس الإيمان والتقوى.	٧٤	٣٣١
خامساً: من أخلاق عباد الرحمن فى بعض المناسبات:			٣٣٥ ـ ٣٥٩
١	حسن الاستقبال لشهر رمضان.	٧٥	٣٣٧
٢	الحرص على إحياء ليلة القدر.	٧٦	٣٤٠
٣	من آداب الإسلام فى الاحتفال بالعيد.	٧٧	٣٤٤
٤	الحرص على صوم النوافل فى الأوقات المحددة.	٧٨	٣٤٨
٥	اجتناب الترف الزائد فى المناسبات وغيرها.	٧٩	٣٥٢
٦	العودة إلى الله بالحج والعمرة.	٨٠	٣٥٦
كتـــــــب للمؤلـــــــف.			٣٦٠
بيـــان استرشـــادى عــــن موضــــوعات الكتـــاب.			٣٦١

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية — الترقيم الدولي

٢٠١٢/١٧٨١٣م — 978-977-90-0062-6